

المجلدات
شائع الملك فيصل هانف ٤٢٩١٥
ص. ب. ١٣٧ المرز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: أحمد الجاسر

الاشتراك (شخصي)
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها الإدارة
تمن الجزء: ١٧ ريالاً

ج ٤، ٣ س ٢٠ رمضان / شوال ١٤٠٥ هـ - حزيران / تموز (يونيو / يوليو) ١٩٨٥ م

حياتنا الأدبية الحديثة

من خلال دراسة مظاهرها نشأً وسيئراً وتطأً

- ١ -

[ها هو أستاذنا الباحث الجليل الدكتور علي جواد الطاهر في مؤلفه الشامل الحافل في موضوعه « معجم المطبوعات العربية للمملكة العربية السعودية » الذي سبر به سير حياتنا الأدبية والفكرية فاستوفى تسجيل مظاهرها في حقبة من الزمن تقارب نصف قرن (١٣٤٣ / ١٣٩٠ هـ) وصرف فترة من عمره تربو على واحد وعشرين عاماً (من ١٣٨٣ / ٥ / ٢١ إلى ١٤٠٥ / ٣ / ٨) في تأليفه - ها هو في (الخاتمة) يستخلص من آثار ذلك الجهد العظيم ما تسيل به أسلأت قلمه طبعاً لا تطبعاً فصلاً متمماً حقاً .

و « العرب » وقد اختصها الأستاذ الكريم - اختصاصاً إفضال خال من كل شائبة - بتقديم جل أبحاثه لقراءها - اعتباراً من شهر المحرم سنة ١٣٩١ (العرب س ٥ ص ٦٧٤) حتى أكملت بهذا البحث ثمانية وخمسين فصلاً - لا تروي غضاضة في الإدلال على الأستاذ - وقد عرفته الكريم المتسامح - فتستبدل بالعنوان الذي وضعه ما اختارته من عنوان بلبل انتباه القاريء وأن نضع بعض العناوين الفرعية .

ولئن كان كتاب « معجم المطبوعات » ثمرة جهد عظيم ، وخلاصة دراسة مركزة شاملة ، ونتيجة خبرة ومعرفة ونظرات صائبة - وهو كذلك حقاً - فإن هذا الفصل الذي ختم به ليس خلاصة تلك الثمرة ، ولكنه قطف شهبي من تلك الثمار اليازمة . وما على القراء - وسيكون الكتاب بين أيديهم في وقت قريب - سوى استخلاص ما يختارون من طيب ثماره [.

الخاتمة :

في هذه الخاتمة خلاصةً لنظرة ربما سبقت ١٣٤٤ / ١٩٢٥ ، ولنظرة بلغت ١٣٩٠ / ١٩٧٠ وليس هذا المهم فيها فقد كان ذلك في المقدمات الثلاث والتمهيد ،

وفي طول الكتاب وعرضه ؛ وإنما المهم فيها الإطالة على ما بعد الحدّ المحدود للنهاية ، وما كان من شأن التطور ، وما حسن أن يكون . وقد أبدى المؤلف شيئاً من ذلك لدنّ إعادته النظر في الحلقات وهو يُحوّلها إلى كتاب من رأي لم يكن قد أذاعه ، ومن خبر لم يكن قد تهيأ له ، ومن حدث لم يكن قد حصل ، ومن مؤلف جديد لمؤلف من الأسماء التي وردت في مكانها من حروف المعجم ، أو طبعة ثانية أو ثالثة لمطبوع سابق أو إحياء لمادة كان منتظراً جداً أن تُبعث في كتاب ... وقد اقتنع صاحب المعجم بضرورة إثبات ذلك مما قد يرى زيادة وما هو بزيادة في غير موضعها ، وألزم نفسه بأن يخبر مراجعه بهذا الذي فعل ، ومهد له سبيل تمييز هذا (المضاف) من المضاف إليه .

حتى إذا أتى الخاتمة وجد أشياء يمكن أن تُقال ، ووقف على جديد يمدّ من تيار التأليف ، ويهيئ لما بعده فرأى ذلك شرطاً في وجود هذه الخاتمة ، فعمل على ذكره وإن كان خارج الحدّين المقررين بين البداية والنهاية ، أو لأنه خارج عن الحدّين ، وما هو بخارج على وجه الدقة لأنه نتيجة لهما وانبثاق عنهما وإلحاق بهما فهو إذ ينير المستقبل يُنير الماضي كذلك .

وطبيعي أن تأتي وقفته في حدود الإمكان ، وحدود الإمكان تعني ما تفرضه الغاية التي قامت الخاتمة من أجلها ، وما هو مُتَهيّئٌ لصاحب المعجم منه وهو بعيد عن مواقع الأحداث مستعيناً بما يوجد عليه (الخيرون) من هدايا ، ويطلع عليه مباشرة بوسائل الاطلاع على البعد ، وهو لا ينبغي يشكر الخيرون للخير ويذكر الوسائل - حتى ما جاء منها مصادفةً - بالفضل .

والمؤلف إذ يتقدم بهذا البيان لقارئه الكريم فإنما يكرر رجاءه في التنبيه على التقصير والإشارة إلى المصدر الذي يملأ الثغرة ... ولعله يضمّر تحميلة جزءاً من المسؤولية . ويبقى باب المسؤولية مفتوحاً ما بقي باب المعجم كذلك ...

ومن أجل أن أقول لك كل شيء ، تأكيداً لما قلّت ، وزيادة عليه ... أقول إن الخاتمة ليست خاتمة ، لأن كتاباً كمعجم المطبوعات العربية السعودية في ظروفه

كلها ، وفي كونه استدراكاً لفائت ، وتأخراً عن وقت العمل ، وبحثاً عن ضائع ، وسعياً لإعطاء أوسع الصور الموسوعية ونهضة إحدى الخدمات للباحث سعودي كان أم غير سعودي ، وما كان حظ السعودي إزاء مطبوعاته بأحسن من حظ غير السعودي ؛ ومن هنا وجب التفصيل . ولأن المؤلف غير سعودي ومن شأنه في هذا أن يُعنى بما لا يُعنى به السعودي وأن يرى زوايا تخفى على السعودي ازدادت التفاصيل ووجدت ضرورتها ، وما كان حظ غير السعودي في هذا بأوفر من حظ السعودي .

الموضوع واحد : هو المطبوعات ، والغرض واحد : هو خدمة الباحث . والباحث قد يكون سعودياً مُقيماً في أرجاء المملكة ، وقد يكون غير سعودي أقام في المملكة حيناً أو لم يُقيم ، وكلهم في الغاية والموقف سواء .

ثم إنَّ المعجم لا يُؤَلَّفُ لأبناء اليوم وحدهم ، وإنما هو للقادمين الذين سينقبون عن أمور ننقب عنها اليوم وأمور لا ننقب عنها ولا نقدر ثمنها . ولا بُدَّ من خدمة القادم والمستقبل على مقدار خدمة المقيم والمعاصر ... والحال بهذا الشرط صعبة ، يدرك أعباءها من زاولَ البحث ، وأُلِّفَ في موضوع أو أكثر ، ونظر إلى أنَّ البحث كل واسع وعالم فسيح متشابك ، وأنه الحضارة بجوانبها وأكنافها ، وسطوحها وأعماقها ، ما ظهر منها وما بطن ، وما كان وما سيكون .

وإذا كان الأمر كذلك - وهو كذلك - ألزم صانعُ معجم للمطبوعات نفسه أشياء كثيرة وقد تبدو خارج ما يلزمه . وهي فعلاً خارج ما يلزم صانع معجم مكتبي (بيبليوكرافي) صرف ، والمكتبي الصرف محدود جداً بقواعد مقررة (جامدة أحياناً) لا يَهْمُهُ منها إلا إيفاؤها قوانينها - حتى لو كان ذلك شكلياً فقط . وكثيراً ما كان المكتبيون مكتبيين فقط ، وربما لم يخرجوا عن حدود المنضدة التي يجلسون وراءها وإزاءهم المطبوعات التي أتى بها إليهم التسويق وفيها من كل فن مما يعرفون كنهه أو لا يعرفون . وأساسُ مِلءِ البطاقة (الكارت) لديهم نظرة على ظاهر الأشياء بين العنوان والفهرست . وهم في هذا - وليس في القول غمطاً - لحقوقهم وتقليل لخدمتهم ، ولكنه تشخيص لواقع الأمر ومتطلبات واقع الأمر -

لا يرون ما وراء حدود عملهم ، ولم يعانون ما عاناه الباحث في موضوع حضاري
عموماً أو أدبي خصوصاً . وهذه نقطة لهم وعليهم . لهم لأنها تسهل مهمتهم وتجعلهم
(منهجين) جدّاً ، وعليهم وقد صار الأمر في ذلك واضحاً . وإذا وُجِدَ شاذٌّ
وقد يقع الشيء وعكسه .

ولم يشأ صانع « المعجم » عندما كان باحثاً وأراد أن يكون باحثاً وعامل
(ببيكرافية) مطبوعات معاً ... أن ينحسر نقطة (البليوكرافي) المكتبي الصرف ،
فقد وفّأها حقّها وزيادة . وفّأها بأن تابع قوانينها المقررة المنهجية : اسم المؤلف ،
اسم الكتاب (المطبوع) ، مكان الطبع ، اسم المطبعة ، تاريخ الطبع ، عدد الأجزاء ،
المحقق إن وُجِدَ ، الناشر إن وُجِدَ ، المترجم إن كان ... عدد الصفحات ...

وماذا يعمل المكتبي المختص أكثر من هذا ؟ لا يعمل . باستثناء ما يلجأ إليه من
تبويب ونظام عشريّ ومُستلزمات (ديوي) كما هي أو كما تَطَوَّرَتْ ودَعَتْ
ضرورة إلى تعديلها . وهذه إن كانت عملاً مكتبياً فلها مخاطرهما في اضطراب التبويب
أحياناً وتداخل الموضوعات واختلاف المكتبيين أنفسهم في درج هذا المطبوع في
هذا الباب أو ذاك . ثم إنهم كثيراً ما يعتمدون على المظهر : العنوان ، الفهرس ،
نظرة عابرة على مجموع المطبوع الذي يقع بين أيديهم ... وإلاّ فمحال — أو صعب —
عليهم أن يطيلوا النظر في مادة الكتاب ، ومحال أن يختصوا بالعلوم كلها .. وكلما
سعوا — هم أنفسهم — بحثاً عن كتب مضى بها الزمن ، ولم تجد من يجمعها أو يعرف
بها قبلهم فضاع منها الكثير ، ومنها ما بقي اسماً ، ومنها ما فقد الاسم مع الجسم .

عمل المكتبيين — الموظفين في المكتبات — مشكور نافع ، وإلاّ لما كان ، وإنما
هو محدود بالوظيفة نفسها ، وهو على أيّ حال غير العمل المعجمي ، وغير ملزم
للمعجمات ، ولربما خرج بها قليلاً — أو كثيراً — عن المعجمية ، والأصل في
المعجمية (الموسوعية) الترتيب الهجائي المطلق .

لقد جدّ صانع « المعجم » أن يكون مثل المكتبيين ، وكأنه موظّف معهم فسجل

ما يلزم تسجيله عن المطبوع في اسمه واسم مؤلفه ... إلخ ومن هنا كانت استفادة الآخرين من المكتبيين بعده .

وزاد على ذلك أموراً ليست من مألوف المكتبيين ومن قواعدهم المقررة ، وربما لم يكن في مقدور الكثيرين منهم ؛ فلم يكتف بعدد الصفحات وإنما ميّز فيها ما كان للمقدمة ، وما كان للناسر ، وما كان للفهارس وجداول الخطأ والصواب ، وما كان غير داخل في الأرقام ...

وزاد أن توسع في التعريف بفحوى الكتاب ، وما توسع به المؤلف نفسه خارج موضوعه لقصد أو لجهل بالمنهج ؛ وكثيراً ما سجل - صاحب المعجم - الأبواب البارزة والفصول ذات الدلالة ، وألزم نفسه نقل سطور ذوات دلالة من المقدمة وهو المنهج الذي لم يُسبق إليه - فيما يعلم - ومن هنا كانت استفادة المكتبيين بعده ، كما حدث للأستاذ عناني الذي لم يشر إلى مصدر سابق عليه - وذلك مؤسف ، ولا بأس ، وحسناً فعل إذ أفاد ، وآمل أن يقتدي به مكتبيون آخرون ، فليس المفروض بالمكتبي أن يبقى جامداً عند حدود درسها ذات يوم ضمن مفهوم خاص وفي بلد خاص . نتمنى دائماً للمكتبيين المرونة وسعة الأفق والقدرة على التصرف ... والثقة بالنفس وبالمهمة الجليلة التي يؤدونها مع شرط أن يكونوا مكتبيين عن رغبة واستعداد وطموح ...

إن زيادة العلم بالمطبوع ، وزيادة الكلام على فروع محتوياته ... وعلى منهجه ومصادره إن وجدت ، وأمانته أو خيانتة ، وخلاصة رأيه ... كل أولئك أمور مهمة في عالم البحث ، يدركها من كانت له أقل مزاولة فيه ، فقد يكون الكتاب غير متيسر ، فقيد مع الزمن ، وهذا من الأحوال المتكررة في عملنا ، وقد يكون الباحث بعيداً عن موطن الكتاب على مسافات شاسعة لا تسمح له بسهولة الوصول إلى المطبوع ... فإذا استشَفَّ من « المعجم » أهمية خاصة لذلك المطبوع في بحثه عمل المستحيل في الوصول إليه ولما بقي عمله ناقصاً ، وإذا لم يُقِصْ مضجعه النقص من أجل الحقيقة فسيقض مضجعه مهاجم لا بد أن يقع على هذا النقص ، وله علم بالمطبوع الذي كان على الباحث أن يرجع إليه .

ومن أجل هذه الحقيقة التي يدركها من كانت له أقلُّ مزاولة للبحث ، فضلاً عن حقيقة السعي إلى استكمال أكبر ما يمكن من جوانب الحديث عن المطبوع ، عمل صاحب « المعجم » - قدر الإمكان - على التعريف بالمؤلف في ميلاده (ووفاته) ومجمل تحصيله وما حصل له وخلاصة اهتمامه ، وإلماح إلى خلقه بين العدالة والخور ، والسماحة والتعصب ، والموضوعية والانحياز .

لقد بذل صاحب المعجم في ذلك جهداً خاصاً وتحمل جهداً كان في غنى عنه فرجع إلى المصادر والدراسات ، المتقدم منها والمتأخر ليفي - ما أمكن - من مستلزمات هذا الشرط الذي رآه لازماً ، ولم يفكر فيه يوماً المكتبيون بالمعنى الرسمي للوظيفة . والتعريف بالمؤلف يبيّن أهمية كتابه في بحث من البحوث ، ويبين قيمة هذا الكتاب ، ولا شك في ترابط الكتاب وصاحبه . فهل كان المؤلف مختصاً بما أَلَفَ ؟ وهل كان شاهداً ؟ وهل كان أصيلاً ؟ أهو ناقل ، جماعة ، سرّاقة ... فإذا كان ثانوياً أو ثالثياً قلّ شعور الباحثين بتجشّم المستحيل من أجله ، وإلاّ شدّوا الرّحال وأوغّلوا في السعي .

أجل فالكلام في « المعجم » - هنا - ليس تطويلاً جيئ به للكلام فقط ، أو لتضخيم العمل أو للإسهاب والزيادة التي لا لزوم إليها : إنه جزء لا يتجزأ من العمل نفسه في وسيلته وفي غايته .

وقد سعى صاحب المعجم إلى جمع (المعلومات) من هنا وهناك وعرضها كما هي في مراجعها حتى لو تناقضت ليكون الباحث الذي يراجع المعجم على علم بالأشياء كما هي . وكان من عوامل أسفه أنه لم يجد التعاون اللازم من المؤلفين السعوديين ومن العارفين بشؤون المؤلفين ليوفي هذه الخطوة نصيبها وليحفظ للأجيال القادمة في الزمان ، البعيدة في المكان ، ما كان ضائعاً أو شبه ضائع ، وما يمكن أن يضيع وأشبه بأن يضيع .

وبصِل صاحب المعجم مؤلفيه بكتبهم ، وبصلهم هم وكتبهم بالموضوع السائد من أدب وتاريخ أو فقه ... وبالعصر والمعاصرين ... وما سبقهم وما لحقهم .

ثم إنه - أي صاحب المعجم - لم يكن آلة (أو كبيوتر) يقف عند حال الكتاب المادية ويسطر ما قاله الآخرون وإن كان تسجيل ما قالوه حسناً ومفيداً... وخاصلاً، وإنما هو باحث في بعض من وجوه البحث، ولتذكر أنه جاء إلى المعجم باحثاً قبل أن يأتيه مكتيباً. وللباحث رأيه فيما يقرأ وفيما يتجمع لديه عند تواتر الأحداث وتلاقي الأفكار، ومن هنا كان حقه في الحكم، بشرط الاعتدال والتأكد والثاني والاكتفاء بالعبارة المركزة مع إشعار مراجع المعجم بأن هذا هو رأي صانع المعجم يعرضه على صورة تميزه من آراء الآخرين، وله، بعد ذلك، قبوله أو رفضه. وكان صاحب المعجم من الاحتياط بحيث يَبْدُوُ بخيلاً بأحكامه، شحيحاً بكلماته حتى في الحالات التي تقع في الحقائق الثابتة أو التي تدخل في التّمني غير ممكن الوقوع...

صانع المعجم باحث... قبل أن يكون مكتيباً، وباحث أدبي قبل أن يكون باحثاً في شؤون الفقه أو التاريخ... ولكن صنوف العلم مترابطة ولا يأتي الأدب معزولاً عن التاريخ نائياً عن الفقه... أو معزولاً عن المطبعة والطبع (خارج البلاد وداخلها) أو الجريدة والمجلة (داخل البلاد وخارجها)... ما كان رسمياً وما كان أهلياً... أو أن تكون الـ ١٣٤٤/١٩٢٥ مقطوعة قطعاً باتاً عما قبلها، وما كان الحجاز وما فيه من العلم في الحرمين ومن عوامل النهضة الحديثة ليشغله عن نجد، وتشغله نجد عن الأحساء، وتشغله الأحساء عن عسير، عن جازان...

البحث متكامل الحلقات مترابط العناصر... وقُلْ مثُل ذلك بالعام ١٣٩٠/ ١٩٧٠، فما هو بالحدّ الفاصل القاطع، المقطوع بسكين عما بعده... في كل شيء ولاسيما في المؤلفين الذين مازالوا أحياء يواصلون التأليف والكتابة ويعيدون الأجزاء أحياناً أو يعيدون الطبع مع التنقيح أحياناً. بل إنَّ من مؤلفي ١٣٤٤ - ١٣٩٠/ ١٩٢٥ - ١٩٧٠ من ألف خلال تلك السنوات وكتب المقالات الكثيرة ما تَكُونُ لوجمعت - وفيها المتسلسل - كتاباً، أو نظم من الشعر ونشر من القصائد الكثيرة - أيضاً - ما لو ضُمَّ إلى بعضه لجاء ديواناً... ومثل ذلك شأن المواد الأخرى من

فقه وتاريخ ... وترجمة . ولكنهم ، لسبب وآخر ، لم يعملوا هذا الكتاب المطلوب الذي يجعل منهم أصحاب مطبوعات تدخل على وجه مكتبي في معجم المطبوعات الذي احتوى مَنْ هم أَقَلُّ شأناً ، وأقل - أحياناً - كثيراً . وإذا ضَحَّى المكتبي وهو مرتاح الضمير بأولئك المؤلفين الذين كان لهم تأليف ولم يكن كتاباً ، فلا ولا يمكن أن يرتاح بآل الذي جاء إلى مَعْجَمَةِ المطبوعات باحثاً . أن لا يذكر المؤلفين الذين لم يطبعوا كتاباً خلال ١٣٤٤ - ١٣٩٠ ولكنهم كانوا في الحركة العلمية أعضاء مهمين بل رُؤَاداً وأعمدة نهضة - يذكرهم في تسلسلهم الهجائي مع الإشارة إلى الأسباب الموجبة لذكرهم ، والإحابة بهم إن كانوا أحياء ، وبذويهم وذوى المسؤولية عن الطبع والنشر إلى جمع المتناثر وحفظ الضائع وإصدار الكتاب اللازم أو الكتب اللازمة .

ولم يكن صاحب المعجم ليصدر في ذلك عن خيال ، وإنما كانت الحقيقة ماثلة أمام عينيه ناصعة . وحسبك أن يكون من أولئك مثلاً :

عبد الوهاب آشي ، حمزة شحاتة ، عزيز ضياء ، محمد عمر عرب ، عبد العزيز مؤمنة ، أحمد ابراهيم الغزاوي ، أحمد العربي ، عبيد مدني ، محمد علي قطب ، سيف الدين عاشور ، محمد العامر الرميح ، مقبل العيسى ، حمد الحِجِّي ... محمد بن عبدالله بن حميد .. *مركز تحقيق كاتيب عروم ردي*

ولك في الدوائر (●) التي تسبق أسماءهم في المعجم دليلاً عليهم ، وسترى أن سَبَقَ صاحب « المعجم » للأحداث لم يكن وَهْمًا ففهم من طبع كتاباً أو أكثر وفيهم من سَيَطِيع له كتاب أو أكثر ... وستدلك الدائرة (●) كذلك على كتب أخرى أُلْفَتْ أو كُتِبَتْ خلال الطرفين المقررين لمادة المعجم ودخل أصحابها المعجم ولكنها لم تدخل لأنها لم تنشر في ذلك المَدَى وإنما نشرت بعده - وهي منه ، والأمثلة كثيرة وانظر مثلاً : أحمد سباعي ، محمد سعيد العامودي ، محمد حسين زيدان ، وحسين سِرْحَان ، أحمد بن محمد المنقور ، عبد العزيز الخويطر ... - ولا تسل عن الجاسر .

وليست هذه المؤلفات بالقليلة الشأن وما أصحابها بخارجين عن طبيعة الأشياء - إن كان إدخالها بعد التاريخ المحدد خروجاً على قواعد جامدة يقيد بها المكتبيون أنفسهم . فهذه الزيادة من حقوقنا - وحقوق أصحابها ولا يصح فيها المثل القائل : الزائد كالناقص .

ثم إن الذي نهيأ له أن يطبع كتابه عام ١٣٩١/١٩٧١ لا يعني أنه لا يَمُتُّ إلى ما قبل ذلك بعام أو نصف عام أو عَشْرَ عام ؛ ولا بُدَّ من عودة النهاية على بداية جديدة .

ثم ما رأيك وقد حَفَلَ المعجم بمؤلفين جاءت كتبهم متأخرة ولكنه لم ير بُدّاً من الحرص عليها والوقفة عندها إتماماً واستكمالاً وضرورة وحسبك أنها صارت مرجعاً يأخذُ منه ، ويحيل عليه ، ولا غنى لباحث بعده عنها ، ويأتي في طليعة ذلك كتاب عبد الله البسام - « علماء نجد خلال ستة قرون » (١٣٩٨) . والفوزان - « الأدب الحجازي الحديث » (١٤٠١/١٩٨١) .

أما الذين دخلوا المعجم ولم يكونوا سعوديين أصلاً ، وهم غير قليلين عدداً أو شأنًا ، فلا نُعيد الدفاع عن وجودهم ، فأكثرهم حصل على الجنسية السعودية ، ويستوي في ذلك الذين حصلوا والذين لم يحصلوا تأثراً أو تأثيراً بالحركة الفكرية للبلاد ، ولولا هذا الفعل الواقع لما كانت (الورقة) وحدها إذناً لهم في الدخول . وقد أوضحنا ذلك في المقدمة مستشهدين بعدد من الأسماء ، ورد فيها اسم الشيخ إبراهيم الشورى ، ووروده صحيح . ونزيد هنا خبر وفاته ، فقد نعت « الفصيل » (عدد ذي الحجة ١٤٠٤ / أيلول/سبتمبر) ١٩٨٤ : (عن عمر يناهز الثمانين عاماً ، حيث ولد ... عام ١٩٠٠) وذكرت أعماله ومؤلفاته . وكان آخر عمل له : مدير الإدارة الثقافية الإسلامية برابطة العالم الإسلامي .

وتأتي - هنا - فائدة التعريف بالمؤلف ، وبالمطبوع ليعين المعجم لمراجعة مدى صلة هؤلاء بالمطبوع السعودي والسعودية ومدى انفصالهم فيكون في ذلك - بعد الذي كان من أمر الحدِّ الزمني - على علم بما يأخذ وما يدع ... وليَقِفْ تلك

الوقفة عند مؤلفين أقاموا حيناً محدوداً في السعودية منتدبين للتدريس أو لغيره ،
لاجئين للسياسة أو لغيرها ، فألَمُوا بشؤون من السعودية ما لم يتهياً لهم وهم بعيدون ،
وما ربما لم يتهياً لأبناء السعودية أنفسهم . ووجب - حينئذ - ذكرهم في التسلسل
الهجائي مع بيان درجة الاتصال أو الانفصال .

ولم يكن المدى - أي مدى - بخاف على أيِّ تراجع المعجم ، ويكفي ما يراه
إزاء المؤلف والكتاب من تعريفٍ وتاريخٍ ثم ما سبقت الإشارة إليه ، وتكررت تلك
العلامة الفارقة التي تبين له كل ما من شأنه الخروج قليلاً - أو كثيراً - عن الحدَّينِ
المحدودينِ في الزمان ، أو عن الأقطار التي وحدتها كلمة السعودية في المكان ،
تلك العلامة - وقد عرفتُها وألفتُها - الدائرة (●) التي تصدر مثل هذه الأسماء
من مؤلفين أو من مطبوعات ... زيادة على تنبيهات في المقدمة تسبقها قائمة الرموز
والمختصرات ... وتلحقها الخاتمة .

أجلّ ، ولنتذكر أن صاحب المعجم جاء المعجم باحثاً قبل أن يكون مكتيباً .
ولهذا كان قد ألقى برأيه في هذا الكتاب أو ذاك ، وفي ذاك المؤلف أو هذا من
شؤون ليست أدبية فما أولاه بشأن أدبي وبشيت (انطباع) اكتسبه خلال مطالعة
أو معايشة أو تأمل في قيمة البحث الذي قام عليه المطبوع ، ودرجة الإبداع التي
تقدم بها الشاعر أو المقالي أو القاص . وله من اهتمامه الأساس بالأدب والنقد الأدبي
ما يؤهل لمثل هذا الحكم وهذا الانطباع بشرط أن يأتي الرأي مُتصلاً بالحركة العامة ،
موازناً بين الخاص والعام ، ملاحظاً الظروف والتطور ، وأن يُعَرَّضَ بصيغة
تدل القاري - أو المراجع - على أنه رأي صاحب المعجم وليس رأي الآخرين ...
الذين احتفل بهم في حدود المتهيّ الممكن كذلك .

إن الرأي يخدم القاري لأنه مخلص ، وثمره تجربة وفي تجرد مطلق ، ثم يخدم العمل
بوجه من الوجوه إذ يزيد - وخاصة لدى التقائه مع أخبار أخرى واتصاله بآراء
أخرى - طراوة تخرجه من جفاف المكتبة الصرفة ، وربما أغرت هذه الطراوة
(الناس) بقراءة المعجم أو قراءة مَوَادٍّ منه أو صفحاتٍ منه على أنها صفحات من

كتاب مؤلف تأليفاً أدبياً فيستمرّون في القراءة ... وإذ يستمرّون يزدادون قُرْباً من مادة المعجم وعلماً بالمطبوعات وأصحابها . وهذا قصدٌ انبثق لدى صاحب المعجم على مرّ الزمن فاستحلاه وراه يجمع بين الفائدة والمتعة ، ومن هنا لم يعدم في أفاضل الناقدين من استطاب المنهج أو مَنْ وصفه بالأدبي ... ومن أَيْدٍ بِرأيه ما أراد إليه مؤلف المعجم نفسه .

وتبقى مسألة البحث والتأليف في الأدب السعودي .

واقترح أديب فاضل كريم سعودي – هو الأستاذ عبد العزيز الرفاعي ، ولم لا نذكر اسمه نصّاً – على صاحب المعجم – وقد رأى في المعجم ما يبعث على حسن الظن – ، اقترح على صاحب المعجم أن يؤلف في الأدب السعودي أو في موضوع من موضوعاته : الشعر أو القصة ، أو المقالة ... أو ما إليها ومنها . وكان الباعث على الاقتراح موضوعياً مخلصاً ، فقد رأى الأديب الفاضل الكريم صاحب المعجم في معجمه فاقنتع – وهو العالم جيداً بشؤون الأدب السعودي فضلاً عن ريادته في جيله – بقدرة صاحب المعجم على التأليف في الموضوع السعودي . والرأي صائب ، والنّية حسنة ، والاقتراح مخلص مَسَّ من صاحب المعجم قصده الأول في غرضه من المعجم فَمَسَّ جرحاً – وهو لا يدري – وقلّ من ضرب على وترٍ وهو يدري .

أجل كان في رغبة صاحب المعجم أن يؤلف في الأدب السعودي ، وربما بلغت الرغبة مبلغ المُنِيّة بعدما اكتسبت دواعي الضرورة والمنهج ... ولكنه لم يفعل ، لأنه رأى أن يأتي المعجم قبل التأليف . وحيز أَلَفَ المعجم لم تبق الضرورة كما كانت – وربما الرغبة كذلك – ومن هنا كان اعتذاره الصادق إلى صديقه الأديب السعودي .

شكراً عزيزي الكريم ... فالذي لديّ لا يُؤْهِلُ للتأليف المختص إن في الشعر وإن في القصة وإن في المقالة ... وإن ... وإن في النقد الأدبي . إن الذي لديّ آراء تكونت من قراءات متفرقة في هذا الديوان أو هذه المجموعة أو هذه المجلة ، وقد ثَبَّتْهَا – راضياً – في ثنايا المعجم لأنها ممكنة التثبيت على تلك الصورة . أما التأليف فشئ آخر – كما تعلم .

ولم أزدُ ... لِعلمي بعلم الأستاذ الفاضل الكريم ، ولو أردتُ الزيادة لأشرت إلى التطور الذي جرى بعدي كمّا وكيفاً ، ولابدُّ لمن يتصدّى للتأليف من إلمام علمي به ، وهو خارج الطاقة ... ثم - وهذا هو المهم - لبيّنتُ اختفاء الدواعي القديمة التي بدّأ معها التأليف عن الأدب السعودي ضرورة . ولم يكن هذا الاختفاء لأنني لم أعد في السعودية أو لم أعد مدرّساً للأدب الحديث ... يشعر شعوراً صادقاً في أن يدرس الأدب السعودي كما يدرس غيره ، وأن يُدرّس في الجامعة السعودية على الأقل - كما تدرس آداب الأقطار الأخرى ، وكم وجّه اللوم مُصرّحاً ومُلمحاً لأولئك الأساتذة العرب الذين انتدبتهم الجامعة السعودية ، مستعينة بخبرتهم منتظرة التنبّه والتنبيه إلى ما يجب درسه ، فما قاموا بالواجب ، ولا أدّوا الرسالة - فضلاً عن من كان من شأنه الرديء ما كان .

هكذا كانت الفكرة الباعثة الأولى على « المعجم » - وقد تكررت الإشارة إليها بما يمكن أن يؤدي إلى الملل - أما الآن ، فقد تغيرت الحال ، وخفّت الأزمة ، وتولّى (العبء) من هو أهل لأن ينهض به فيسد الثغرة ويرأب الصدع ، ويحل الإشكال ... لقد توطد التقليد الجامعي ، وعاد الجامعيون السعوديون من الخارج ، وتعددت الجامعات وعملت فيها (الماجستير) و (الدكتوراه) ... وما زال سعوديون يسترفدون الدراسة العالية في الخارج ... وهذه حال تؤدّي بالضرورة إلى دخول الأدب السعودي في المنهج الجامعي ، وتؤدي بالضرورة - قبل ذلك وبعده - إلى أن يكون الأدب السعودي موضوعاً للماجستير والدكتوراه ، موضوعاً أو موضوعات ... وقد حصل هذا بحكم الضرورة كما قلتُ ، وحكم طبيعة الأشياء كذلك ... ويجدارة الأدب السعودي نفسه للدرس والتدريس . وحلّت بذلك عقدة من عقد مؤلف المعجم ، فقد تولى المهمة عنه آخرون كرام علماء كاتبون ، وكأنّ تفكيره السابق كان في ظرفه الحتمي أي أنه لم يأت ابتداءً ولم يقم على هواء ، وإنما هو فرع من شجرة غير منظورة الفروع كانت تدفع إلى ثمرة واحدة ، ثمرة البحث والتأليف في الأدب السعودي .

في الوقت الذي كان فيه صاحب المعجم يدير الرأْيَ في (الأدب السعودي) ويداوره و يُنَبِّهُ إلى درسه ويستعد ... ثم شرع جمع المادة يستغرق وقته ولم يلبث أن أغراه بصنع المعجم ... ويذكر بالخير الأستاذ عبدالله عبد الجبار وقد وقع على كتابه « التيارات الأدبية الحديثة في قلب جزيرة العرب » المطبوع سنة ١٩٥٩ ولكن الأستاذ عبدالله وقف عند منتصف الطريق وشغل نفسه - والقاريء - بما هو تمهيد وخارج الموضوع أكثر من الموضوع نفسه - وربما كان ذلك لغرض في نفسه خارج المنهج - . وإذا كان الكتاب لم يبلغ الفكرة ، فإنه أغرى بها ، ولا سيما باللهجة الدعائية التي تبناها - مخلصاً - لدى حديثه وحكمه وتأليفه في ذلك الوقت من النصف الثاني من ثمانينات القرن الهجري وستينات القرن الميلادي ... كان سعوديون خارج بلادهم يتلقون الدراسة العالية وقد قر قرارهم على دراسة الأدب السعودي ، ومنهم من كان في إنكلترا ومنهم من كان في مصر ... : محمد عبد الرحمن الشامخ ، محمد عثمان الصالح ، عبدالله علي آل مبارك ، عبد الرحيم أبو بكر ... والبقية تأتي كلما تقدم الزمن - والخير في البقية - وفيهم - في علمي - محمد بن سعد بن حسين ، وإبراهيم فوزان الفوزان ، وعبدالله الحامد ... ولا يلبث آخرون شُغِلُوا أول الأمر بموضوعات عامة من التاريخ الأدبي ... أن تقدموا خطوات في الشأن السعودي ومن هؤلاء الدكتور منصور إبراهيم الحازمي جاء من « الرواية التاريخية » إلى صحيفة أم القرى والقصة السعودية ، أما الدكتور أحمد محمد الضبيبي فقد جاء من « أمثال الميداني » إلى معجَمَةِ آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب و « حركة إحياء التراث » في الجزيرة ... والقائمة تطول مع الزمن ، ومناحي الدراسة تتعدد ... كما بدأت موزعة على نجد أو الحجاز أو الشرقية ... على الشعر أو النثر أو الصحافة ...

كل هذا جميل ومطلوب وحاصل ... ويبقى في نفس صاحب المعجم (شيء من) الأدب السعودي . هذا الشيء هو الفكرة الأساس التي انطلقت منها فكرة العموم ، عموم الأدب السعودي في مختلف أنواعه ومختلف مناطقه ومختلف أعلامه . فمن يحمل ثقلها عنه ؟

لقد حملها - على خير ما يمكن - باحث سوري كريم هو الأستاذ بكري شيخ أمين الذي هيأت له إقامته مدرساً في كليتي اللغة (العربية والشريعة) في الرياض فرصة الاطلاع المباشر على الأدب السعودي ومصادره عن قرب ، وبجهدٍ طبعاً . وكان من حب الحقيقة بما يجعله كالسعوديين في علمهم بأدبهم وكغير السعوديين فيما يمكن أن يكونوا عليه في النظرة الموضوعية . فإذا لم يكن الموقف موقف اطلاع فقط ، وإنما هو موقف الباحث عن موضوع نادر جديد ، يهب صاحبه الأصالة ، ازداد الأمر خطورة وأهمية . وهكذا كان ، وصار بكري شيخ أمين دكتوراً بحق ، برسالته الضخمة القيمة : « الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية » وقد طبعها (١٩٧٢/١٣٩٢) وبإمكان المرء - قارئاً كان أم طالباً أم أستاذاً - أن يطلع عليها ويفيد منها ويرى سعة عالمها وسعة أفق عالمها .

وماذا كان صاحب « المعجم » يريد أكثر من هذا ؟ ولعله - أي الأستاذ بكري - قد كفر بعمله عن سيئات الآخرين !

ونعود إلى الباحثين السعوديين أنفسهم ، وهم أولى بحمل العبء ، وقد حملوه مُجَزَّأً ، وربما تطلب الجزء خصوصية أكثر مما يتطلبه الكل ... وإذا كان (غريب) مثلي قد أحسَّ بضرورة أن يدرس السعودي أدبه ، فما أولى السعودي نفسه أن يحس بتلك الضرورة خصوصاً عندما يقف على أعقاب دراسة عالية تلزمه بالبحث والتأليف وتدفعه إلى التفكير الجدِّي في الموضوع الذي يمكن أن يبرز فيه . وهكذا كان .

كان محمد عبد الرحمن الشامخ يحضر للدكتوراه في انكلترا ، واختار لنفسه موضوع « النثر الأدبي في الحجاز ١٩٠٨ - ١٩٤١ » وحصل به على الدكتوراه في ١٩٦٧/١٣٨٧ وعاد إلى البلاد مدرساً للأدب الحديث في جامعة الرياض (الملك سعود) وشرع يكتب ويؤلف في موضوعات من الشؤون الأدبية في الحجاز الحديث ذات اتصال تام برسالته فكان من ذلك « الصحافة في الحجاز ١٩٠٨ - ١٩٤١ » و « التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني » والكتابان يدلان على عمق في البحث وإخلاص في التقصي وقدرة على العرض . ثم عاد إلى صميم رسالته ، وكأنه وسَّع

فيها شيئاً فأصدرها كتاباً بعنوان « النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠ - ١٩٤٥ » .

ولئن كانت محاولة عبد الرحيم أبو بكر في حصوله على الماجستير من مصر (رجب ١٣٩٣ / أغسطس (آب) ١٩٧٣) بـ « الشعر الحديث في الحجاز ١٩١٦ - ١٩٤٨ » محاولة فقط ، مقبولة ، شهدت ولادتها وأنا في السعودية يوم كان أبو بكر في قسم (الدبلوم) من طلبة دراسة أصول التدريس بجامعة الرياض ... أجل هي محاولة ومقبولة ، وقد طبع الكتاب مرتين (وتوفي المؤلف - قبل أوانه - بعد أن رأى ثمرة فكرته) .

كانت محاولة ، ولكن الذي في نفس إبراهيم فوزان الفوزان (●) أكثر من ذلك غايةً وباعثاً ، فخطا الخطوة اللازمة التي حدثنا عنها في مقدمة رسالته للدكتوراه (من القاهرة) عن الأدب الحجازي الحديث : (لقد حظى تراثنا العربي الذي خلفته الجزيرة العربية بعناية الدارسين والباحثين على مَرَّ العصور حتي عصرنا الحاضر (...) أما أدب العصر الحديث في هذه الجزيرة فلم يَنَلْ حظهُ من عناية الدارسين كما حظى أدبُ الأقاليم العربية الأخرى .

ونظرة واحدة إلى كتب الأدب وتاريخه في عصرنا هذا الحديث تؤكد لنا هذه الحقيقة ، التي طالما صَدَمَتْنَا وصَدَمَتْ أبناءنا في المدارس والمعاهد العلمية وسائر الجامعات في المملكة العربية السعودية .

ولقد عشت هذه التجربة وعانيتُها ، حين كنت أدرس هؤلاء الطلاب وليس في أيديهم إلاَّ كتب الأساتذة من أبناء البلاد العربية الأخرى ، وفيها الدراسة الوافية لكل ألوان الأدب في تلك البلاد . ولطالما كان هؤلاء الطلاب يسألونني هذا السؤال :

وأينَ أدبنا ؟ أليس للجزيرة العربية أدب في هذا العصر الحديث ؟

وإذا كان كل إنسان يعتزُّ بوطنه الذي ولد في مهده ، ودرج على أرضه ، وشبَّ تحت سمائه ، فإنني لا أنكر هذا الدافع الذي لا ينكره عليَّ أحد .. ذلك أنني من

أبناء شبه الجزيرة العربية ، تلك الأرض التي أعتز بانتسابي إليها ، وأعيش في صميم حياتها الأدبية المعاصرة ، وأقف على مظاهر نشاطها الأدبي ، وأعرف كل ما يمثل النشاط ويسجله من أدباء وشعراء ، وكتب ، وصحف ، وأندية ، ونحو ذلك ، مما قد لا يُتاح لغيري من أبناء البلاد العربية الأخرى .

لهذا كله اخترت هذا الإقليم موضوعاً للدراسة الأدبية ووقفتُ جهدي ووقتي وكل ما أستطيع على التفرغ للكشف عن جوانبه المختلفة (...) .

وكان لعملي في تدريس مادة الأدب لطلاب المرحلة الثانوية في مدينة الطائف أكبر الأثر إلى هذا الاتجاه ، الذي نشأ بدافع القيام بالواجب الوطني والقومي . ثم تحول إلى إعجاب وعشق لأدب هذا الإقليم .

وقد بدأت بجهدي المتواضع منذ عام ١٣٨٨هـ حيث قدمت إلى المطبعة رسالتي للماجستير عن « أدب العواد والقرشي » سنة ١٣٩٠هـ .

ثم تَوَجَّهْتُ إعجابي بأدب هذا الإقليم ببحثي للدكتوراه الذي سجلته عام ١٣٩٢هـ بعنوان « الأدب الحجازي بين التقليد والتجديد » وقد شمل على توضيح شامل لسائر فنون الأدب الحديث منذ بداية العصر الحديث حتى تاريخ الانتهاء من إعداد هذا البحث ومناقشته سنة ١٣٩٦هـ) .

وهكذا وُلِدَ الكتاب الضخم الموسوعي ، وطبيعي أن يأتي موسوعياً ، لأنه الأول في بابهِ ، فبلغ ١٨٠٠ صفحة ، رأى المؤلف لدى طبعه أن يخرج في كتابين الأول - في جزء واحد - بعنوان « إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة » ، والثاني - في ثلاثة أجزاء - بالعنوان الأصلي للكتاب . وصدر الكتابان ١٤٠١/١٩٨١ .

وإذا كانت لَهْجَةُ الباعث الأول على التأليف غيرَ ودفاعاً ودعاوة ماحوطة خلال الكتاب ، فإن ذلك لم يَحُلْ دون الإخلاص في الجمع والاستقصاء والمناقشة والقدر الممكن من الموضوعية ، وقد ربط المؤلف بين الغيرة وسعة الأفق .

ويبقى أدب الحجاز - مع هذا - مجالاً للدراسة وإعادة الدراسة ، في شعبه وتياراته وأعلامه بعد أن استوفى كتاب الدكتور الفوزان عموم الحال .

وواضح أن الشعر هو النوع الغالب السائد حتى لتعجب أن ترى في أدباء الرعيل الأول من لم يَقُلْهُ ، ومن أوَّلَكَ أحمد سباعي . وليس في سيادة الشعر ما يدعو إلى الاستغراب فهو النوع السائد في الأدب العربي كله ، والسائد لدى العرب في نهضتهم الجديدة ، مع مفهوم غير صحيح - فيه متابعة لموروث الفترة السابقة - خلاصته أن الشعر هو كلام موزون مقفّى . وليس هذا بصعب لمن رامه من ملك اللغة وعرف العروض - ولم تَبْدُ (الموهبة) شرطاً أساساً .

ويلفت النظر كثرةٌ عجيبة من الأدباء برزوا في الحجاز طليعة أدبية ومظهر نهضة حديثة . الأسماء كثيرة ، تجد أمثلتها البارزة في كتاب « أدب الحجاز » :

عبد الوهاب آشي ، محمد صبحي ، محمد حسن عواد ، محمد عمر عرب ، محمد صلاح خليدي ، عبد القادر عثمان ، محمد سرور الصبان ، محمد جميل حسن ، حامد كعكي ، محمد سعيد العامودي ، عثمان قاضي ، محمد البياري ، محمد علي رضا ، عبدالله فدا ، محمد شيخ حمدي .

وتبحث عن أكثرهم بعد قليل من تأليف الكتاب فلا تجدهم ولا تجد لهم أثراً . وإذا أردت الدقة فإن الذين بقوا أدباء - والأدب غالب عليه - قليلون في طليعتهم محمد حسن عواد . قلتُ في طليعتهم مع أنه لم يبق إلا محمد سعيد العامودي وربما محمد عمر عرب .

— لماذا ؟

— ليس المفروض بالكثرة من الأدباء - في كل عصر ، ولا سيما عصور النهضة ، وأزمان الموت الجديدة - أن يبقوا أدباء ... في الساحة الأدبية .

ثم إن الأدب - كما ورد على لسان الأدباء مراراً ، حرفة خاسرة ، وَجَدَّ في

أمور الحياة في الوظيفة الحكومية والعمل التجاري ما يُغري . وإلاّ أين يكون محمد سرور الصبان لو بقي أديباً ولم يدخل وظائف الدولة والعمل التجاري ؟

وقد يكون لتغير الحال من هاشمي إلى سعودي أثر من الآثار .

وأحسب أن من الذين اجتذبتهم التجارة : حامد كعكي ومحمد علي رضا ...

وفي الأسماء من (يستحيل) عليك أن تعرف مكانهم .

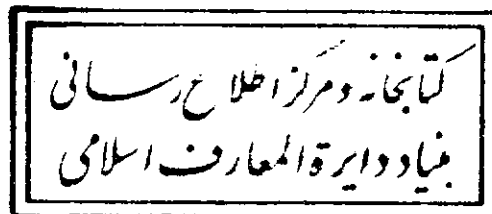
وكرر كتاب « وحي الصحراء » أسماء وردت في « أدب الحجاز » وزاد ، وزاد ، وما أكثر الذين اختفوا من عالم الأدب بين تلك الأسماء ، فأين أمين بن عقيل مثلاً ؟ وأين عمر صيرفي ؟ وعبد السلام عمر ؟

وآخرون بقوا على علاقة بالأدب ولكنهم إلى البعد أقرب ، ومنهم أحمد العربي ، وعبد الحميد عنبر وعبد الحق نقشبندي وعمر عرب .

ومنهم من بقي والأدب غالب عليه : أحمد سباعي ، أحمد قنديل ، محمد سعيد العامودي ، حسين سرحان ، عزيز ضياء ، عبد القدوس الأنصاري ، وهذه الصلة درجات ، وهنا نذكر محمد حسن كتبي وحسين سراج وعلي حافظ ومحمد حسن فقي .. وإذا كان « وحي الصحراء » قد تناسى محمد حسن عواد فقد عوضه بمن تناساه « أدب الحجاز » : أحمد إبراهيم الغزاوي .

ولم يرد حمزة شحاته في الكتابين وهنا لا بدّ لاستكمال الصورة من الرجوع إلى كتابي عبد السلام طاهر الساسي : « شعراء الحجاز ... » و « الشعراء الثلاثة » . — وفي الذكر والتناسي صورة لما كان بين الأدباء من (حزازات) — لا بأس بدراستها مع دراسة أسباب الظهور والاختفاء . وقد يعود إليها الدكتور الفوزان على وجه من الوضوح والتوضيح .

ونالت نجدُ حظاً من الدراسة الأكاديمية فقد حصل محمد عثمان الصالح على



الدكتوراه من انكلترا (كلية فتروليام - جامعة كيردج) في سبتمبر ١٩٦٦/١٣٨٦
بـ « الشعر الحديث في نجد » - منذ بداية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى أواخر
الخمسينات من هذا القرن الميلادي . ولكن الدكتور الصالح لم ينقل رسالته إلى اللغة
العربية .

وأبدى الشيخ محمد بن سعد بن حسين اهتماماً خاصاً بالأدب الحديث في نجد
فأصدر فيه كتاباً بهذا العنوان لا يفي الموضوع حقه من شرائط المنهج العلمي في
الدراسة ، ولو عاد إلى الموضوع اليوم بعد أن صار دكتوراً ، وشرع يتولى نقد الكتب
السعودية الصادرة لأخرجه مخرجاً جديداً .

وأصدر الدكتور عبدالله الحامد : « الشعر في ظلال دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب
١٣٩٩ » لم يلبث أن ظهر أنه جزء من كتاب عاد به الدكتور الحامد إلى الميدان العام من
بحث الأدب ودل على ما يسوغ هذه النظرة وأوضح في المقدمة ما يقنع بصحتها ،
فقد صدر الكتاب كاملاً سنة ١٤٠٢/١٩٨١ بعنوان « الشعر في الجزيرة العربية خلال
قرنين ١١٥٠ - ١٣٥٠ » وقد سار فيه على المنهج العلمي للدراسات الحديثة متمتعاً
بأفق واسع .

أما المنطقة الشرقية فقد تولى القيام بدراسة أدبها (ضمن مجموع شرقي الجزيرة)
عبدالله علي آل مبارك - وهو من أبنائها - فحصل - من مصر - بدراسة الشعر على
الماجستير وبدراسة النثر على الدكتوراه .

وتبقى في دراسة المنطقة الشرقية نقطة كانت واضحة في كتاب عبد الرحمن
العُبيد « الأدب في الخليج العربي » : طلائع نهضة ونشاط شباب وتجديد ... ولكنها
فُرت وكادت تخمد - لماذا ؟

ونسأل عن الجنوب ، وفي علمي كتاب جامع عنوانه : « الحياة الفكرية والأدبية
في جنوب البلاد السعودية من سنة ١٢٠٠هـ إلى سنة ١٣٥١هـ درس فيه صاحبه الأستاذ
عبدالله بن محمد بن حسين أبو داهش منطقتي تهامة وعسير ، وحصل على الماجستير من

جامعة الرياض وصدر عن دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام - الرياض ١٤٠٢ /
١٩٨٢ ، ٤٢٠ ص .

ولك مع الماجستير والدكتوراه داخل المملكة السعودية في جامعاتها العديد من
البحوث في الأدب السعودي ... والإقبال في تزايد وماتزال الموضوعات غزيرة
وتتعدّد بكثرة ...

وطبيعي ألاّ يقتصر الباحث الأدبي السعودي على أدبه وحده ، وهذا ما حدث
ورأيناه بدءاً بالدكتور منصور إبراهيم الحازمي والدكتور أحمد محمد الضبيب ...
وليس لهذه البداية نهاية ... خارجاً وداخلاً ...

وطبيعي كذلك ألاّ يكفّ غير السعوديين - ممن تنهياً لهم الإقامة العلمية في
السعودية - عن تناول الأدب السعودي أو جوانب تروقه منهم أو تهمهم . وهذا
ما حدث ، ولكنه - وللأسف - لم يتجرّ كما جرى على يد الدكتور بكري شيخ أمين
من الإخلاص والدقة والتأني في الحكم ، وإنما جاء أقل عمقاً ، وأقل انسجاماً ، ولك
أن تنظر مثلاً في كتاب « شعراء السعودية المعاصرون » للدكتور أحمد زكي كمال -
الرياض ، دار العلوم للطباعة والنشر ١٩٨٣/١٤٠٣ ، وكتابي : « أدباء السعودية »
و « قراءة في ديوان الشعر السعودي » للدكتور يوسف حسن نوفل . الأول عن دار
العلوم ، الرياض ١٩٨٣/١٤٠٣ والثاني عن النادي الأدبي في الرياض ١٤٠٢ .

وكان الدكتور علي مصطفى في كتابه « المذاهب الأدبية في الشعر الحديث
لجنوب المملكة العربية السعودية » - جدة ، تهامة ١٩٨٤/١٤٠٤ ، أكثر إحاطة
ومعاشة ولكن لم يبلغ ما بلغه الدكتور بكري شيخ أمين أناته وحذرًا ونضجاً .
وكثيراً ما جازف بالرأي ، وبالغ في الاستحسان وتكلف المصطلحات الغربية ،

وأقبل على الموضوع سوري آخر هو محمود رداوي (مدرس في المدارس
الثانوية) أصدر كتاباً وكتابين وفي عزمه الأكثر . والرجل مشكور ؛ ولكنه إذ ملك

ما يدل على الإخلاص فإنه لم يدل على الدرجة التي للدكتور بكري مؤهلات ووسيلة وغاية .

أول كتاب أصدره الأستاذ رداوي عنوانه : « الأدب السعودي المعاصر في الكتب المدرسية » (الرياض ، النادي الأدبي بالرياض ١٤٠٣/١٩٨٣) وخلاصة الباعث على التأليف يبينها الأستاذ عبدالله بن إدريس - رئيس نادي الرياض الأدبي - إذ يقول في تقديمه للكتاب : ... ساط فيه أضواء ساطعة على التقصير الذي يلقاه الأدب والأدباء السعوديون من واضعي المناهج التعليمية ومؤلفي الكتب .

وقد نص المؤلف في مقدمته على اقتصاره على (الكتب المدرسية للمرحلة الثانوية فقط) .

إن هذا التقصير - المشار إليه - كان بارزاً جداً منذ أيام الشيخ السباعي ، وبارزاً كذلك عندما لاحظته الفوزان ... يوم كانت السعودية تستورد الكتب المدرسية كما هي ... أما بعد ذلك فقد شرعت تؤلفها هي - مستعينة بأساتذة منتدبين ، وتزداد حصة السعودي من وضع المناهج التعليمية ، وتأليف الكتب المدرسية يوماً بعد يوم ، كما هو طبيعي ، وبعد أن توافرت الأساتذة والمربون السعوديون ...

وأذكر جيداً أنه في عام ١٣٨٣/١٩٦٣ أعدت وزارة المعارف للثانوية منهجاً جديداً وكتباً جديدة كانت حصة الأديب السعودي منها لا بأس بها - وذلك طبيعي جداً وقد اشترك في إعداد ذلك مؤلفون سعوديون . وأقل ما يعني هذا أن العتب لا يلقي على (المنتدبين) ثم لِمَ الشكوى ووزارة المعارف بيّد أبنائها ؟ والطبيعي جداً أن تُعيد النظر في مناهجها وكتبها من حين إلى آخر . وأزيد أن النصوص السعودية التي وردت في الكتب التي أشرت إليها لم تكن بالمستوى المطلوب ؛ وأنا حين اطلعت على الأدب السعودي بدرجة أكبر رأيت ما هو أحسن وأجدر بالاختيار ، وقلت : ربما تحكمت العجلة - باختيار إخواننا السعوديين .

وأحسب أن الملاحظة التي ترد - بهذه المناسبة - خلّو كتب الأفطار العربية

من نصوص سعودية. وهذه حال جديرة بالدراسة وبتنفيذ الصائب من الرأي . وهي لا تقف عند النصوص السعودية وحدها ؛ ومن واجب (المؤتمرات) التعليمية ، ومكتب التربية ، والجامعة العربية ... رعايتها ! ونعود إلى غير السعودي الذي يؤلف في الأدب السعودي فنذكر بالخير نصر محمد عباس (فلسطيني إقامته مصر ، حاصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة الإسكندرية) - يعمل حالياً أستاذاً مساعداً في قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة الملك سعود - في كتابه « البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة - الرياض ، دار العلوم ١٤٠٣/ ١٩٨٣ » وقد دل على متابعة وتأمل في أحدث ما صدر وبلغ من الانسجام بحيث تحسبه سعودياً .

إنَّ المتتبع يَسْرُهُ الاهتمام بالأدب السعودي ؛ وهو ليس منطقة محرمة على غير السعوديين ، ولكن الذي يكمل سروره أن يخلص الباحث في عمله ، وأن يكون مؤهلاً ، وأن يبعد عن ذهنه فكرة أن هذا بلد تجوز عليه الأشياء ، وليس فيه المختصون الذين ضربوا بسهم وافر من العلم والفكر والمنهج ... والتأليف والنقد !!

حصل ، إذن ، التأليف في الأدب السعودي ، وحصل على درجة جيدة مرة على يد منتدبين في السعودية للتدريس ، ومرات على يد سعوديين سعوديين ... وقد حدث ذلك منذ السنوات الأخيرة من المدة المحددة التي يقف المعجم عندها (١٣٩٠/ ١٩٧٠) ... فهو دليل تطور قدّر ما هو دليل استمرار الفكرة وطبيعة ظهورها ... ثم هي بداية لما هو أعمق وأحسن وأغزر وأكثر تشعباً وتنقيباً في الاتجاهات العامة والخاصة ، والظواهر والبواطن ... والرءوس والزوايا ... مع متابعة ما يتجدّد ، والجديد حاصل في كل نوع وفن : الشعر ، المقالة ، القصة ، المسرحية ، النقد الأدبي ، الدراسة الجامعية ... التحقيق ... الصحافة ...

الشعر - الشعراء - الشواعر :

ورأينا الشعر في الحجاز ونجد وغيرها في طلائعه وتوطده الحديث حتى صار فيه حمزة شحاته ومحمد حسن عواد (ويذكر أن ديوانه الذي ألفه سنة ١٩٢٤ باسم

« روح الشعر العربي » بقي مخطوطاً) وأحمد قنديل ... وحسين سرحان ومحمد حسن فقي ... وبقي الشعر في الصدارة إلا أن الذي دخله من تطور كثير ، فإذا كان عموم الرواد يُعنون بالفكرة أولاً وإن تهيأت لهم اللغة ، وقلماً عُنُوا بالصورة وتشددوا في عنصر الموهبة ، والذي امتاز منهم قليل ، وإنما امتاز لتوافر هذين العنصرين فيه بنسبة تزيد عنها في الآخرين ، وفي الآخرين من زاول الشعر ولا موهبة له .

وقد تنبه إلى ذلك - مبكراً - شعراء في الصدارة وأعربوا عن ضيقهم به لدى وقفة لهم من هذا الكتاب أو ذاك مما صدر في « أدب الحجاز » و « وحي الصحراء » و « شعراء الحجاز في العصر الحديث » . لاحظ ذلك عبد القدوس الأنصاري في « المنهل » ، واتضح جيداً في المقدمة التي تصدرت « شعراء الحجاز » (بقلم الأديب الحجازي حمزة شحاته) - على شك ورد في أنه كاتبها !

جاء فيها : (ومن شعراء هذه المجموعة (...) مستحق الرثاء . ومنهم مستوجب التعزيز ، حتى يعلن التوبة من رفع عقيرته بمثل هذا الهراء ظنه شعراً ... وأفسد به - أو كاد - جو هذه المجموعة ...) .

وإذا كان هذا رأى المتقدمين في معاصرين ، فأولى به أن يكون - بعد ذلك - رأى من هم أصغر سنّاً وأحدث نشأة وأكثر تطوراً في المفهوم الشعري خارج حدود الوزن والقافية . وأوضح ما يبدو ذلك على قلم شاعر كاتب ناقد حجازي هو إبراهيم هاشم فلالي (ولد عام ١٣٢٤) في كتابه « المرصاد » .

ثم شرع جيلٌ جديد يسعى إلى البعد عن المباشرة ويحاربها وربما غالى بالصورة واللامنطق وضروب من الرمزية أو (السريالية) ... ثم غالى في الخروج على العروض الخليلي (الشعر العمودي) بالشعر الحر ، أولئك تأثروا بما ورد إليهم من الأقطار السابقة في النهضة في مصر والشام والمهجر والعراق ، والعودة إلى التراث الخالد ؛ وهؤلاء تأثروا بما اتصل من الأقطار السابقة في الحديد في العراق ومصر ولبنان وسورية ... وما يمكن أن يكون قد تهيأ لهم الإلمام به من لغة أجنبية أو بلد أجنبي

— وهم قليلون جداً ، وشمل التأثير في هذه المرحلة الشرقية (ولا سيما القطيف) ،
والوسطى (نجد) ...

ولا يصيب من يضع هُوةً بين الاثنين فيتعامل مع الآخرين ، وكأنهم طفرة
ومفاجأة لأنه يجانب في ذلك الحقيقة الواقعة ويحسب حياة الأدب في السعودية الحديثة
أمراً شاذاً لم يَجْرِ في تاريخ طبيعي من التطور في خطوات الولادة والنمو ... ثم إنه قد
يقصد برأيه الرفعة من شأن الحديد وكأنهم أوجدوا أنفسهم وأتوا بالبديع البِدْعِ
الذي لم يَكُنْ له أرض قبلهم .

لا ، وقد سارت الأمور على ما يسير فيه أمر طبيعي ، وكما سارت في غير السعودية
— بغض النظر عن الأجود والأحسن والمطلوب ... وغير المطلوب وما تريده أنت
وما لا تريده .

وقد بحث العرب المحدثون في مصر وغيرها في الخروج — لسبب ولآخر ، ولصلة
بالغرب — قليلاً أو كثيراً عن قيود البحور التقليدية والقافية الواحدة فضلاً عن
الضيق بالأغراض القديمة والصناعة اللفظية والمفهوم السهل للشاعرية ، وليس هذا
مجال الكلام على عبدالرحمن شكري و « الديوان » ... وأبولو ... والغربال ... وجبران
خليل جبران وأمين الريحاني ... وترجمة علي أحمد باكثير لشكسبير ... — والزهاوي
كذلك — فذلك معروف وله مصادره المعروفة وإنما الذي يقال : إنه كان يصل إلى
السعودية ، وقبل أن تكون السعودية ، إلى الحجاز ، فيتلقفه الشباب ويتأثرون به ويتأثرون
خطاه فيكون لهم النثر الشعري ، ويكون لهم الشعر المنشور ... ولك أن ترجع إلى شعر
حمزه شحاته ودواوين محمد حسن عواد ، والقنديل ، لترى ذلك ، وجاء في الكتاب
الفضي للمنهل (ص : ٩) : (المنهل ... أول مجلة وطنية أدخلت الشعر المنشور في
قصائد فقد نشر أحمد السباعي ومحمد عالم الأفغاني وعبد القدوس الأنصاري
قصائد من هذا النوع فيها في العامين ١٣٥٨ — ١٣٥٩) — ولاحظ كلمة (قصائد)
وإن جاءت بين قوسين ، فللكلمة هنا دلالتها . وقد عالجوا الشعر المنشور دون أن
يروا فيه غضاضة — ولا بُدَّ من ذكر عزيز ضياء .

وتسير خطوة طبيعية مع جيل تال لجيل الغواد فترى الشعر الحر لدى حسن عبدالله القرشي ، و طاهر زحشري وسعد البواردي ، ومقبل العيسى ، ومحمد عامر الرميح (نشر شعره في مجلة الأديب البيروتية ، وأصدر ديوانه باسم : « جدران الصمت » - شعر رمزي » سنة ١٩٧٤ . وعبدالله عبد الوهاب ... ، ومحمد الفهد العيسى ... وآخرين ، ولا تنس غازي القصيبي ، وربما كان ناصر بو حيمد صاحب « قلق » أكثرهم خصوصية وربما عاد به ذلك إلى تكوينه النفسي وإلى إلمام بالترجمات . ثم إلى إلمام بالألمانية .

وقد جرى ذلك كما يجري أي أمر طبيعي فلا غضاضة شديدة ولا نزاع بمعنى النزاع ... وفي حرية ولك أن تقول الشعر في هذا وذاك كما فعل القرشي والفهد ... دلالة على طبيعة المسيرة ، ولك أن تقوله حرّاً فقط ... ولك أن تبقى حيث أنت من الخليل ، ويأتي الدارس بعد ذلك ليقرر الظاهرة كما هي (ينظر مثلاً : « شعراء نجد المعاصرون » ص ٥٢ ، ١٠٠ ، ١٤٥ ، وينظر الفوزان : ٣ .

ذكرت الحجاز ونجدا ، ونذكر (الشرقية) والقطيف خصوصاً حيث عبدالله علي الحنيزي ومحمد سعيد علي الحنيزي والحركة المتجددة المتأثرة في أقرب عواملها بالعراق ، ويذكر مع العراق : بدر شاكر السياب ونازك الملائكة ... ويذكر قبل العراق ومعه ، للقطيف ولغيرها . مجلة الأديب البيروتية التي فتحت صدرها للشعر الحرّ وشجّعته ، ولا غرو فصاحبها صاحب « لمن ؟ » ولم تبق جازان وأبها بمنأى أو منجى ... !

قلت : لم تكن غضاضة شديدة ، ولم يكن نزاع بمعنى نزاع ... ولكن لا بُدّ من كلمة هنا وتعليق هناك وموقف عند هذا ... وليس غريباً أن تقرأ في « شعراء نجد المعاصرون » ص ٢٢٩ ، (عثمان بن سيّار ... معتقداً أن الشعر العربي الحديث في قوالبه وصياغاته ليس شعراً عربياً بل هو من آثار الاستعمار الغربي ...) - إن ابن سيّار خريج دار التوحيد وكلية الشريعة ومفتش في إدارة الكليات والمعاهد العلمية (الدينية) .

فهكذا تبدأ الأشياء ، وهكذا تتنامى ... حتى تتباعد الأطراف وتتنافى الثقافات ،
وتتناوب الأذواق ... والشعر في هذا جزءٌ من الحياة العامة في تطورها وفي الحديد جداً
الذي يدخل عليها مع بقاء للقديم جداً وهو يعمل على استضافة عناصر جديدة للحياة .

النمط القديم ، وَسمّه : العمودي ، باقٍ ، يستمرُّ أصحابه القُدَامَى عليه ،
وفيهم حسين سرحان ، ومحمد حسن فقي ، وحسين عرب ، وطاهر زغشري ،
ومحمد علي السنوسي ... وعبدالله بن خميس ، وعبدالله بن إدريس ... ويصدر
عبدالله الفيصل ديواناً جديداً ، ويعيد طبع ديوان قديم . وتصدر دواوين جديدة
لمحمد سليمان الشبل ، ومحمد إبراهيم جديع ، ومحمد سعد المشعان ، ومحمد سراج
خراز ، وزاهر عواض الألعبي ، وعبدالله الحميد وعبدالله جبر ومحمد العيد الخطراوي ...
وأسماء عبد الرحمن ... ويبقى آخرون ، وفيهم شباب ، ينشرون قصائدهم في
المجلات والجرائد .

ويبقى آخرون بَيْنَ بَيْنَ : حسن عبدالله القرشي ، محمد الفهد العيسى ،
غازي القصيبي ، ماجد الحسيني ، محمد هاشم رشيد ... وأنس عثمان ، يهْمُون بالحديد
ويجتذبهم القديم .

وإذا كان الحديد - وسمه الشعر الحر - قد وَجَدَ موضع قدم زاد الزمن من
تثبيتها ونشأ جيلٌ جديد لم يكن لِيَسُدَّهُ بالقديم الذي شدَّ جيل القرشي ؛ وربما
حسب في النمط الجديد ما (ينتقم) به لنفسه بوجهٍ من الوجوه ، فيميزه ويشق به
طريقه ، ويقول فيه ما يفهمه هو وأصحابه ولا يدركه الآخرون ... إذا كان ذلك
- وهو في جملته حاصل - وتذكرنا ازدياد نفوذ ما يرد من البلاد العربية شعراً
ورأياً ، وفي الشعراء أمثال : السيّاب ، نازك الملائكة ... صلاح عبد الصبور ...
أدونيس ... محمد الماعوظ ، ومن هو أحدث منهم وأكثر تطرفاً وأكثر حرية في
الشعر الحر ، وأكثر ثرية في قصيدة النثر . إذا كان ذلك :

وتذكرناه ، قد نستغرب ما شرع يسود أوساط الشباب في نمط الشعر - بعد

جيل القرشي ومحمد الفهد العيسى والقصبي ممن بقي فيهم كثير من النفس التقليدية ؛
وبعد الرميح وبو حميد اللذين ابتعدا أكثر من التقليدي واقتربا أكثر من الحر ... -
ومنذ سبعينات القرن الميلادي وتسعينات القرن الهجري - من جديد جديد .

وخلاصة شعرهم هموم لا تفصح عن نفسها بالصراحة والوضوح لأنّ هذا
الشعر يقوم على الإيحاء وخلق الجوّ النفسي العام ، ولأن الصراحة قد توجب لهم من
الأذى ما لا يريدون أن يَقعُوا فيه . وهكذا لجأوا - عن قَصْد وعن غير قصد ،
بحكم الفن الشعري والواقع الاجتماعي - إلى عرض الواقع حُلماً ... وإذا كانت
وإذا كانت كلمة (عرض) غير مناسبة قلنا : بثّ ، وإذابة ، وتسريب ... وما أشبه .
أما الشكل المفضل - والوحيد الذي لا ثاني له - فهو : الحرّ ، وأما الصفة المفضلة
لديهم فهي الحدّثة والمعاصرة والحدّثة ... ولا يبقى الحر ملتزماً دائماً للتفعيلة ،
فالأكثر جدّة ما زايلها إلى الإيقاع في مطلق مدلوله .

ويسير هذا النمط قدماً ، وَيَتَشَبَّهُ قَدَمًا ... فيكثر أصحابه ، وقل : تكثر أصواته
وتعلو وتعمق والعوامل هي هي مع زيادة الإحساس بوقعها ، الإحساس بضرورة
النمط وحيداً ، والإحساس بالضيق الذي لا منفذ منه ولا بُدَّ من النفاذ والخلاص .
وإذا كان الأمر كذلك جاء الشعري على حِظٍّ من الغموض - والأمر صار معروفاً -
ولكنه الغموض الحي الناطق المحاط بالمشاعر والأفكار ، المتأزّم في حالة النفس ،
وليس الغموض الذي اختبِرَ لذاته متابعةً لموجة الغموض في العالم العربي - والعالم
كله - لكي يَصِفَ أصحابه نفوسهم بالجدّيد وبالمجددين . يريدون أنه غموض
محكوم بالفن مُستَرَجاً بالأسباب والدواعي الموضوعية . ولكن الغموض الحقيقي
قد يجرّ إلى ما هو أكثر غموضاً وأقل حقيقة .

ويحرص الشباب - بحكم الظروف الاجتماعية في الأقل - أن يتسلّحوا بقسط
من الحكمة والتأنّي وأن يبتعدوا - قدر الإمكان - عن الانفعال والاستفزاز وكأن
لهم من ثقّتهم بأنفسهم وبفنهم ما يضمن لهم حقهم ويهيء لهم مكانتهم ؛ ومن حكمتهم
احترام التراث الشعري وعدّه في الرائع من الآثار ، واحترامهم الشيوخ ومن هم

أكبر سناً منهم – متابعة للتقاليد في الأقل – وأنهم لا ينكرون فضل رؤاد النهضة الحديثة في الأدب فيذكرونهم بالخير ، ويحفظون لهم ما عانوا وما ثبتوا ، وما جددوا في حدود ظروفهم وزمانهم ، وإمكانات الاتصال لديهم ... وأكثر ما ينحسرون بالذكر أولئك الذين عُرِفوا بالتمحرر أكثر ممن سواهم ، وهنا يتقدم اسم محمد حسن عواد فيما دعا إليه من تجديد في الأدب والفكر ، وفيما أخذه على نفسه من رعاية الشباب والتنويه بآثارهم ، وفيما زاوله من أنماط الشعر بحيث لم يقتصر على العمودي الموحد القافية ، فكان له شعر منشور وكان ما رآوا فيه مقدمة المقدمة من تاريخ الشعر الحر . ثم إنهم لا يلزمون الشباب كلَّهم يقطعهم (؟) ، وفي الشباب أعمارهم من يلزم العمود وزناً وقافية ... فينشر في الصحف ويصدر الدواوين ويجد الطريق إزاءه ممهدة .

هذا موقف ضرب من الاتزان يحفظ لهم ، ولكنه لا يمنع البدوات الفردية ، والتطرف الخاص لدى جدال والدى مقابلة الانفعال بالانفعال ... ولدى اتخاذ الحماسة للنمط الجديد مادة لتقوية الشخصية وسنداً لاحتلال مكانة ...

ثم يدخل الشعر في نمط أكثر جدة لديه ، ترك التفعيلة ، والاعتماد على الإيقاع ... ثم الوقوع في الثرية ولا يمكن أن يستمر إلى الأبد لدى التطرف .

البدوات تحصل ، ولكن الأناة حاصلة مطلوبة ، حتى لو نبئت على مضض . ومن عوامل المضض أن يستهين بهم الآخرون ، وأن يسُدُّوا – أو ألاَّ يفتحوا – في وجوههم أبواب النشر في المجلات والمساعدات على النشر ...

ولا بأس فهم يبحثون عن منافذ خاصة بهم ، ولا يعدمون إيجادها ، وكانت هذه المنافذ الصفحات الأدبية من الجرائد اليومية وبعض المجلات الأسبوعية خاصة ... وبعض دور النشر .

ثم جمع المتيسر من القصائد وإصداره – بأية وسيلة ممكنة – في ديوان (صغير

عادة) ، وهكذا تبدأ أكثر الدعوات الطليعية ، وربما كانت (دار العلوم) متميزة في العناية بالشباب وكأنها تريد أن تعد داراً طليعية كذلك ...

والشعراء الجدد هم المنتظرون بشعرهم ، فهم الذين يتحدثون عنه ، وينقلون الصادر منه في الديوان ، ومن ثم يولد الناقد الخاص من العارف بأسراره وأسرار أقلامه . أما السيادة والبقاء فأمرهما موكول بالموادب الصحيحة والشاعرية الحقيقية ومدى استيعاب الزمن الحاضر بما يحفظ جوهر الخلود في المستقبل ... المسألة مسألة زمن وليست مسألة نزاع انفعالي تتقاذف فيه الأطراف التُّهَمَ إلى درجة الاختلاف والافتيات والظلم والباطل . وبما أكثر الحركات الطليعية في العالم — ومنها ما كان في العالم العربي على مدى عمره الطويل قديماً وحديثاً — ولكن الحركة شيء وإن بقاءها شيء آخر — والبقاء — كما هو معلوم — للصالح . ويحضرني — هنا — رأي لباحث مصري لا يبدو عليه الرضا عن الشعر الحر ، هو الدكتور إبراهيم أنيس ؛ وقد قال في كتابه « موسيقى الشعر » (٤ ، ١٩٧٢) ص ٣٤٤ :

أما الصراع القائم الآن بين أصحاب الشعر التقليدي وبين أصحاب الشعر الحر فهو حين يحسن الظن به يمثل في رأبي حيوية بين الأدباء المعاصرين ، أو إن شئت قلت : اختلاف العقلية بين جيلين : جيل الشيوخ وجيل الشباب . ومع قدر من السماحة وسعة الصدر يتجدد بنا ألاّ نتحجر على شباب الشعراء أو أن نلزمهم باتباع النظام التقليدي المألوف وترسّم خطاه ، فقد نُصيب خيراً لأدبنا العربي من وراء ثورتهم إن كان بها خير !) .

وقال (ص ٣٥٤) : (لا داعي إذن لإثارة النعرة القومية حين يناقش هذا الشكل الحر ، ولا مُبرّر للحديث عن تراثنا الأدبي والحفاظ عليه ، فسيظل بين يدي الراغبين فيه والمؤثرين له ، أو على الأقل بين يدي الدارسين لعصور الأدب المختلفة .. فلنترك أصحاب الشعر الحرّ وشأنهم ، ينظمون كما تشاء أهواؤهم ونزعاتهم ، فالحكم الفيصل هو جمهور الشعر من الناس قرائهم وسامعهم) .

هذا ما يقال أو يمكن أن يقال ، ولكن الذي يقع — عادةً — غيره ، يبدأ قليلاً

ثم يزداد ، يبدأ ليناً ثم يشتد ، وربما بدأ بالتسهل والتجاهل وانتهى بالخصام والصراع . وكأن لا معدى عن ذلك وإن اختلفت الدرجة واختلف المظهر

وإذا كان التجديد في الصياغة قد مرّ - في الخطوات السابقة التي رأيناها - من غير ضجيج ومن غير استفزاز للآخرين ، وقُلْ : من غير نزاع مفتوح أو صراع بمعنى الكلمة فإنه وقد بلغ هذه الدرجة وتعداها وصار كياناً ذاتاً شأن ، وربما هدد كياناً آخر ، غير ما يستفزّ ومنّ يستفز بحسن نية وألفة ذوق معين ... إنه وقد بلغ هذه الدرجة أذن بصراع ، وتميّزت أطراف وأوساط بين هذا وهذا . وقال شيخ يؤثر أن يبقى محبوباً محترماً بمؤهلاته وتاريخه وفكره وهو جدير بذلك حائز عليه ، هو الشيخ حمد الجاسر وقد سئل في مطلع عام ١٤٠٤ / وختام ١٩٨٣ :

— مازال الشعر الحديث في المملكة غير معترف به تقريباً ... ما تعليقكم ؟

فأجاب المجيب قائلاً : أولاً يلاحظ أن ما يسمونه بالشعر الحديث هو نوع من النثر يصح أن يسمى النثر الفني خاصة إذا كان مفهوماً وصادراً عن تأثر عاطفي .

وألح السائل فزاد : الدول الأوربية قبلت التطور في شعرها وأصبح لديها شعراء عالميون معروفون في كل العالم ... فلماذا لا نقبله نحن ؟

فأثار ذلك الشيخ فأوضح : يا سيدي .. الشعر هو ما هزّك وأثر في نفسك وحرك أوتار قلبك سواء أكان على بحور الخليل أو بحور أخرى ... (...) أنا أقرأ أشياء من هذا النوع الذي يسمونه شعراً لا أحسّ أي أثر عند قراءته .. إذن لماذا تجعلني اسميه شعراً ... أنا أسميه نثراً .. والغريب أن هذا النوع يعتمد أصحابه إلى المبالغة في التعمية والرمزية ... - العرب ج ٩ و ١٠ س ١٨ - الربيعان ١٤٠٤ / كانون ١ ، ٢ ١٩٨٣ - ١٩٨٤ جزء خاص بجائزة الدولة للأدب ص ٧٦٧ ، وفي صيغة السؤال الأول ما يدل على شعور الشباب بالإهمال الذي يعانونه ويلمح إلى الطريق المسدود في وجوههم !

والصراع طبيعي ، وقد يجدي إذا كان مخلصاً ووقف عند الحدود الفنية ، أما

مسألة الاسم فليست مهمة جداً . وأخطر ما فيه أن يخرج إلى ضرب من العداوة البدائية فتكال فيه التهم جزافاً من كل نوع لا علاقة له بصميم الموضوع .

ويمكن أن نجد مزيداً من الدلالة في كتاب لأحمد فرح عسيلان، صدر عن نادي أبها ١٩٨٢/١٤٠٣ بعنوان : « جناية الشعر الحر » - ١١٥ ص .

يبدأ المؤلف كتابه قائلاً في المقدمة : (أعترف أنني أكتب هذه الورقات وأنا ناثر منفعل ، يكاد يسطو بي الكمد ، ويكاد يقتلني الغضب .. وكيف لا أغضب (...) والجناة مصممون على المضي في تخطيطهم الفظيع الظالم بإملاء من الشياطين وإيحاء من الحاقدين) - تنظر مجلة عالم الكتب المجلد الرابع ، العدد الثاني ، شوال ١٤٠٣ / يوليو ١٩٨٣ ، ص ٢٩ .

هذا ما لم أكن أتصوره ، حتى لدى متابعة الشباب في سوء ظنهم بدوافع الناقد المصري . لقد تصورت التطور ، ولكني لم أتصور الدرجة ، ولا بد من أن أكون على خطأ ، أو أن الأمر يُعزى إلى بعد عن (مواقع الأحداث) .

ولست متصراً - هنا - للقديم أو الجديد ، ولكني مؤرخ يستكمل لمحات وردت في معجم للمطبوعات ... وقد يسير الأمر إلى أبعد من هذا الذي سار فيه .

والذي جرى للشعر السعودي في هذا المجال كثير وسريع وقد رأينا في تاريخه وشعرائه ودواوينه ما يدل على الكثرة والسرعة ... وكنت في حدود علمي - وصِلتني وقرني - من التاريخ الحديث للشعر السعودي بدءاً برواده في الحجاز قبل جمع أقطار الجزيرة باسم (السعودية) وفيهم من ذكرنا من أمر العواد وشحاته والقنديل ... الخ ومتابعةً لتطوره في الحجاز ونجد والشرقية وجزان وأبها ... وفي ذلك من ذكرنا من أمر القرشي ومحمد الفهد والعيسى والقصبي ... ومن وقفنا عنده باسم بُوحَميد ... ، كنت أنتظر التطور إبداعاً وأصالة ، وأنتظر مكاناً خاصاً للشعر الحر ... ولكني ، وقد فارقت السعودية نحواً من خمسة عشر عاماً لم أنقطع خلالها انقطاعاً تاماً عن متابعة الحركة الأدبية ... ، كنت أنتظر تطوراً ... ولكن الذي حدث خلال خمسة عشر

عاماً كان أكثر كثيراً من مدى انتظاري ويكفي أن يكون جيل كامل قد وُلِدَ ، له همومه ومفاهيمه في الحياة والفكر ، وله نمطه في الإعراب عن تلك الهموم والمفاهيم في شكل يراه هو الشعر ، ويراه الشعر الجديد ، ويرى قصيدته هي القصيدة الجديدة ...

وإذا كان هذا حالي ... فلا عجب أن يكون حال البعدين جداً عن السعودية وشعرها حال دهشة وتعجب ... ومفاجأة ... أليكون هذا في السعودية ؟ أهؤلاء سعوديون ؟ ! ...

وتفجرت المفاجأة في بغداد حيث عقد مهرجان الأمة لشعراء الشباب من الحادي والعشرين وحتى التاسع والعشرين من نيسان ١٩٨٤ / شعبان ١٤٠٤ فالتقى الشعراء من كل قطر من أقطار العالم العربي ما بين المحيط إلى الخليج وتتابعوا يلقون بشمرياتهم ، وألقى شباب من السعودية - فيمن ألقى - فكانت قصائدهم محطّ اهتمام ومدار حديث ... ومثار دهشة . أليكون هذا في السعودية ؟ أليكون هؤلاء سعوديين ؟ وحكم لهم بالتجويد و (التفوق) نقاد المهرجان وفيهم الشباب والكهول من أقطار مختلفة ، وخرج الحكم مصحوباً بالدهشة عن جدران المهرجان إلى أعمدة الصحف ...

دهشوا لأنهم لم يكن لهم علم بالمسيرة الأدبية في السعودية . أو اتصال بالفكر الأدبي منذ نهضته الأولى في الحجاز ، ولم يقرعوا لأديب رائد هو محمد حسن عواد في شعره وأفكاره ... و (نزواته) ويصلوا في قراءتهم إلى الرميح وبو حميد . أما أنا فما بلغت بي الدهشة ما بلغته في الآخرين لما لديّ من مقدمات ، ولأني منتظر التطور في كل مجال : في الشعر العمودي (ذي الشطرين) كما في الشعر الحر (ذي التفعيلة) . ولم استبعد قصيدة النثر . وكل ما في أمري أن الذي رأيته - وسمعته - جاء أبعد من تصوّري زماناً ومكاناً ، كمّاً وكيفاً . وليكن . والأمر طبيعي .

وتحدث ناقد عراقي شاب هو الأستاذ حاتم الصكر ، العارف بالشعر الشباب خصوصاً ، المتصل بالشعراء الشباب كثيراً ، العامل عضواً فعّالاً في اللجنة التي توكّلت إقامة المهرجان والإعداد له والسفر إلى الخليج العربي لدعوة شعرائه ... تحدث

في العدد السابع من مجلة الأقلام (تموز ١٩٨٤) فقال - فيما قال - : (... كان شعراء السعودية مفاجأة المهرجان بحق ... فالصبيحان ، ومحمد (جبر) الحربي ومحمد الثبيتي قدّموا صوراً لوعي شعري ينمو بعيداً عن الضجيج ، مكتوباً بالتجربة ، طالعاً من أعماق الأرض ، جديداً يتوفر على أفضل ما في الشعر الحديث من مزايا وسمات ...) .

وبلغ الاهتمام والإعجاب بالأستاذ الصكر - وهو سكرتير تحرير مجلة الأقلام - أن توجه نحو السعودية توجهاً خاصاً فعاشر الشعراء وحاورهم ، وحصل على قصائد من شعرهم ليؤلف مَلَفَ العدد الثامن من المجلة خاصاً بـ (القصيدة الجديدة في السعودية) (مجلة الأقلام - آب ١٩٨٤ ، ص ١١٦ - ١٦٠ حجم كبير) وجعل عنوان كلمته التي قدم بها الملف : (شعر مسكون بالحلم والدهشة) ثم قال : (يكاد القاري في أغلب أقطار الوطن العربي يجهل تفصيلات الحركة الجديدة في الجزيرة العربية (...) سعة في المكان .. وحركة في الصحافة .. أجيال متعددة ، وأصوات أكثر تعدّداً وتنوعاً .. ولكن المفاجأة الحقيقية : الشباب .

هذا هو الانطباع الذي تخرج به خلال إقامتك قريباً من نبض الحركة الشعرية .. ومعايشتك لتفاصيل حياتها ...

شباب مهتمومون بالحدثة .. متطلعون إلى قصيدة معاصرة تتمثل أبرز التيارات الشعرية العربية وتنتمي إلى الأصالة الواضحة في اللغة والبناء .. وتوجه إلى الإنسان مستلهمة وموجبة .

هنا : لا مغامرة لغوية تستهويهم فيريقون من أجل بريقها مياه الشعر في غير مصبّاتها ... ولا تشدّهم الأناقة الكلاسيكية والمنابر فيحولون قصائدهم حذاء وإنشادا (...) .

أبرز ما يجتذب الشباب هنا : قصيدة الحلم ... » . انتهى .

ولي تعليق - أو توضيح - على (الحلم) ، خلاصته أن القصائد التي قالها - ويقولها - الشباب ليست حلماً بالمعنى المعروف للحلم مما يراود الإنسان نائماً ، أو ما يقدمه الشاعر على أنه من العقل اللاواعي ، أو أنه طلب المستحيل من المستقبل منفصلاً عن الممكن في الحاضر ، لأنهم جادون - واقعيون - يعربون عن همومهم الصغرى والكبرى بلغة الحلم وصور العقل الباطن لضرورة من ضرورات هذا التعبير عما يعمل في نفوسهم ، ويصطرع في أفكارهم ، ليأتي كلامهم وعليه مسحة من الغموض ، ونبرة من الرمز... الموحى، إن جهله - أو تجاهله - البعيدون عنهم - عرفه أو أحسَّه القريبون منهم - وكما كان شعراء شباب ، كانت شواعر شواب .

وتحدث في « الملف » صالح الأشقر (من السعودية - مواليد حائل ١٣٧٠) عن أجيال الشعر في السعودية : الأول ... الثاني ... الثالث . وكأن الثالث لديه (جيل ما بعد احتلال فلسطين) الذين ترعرعوا على الشعر السياسي ، وامتداداً إلى النكسة ٦٧) ، وكأن أكثرهم شباباً محمد العلي وأحمد الصالح (مسافر) . وهذان الشاعران اختارا الشعر الحرَّ خلافاً لمعاصريهم مثل محمد المشعان وإبراهيم الزيد . ويمكن أن يضم إليهم الشاعر سعد الحميدين وديوانه « رسوم على الحائط » ...

وقال : (يمكن أن نضع (...) محمد العلي وأحمد الصالح (مسافر) كتجربتين سابقتين زمنياً ضمن الأصوات التي حاولت أن تُعرف الأصوات الشعرية الجديدة إلى عالم التجديد والحداثة . وتعتبر الشاعرة فوزية أبو خالد في ديوانها « إلى متى يختطفونك ليلة العرس » الذي طبع في بيروت قبل (١٥) سنة من الأصوات الجميلة في مسيرة الحداثة ... » .

ثم يمضي في مسيرة الحداثة وما يذكر من أسماء شعرائها ، وكأنه يريد بهم أصحاب القصيدة الجديدة الفعلين ، وكأنهم جيل رابع بعد الثالث وإن لم ينص على (الرابع) وهذه هي الأسماء أو (بقية الأصوات الجديدة) كما قال : (عبد الكريم العودة . جارالله الحميد . محمد الدميني . علي الدميني . محمد عبيد الحربي . غيداء المنفي . أحمد فقيه . عبد الإله البابطين . عبدالله الزيد . خديجة العمري . عبد العزيز سعد

العجلان . أحمد الملاً . عبدالله الصيخان . محمد (جبر) الحربي . محمد الشبتي ...
وأسماء أخرى كثيرة) .

وأعود مرة أخرى وأكرر أني على ما حسبتُ نفسي عارفاً بمسيرة الشعر السعودي
لم أكن أنتظر هذا التغير على هذه الدرجة ، والتطور على هذا العدد . وقد تعني الحال
توافر الفرص للشباب في أن يقرأوا ويفكروا ويناقشوا ويتابعوا ويتأملوا وينظموا ؛
وينثروا ، رغم ما يندُّ عنهم من شكوى الضيق أو التضيق . وإذا كانوا قد تأثروا
بالشعر العربي الجديد فإنهم ليجتلفون عنهم بالعوامل الدافعة إلى القول وما تؤدي هذه
العوامل إليه من أجواء خاصة بمقدار ما يختلف مجتمع عن مجتمع ، وبمقدار ما يمنحه
الجد والإخلاص من سمات القوة والأصالة ويبقى هذا التمييز ما بقيت الفوارق وبقي
الشعراء صادقين لا ينقصهم المضمون لديهم عن الشكل .

وطبيعي أن يحصل صراع بين الأجيال بدرجات متفاوتة ، إلا أني رأيت على
شهادات الشعراء التي أوردوها في (الملف) وعلى شهادة أدلى بها محمد جبر الحربي
من إحدى الإذاعات ما يشير إلى تأنٍّ ونُضجٍ في الرأي الفني والاجتماعي ووعي
للمهمة الأدبية والاجتماعية ؛ ولقد ذكروا اللغة والراث بتقدير ، وبدواً من التواضع
بحيث عدّوا أنفسهم في دور التجربة — وأرجو أن تكون رؤيتي صحيحة ، وأن
يكون الشباب — في جملتهم على الأقل — من النضج حيث بدوا . وأن يطيلوا الوقفة
في دور التجربة من أجل اختبار أكثر وتَهَيُّؤٍ مواهب أعمق . والحدار الحذار من
من السرعة والغرور

ثم ... توالى القصائد ... في الملف ...

وإذا كانوا قد تأثروا ببروآد الحركة من الأقطار العربية (العراق ، مصر ، سورية ،
لبنان ...) وقد تأثروا فعلاً واعترافاً وحتماً ... فإنهم اجتازوا مرحلة التقليد وبدّأوا
مرحلة التمييز والأصالة ومن هنا جاءت المفاجأة والدهشة من وجودهم فلمقد تقدموا ...
وتأخر الآخرون ، تقدموا بما لديهم من جدٍّ وإخلاص وطموح وظروف ، وتأخر

الآخرون إذ استحال الحديد لديهم قواقع جوفاً ، وألفاظاً وشكلاً ... وتعاورته أقلام لا تسندها موهبة وكأنهم فقدوا المضمون ، أو اجتنبوه إلى حيث مضمون غيرهم .

ويبقى بعد ذلك ، الاحتياط في الحكم بما يتعد به التعميم عن التخصيص ، والقاعدة عن الشاذ ولا – ولن – تعمد في الشباب من يتطرف ، ومن يقع – عاجلاً أو آجلاً – في فخ عدّ التجديد غاية بنفسه – ولكننا رأينا الوجه الحسن المطلوب المرضي . وبه العبرة والعظة .

ولهؤلاء الشباب من « الدواوين » ما لا يغفله غداً معجم للمطبوعات – رضي صاحبه عنهم أم لم يرض – ولا يستغني عنها معجمنا من الإلماح إليها في خاتمته ومن ذلك : أحمد صالح الصالح (مسافر) – مواليد عنيزة ١٣٦١ وله : « عندما يسقط العراف » ١٣٩٨ « قصائد من السفر » ١٤٠١ / ١٩٨١ ، « انتفضي أيتها الميحة » ١٤٠٣ / ١٩٨٣ .

سعد الحميدين (مواليد ١٣٦٧) : « رسوم على الحائط » ١٣٩٧ / ١٩٧٧ ، وبعد للطبع « عندما بانّت سعاد » .

محمد جبر الحربي (الطائف ١٣٧٦) : « بين الصمت والجنون » ١٤٠٤ / ١٩٨٤ ، وديوان تحت الطبع .

محمد الشبتي وله مجموعتان هما : « عاشقة الزمن الوردي » ، و « تهبجت حلماً .. تهبجت وهماً » .

ومنهم من له « ديوان » تحت الطبع أو في طريقه للصدور ، ولعله صدر فعلاً ، ومن أولئك : عبدالله حمد الصيخان (حائل ١٣٧٥) في ديوان : « الهجرة من الغرفة المائتة » وصالح الشهوان (عنيزة ١٣٧٣) في ديوان « كذب الراوي » .

ولنلاحظ في (جغرافية) الشعراء الشباب اختفاء السمة العائدة إلى المنطقة من بقايا أول توحيد أقطار المملكة ، يوم كانت أقطاراً متباعدة فظلت مع أدبائها نسبة

إلى الحجاز أو نجد أو الأحساء أو عسير ... أما هؤلاء الشباب فهم من « السعودية » وزحفت معهم (مدن) جديدة على الخارطة الأدبية لم تكن لها هذه الأهمية مثل أمها وحائل ...

ويمكن أن يقال في الشواعر ما قيل في الشعراء ؛ وفي الشواب ما قيل في الشباب ، وفيهن من نَظَمْنَ - وينظمن - على النمط التقليدي (العمودي - ذي الشطرين) . وقد رأينا منهن « نداء » في « عبير الصحراء » وهي شاعرة حقاً ولا نقاش . ونداء اسم مستعار حقيقته ساطانة عبد العزيز السديري (مواليد القرينات بالمنطقة الشمالية) ولها ديوان آخر هو : « عيناى فداك » ١٩٦٠ . ودخات ثريا قابل بديوانها « الأوزان الباكية » الميدان مصدوبة بجدال لم يكن في مصاحبة شاعريتها ، وهي تُعِدُّ اليوم : « تلك ظلالى » . ولريم الصحراء ديوان « زهرة حنان » وريم الصحراء اسم مستعار حقيقته : الجوهرة العلي (ولها ديوان تحت الطبع باسم « وعد القمر » .

ثم صدر للدكتورة مريم البغدادي ديوان باسم « عواطف إنسانية » . وتنتشر « المنهل » لأميمة خوجه قصائد رقيقة عاطفية تدخل في نطاق الشعر الحق .

ومن الشواعر الشواب من قالت شعراً حراً شأن الشباب . وقد ذكرنا فوزية أبو خالد (مواليد الرياض ١٩٥٥) وديوانها المطبوع في بيروت « متى يخطفونك ليلة العرس » وتُعدُّ للطبع ديواناً آخر باسم « اشهد الوطر » كما رأينا غيداء المنفي وخديجة العمري .

ويذكر « دليل الكاتب السعودي » سارة بو حميد (سارة سليمان أبو حميد) (مواليد الخبر ١٣٦٣) ويذكر في مشاركتها الأدبية : شعر حر ، إنها أخت ناصر سليمان بو حميد الذي رأينا مكانه البارز في مراحل الشعر الحر - (العرب : الصحيح في هذا الاسم : ابن أَحْسَمَد - تصغير أحمد - على تصرف وتحويل في نطقه من قبل العامة ، ليس هذا محل إيضاحه) .

ويذكر « الدليل » عزة فؤاد شاكر (مواليد مكة ١٣٦٥) وديوانها « أشعة الليل » من الشعر الحديث ١٣٩٧ .

ولابدّ من وجود أخريات ... ونشر « المنهل » في باب « الشعر المنشور » ، ومن الأسماء المتكررة فيه : نجوى صلاح الغرباوي .

ومما يمكن أن يدخل في باب ما يلفت النظر أن المنهل (رجب ١٤٠٤ / أبريل ١٩٨٤) تلقت اعتراضاً شديداً على تسمية « الشعر المنشور » من كاتب (أحمد محمود مبارك) يرتضي الشعر الحر ويقول : (الشعر الحر تطور شكلي للشعر العربي العمودي (...) رواد الشعر الحر (...) أخذوا تفعيلات الشعر الحر الموسيقية من تفعيلات الشعر العمودي التي تكون بحون الشعر الستة عشر المعروفة) .

وكان « المنهل » أقرب إلى تأييد المعارض على (الشعر المنشور) أو كمن يريد أن يرضيه ولو على غير قناعة .

ووجه الغرابة في الموضوع أن « المنهل » كانت تفخر - وقد رأينا ذلك - على لسان مؤسسها الشيخ عبد القدوس الأنصاري بالشعر المنشور !

وغرابة أخرى ليست عجيبة من صاحبها ، وصاحبها الشيخ الكبير - مكاناً وعمراً - أحمد سباعي وقد سئل في السنة الأخيرة من عمره : (يقال : إنك من مؤيدي الشعر الحر المنشور ؟ فأجاب : نعم كنت من المؤيدين له ولا أزال . وأذكر أن الأستاذ محمد حسن عواد (...) كان أول من قال هذا اللون من الشعر المنشور في السعودية وقد وقفت بجانبه ضدّ من تصدى له بالنقد . ورأيت أن الشعر الجديد طالما أنه موزون وفيه موسيقى فلا بدّ أن يأخذ مكانه من الساحة الأدبية . أما محاربة البعض للشعر الحديث فإنّ المجتمع العربي درج على محاربة كل جديد . ويعتبر الجديد بدعةً ، والبدعة تستنكر دائماً . بالطبع أنا لا أنكر أن هناك أشياء في الشعر الحديث لا مكان لها من الإعراب ولا ينبغي أن تكون وهي أشياء ليست من الشعر - تنظر « العرب » الربيعان ١٤٠٤ / كانون ١ ، ٢ - ١٩٨٣ - ١٩٨٤ .

الشعراء الذين يرون أنهم شعراء كثيرون ، وربما كانوا كثيرين جداً ؛ ولا تعني الكثرة - في ميزان النقد - شيئاً ، فعمماً قريب يتقلص العدد - كما تقلص من قبل - فيمضي منهم من يمضي إلى سبيل أخرى من إدارة وتجارة وصمت ... ويبقى في الساحة الأقلون ، وهم بين اثنين : شاعر حقيقي تحول موهبته وما يراه من مجد له دون تحوله ؛ وشاعر غير حقيقي ، يُسَرَّدُ الصفحات وينشر ولا يبلغ درجة الوسط في خير ما لديه يستمر . - ولا تدري ، أو تدري - لماذا ؟ أَلَا أَنَّهُ لم يجد مجالاً آخر ؟ الضعف - وجبن - في النقد ؟

مسيرة الشعر طويلة عريقة ، وما زال الشعراء بارزين في الحركة : الرواد القدماء ودواوينهم ما طبع منها وما أعيد طبعه وما لم يكن مطبوعاً ... والجبل الثاني ... والثالث ولكنهم كانوا في بداية النهضة وكأنهم كل شيء ، ولا تكاد تجد أديباً من آخر العهد الهاشمي وأوائل العهد السعودي في الحجاز لا يقول شعراً ... ثم جاءت المقالة مع الصحافة فزاو لها الشعراء كذلك - ولا غرو فإن فؤاد الخطيب محرر القبلية شاعر كاتب مقالة ، وخير الدين الزركلي كذلك وآخرون ممن ورد على الحجاز قبيل العهد السعودي وفي بدايته ... ثم إن الصحافة تتوطد وقوامها المقالة ... ولا تصعب المقالة على ذي لُغَةٍ وقلم وهكذا كان هذا الذي تراه في « أدب الحجاز » و « وحي الصحراء » ... وربما تستغرب إذا رأيت أدباء متقدمين (مثل أحمد سباعي) لم يقولوا الشعر !

المقالة - كتابها - كتاباتها :

كانت « القبلة » وحدها ثم جاءت بريد الحجاز . وإذ انتهى العهد الهاشمي كانت « أم القرى » و « صوت الحجاز » ثم سارت القافلة ، وتعددت الجرائد ، وجاءت « المنهل » رائدة في المجلات ...

ولاشك في تأثير المقالة السعودية بالمقالة العربية عموماً وبالمصرية خصوصاً متمثلة بالمنفلوطي وطه حسين والزيات ... ؛ والمهجورية كذلك متمثلة بجبران خليل جبران . وتذكر مجلة « الهلال » ... ثم مجلة « الرسالة » الواردين باحترام وتأثير من القاهرة .

وهذا يعني أَنَّ من كُتِّبَ المقالة - ولا سيما الرواد - من لم يكن يكتفي بالمضمون وحده يوصله فكرة واضحة بلغة سليمة ؛ وإنما يقصد إلى الجمال ، إلى أن يقدم أثراً يجد فيه القاري ما يجد في الشعر ليزيد مفعول المضمون ، وليثبت مكانه أديباً فإذا في المقالة عاطفةٌ وخيال ... وصور ... وإيقاع ... وقد تقرب من الخطابة حيناً ومن القصة حيناً ... ولكنها أقرب إلى الشعر في كل حال ، وأوجد جبران النثر الشعري ، ووُصِفَ نثر أحمد سباعي بالشاعرية ...

والوصف صحيح ، وهو شائع . ولك أن تقرأ مقالاته لترى الشاعرية فيها والطلاوة عليها . ومن فاته أن يقرأ في الصحف وفي سائر كتبه فليقرأه في « السباعيات » - وقد صدر منها جزءان ، ولنا أن نتظر ثالثاً - وتذكر أن السباعي من الحجازيين القلائل من جيله الرائد من لم يجمع بين الشعر والنثر ؛ والشعر هو الطاعني عليهم ؛ فجاء السباعي شاعراً في نثره ، ولا غرؤ أن كان من الأوائل الذين كتبوا شعراً منشوراً .

قال إبراهيم هاشم فلالي في « المرصاد » : (السباعي ... شاعر وإن لم يدع الشعر شاعر وإن لم نسمع له بيتاً واحداً ، يترك نفسه على سجيته في تعبيره فيأتي تعبيره شعراً مرسلًا مخلقاً كأحسن ما يكون التحليق والرفرفة ، والجمال (...) وهو في كل نثره شاعر صافي النفس قوتي الأداء رقيق العبارة مرفرف الروح (...) .

وكتاب المقالة كثيرون ... وهم في دور الريادة هم الشعراء وهم المقالسيون وظلُّوا - بعد ذلك - غير قليل يشربون النوع نسغاً (؟) من الإبداع تكلفاً أو طواعية أو تكلفاً يقربهم من الطبع ؛ ولا تهمنا الدرجة - هنا - قدر ما تهمنا الظاهرة . ظاهرة الفن والتفنن ، وفي الجرائد ما يمكن أن تختار منه مجلداً ممتعاً لوشتت ، ولا بُدَّ من أن يصنَّع هذا المجلد من مختارات المقالات يوماً . وبانتظار ذلك المجلد ، نعود إلى « أدب الحجاز » و « وحي الصحراء » وربما إلى « نفثات من أقلام الشباب الحجازي » الصادر سنة ١٩٣٧ . ورأينا من الكتاب من جمع قدراً من مقالاته في كتاب ، وفي طليعة أولئك الشيخ السباعي ... ثم إبراهيم فلالي وأحمد عبد الغفور عطار ... وسعد البواردي .

ثم رأينا ، بعد ذلك ، وبعد الـ ١٣٩٠/١٩٧٠ من جمع - أو جُمِعَتْ - له المقالات ونشرت في كتاب ، ومن أولئك غير الشيخ السباعي : حسين سرحان ، ومحمد سعيد العامودي ، ومحمود عارف ومحمد حسين زيدان ... والبقية تأتي ... وفيها عزيز ضياء وعبد العزيز مؤمنة ... وآل حافظ ... وعبدالله مناع والدعوة إلى مجلد المختار من المقالات المبدعة قائمة ... كما الدعوة إلى دراسة المقالة دراسة أدبية في رسالة علمية قائمة كذلك وياحبذا لو عُنِيَّ جامعو المقالات بثبيت تاريخ النشر ومكانه ؛ وفي ذلك خدمة للدارس والناقد

وقد عرفنا حسين سرحان شاعراً لم تكن منزلته يوماً مجال نقاش أو مؤاخذه . ويبدو أن هذه الشاعرية - في الموزون المقفَّى - غطَّتْ على مكانته مقالياً مُبْدِعاً . أسهم في الصحافة السعودية منذ أول جريدة فيها : « أم القرى » ثم في « صوت الحجاز » ثم في « البلاد السعودية » ... ولمقالاته شخصية متميِّزة هي سمة الإبداع ، وفي مقدمتها ، غير بنائها العام وتسلسل فقرها ، عُنْفٌ في الروح ، وسخرية ، وقوة في الرأي وجمال في الصورة ، ووثبات تزيد النص حياة ، والقارئ تنبُّها ...

من يقرأ « من مقالات حسين سرحان » - النادي الأدبي ، الرياض ١٤٠٠ - ٢١٦ص يكتشف في الشاعر كاتباً شاعراً من نمط خاص ، يتكامل فيه الفنَّانُ ولَنَ يُدْرَسُ - بعد اليوم - شاعراً منفصلاً عن المقالي ...

وبقيت الأقلام تراود الإبداع ، والإبداع يراودها طويلاً ، وكنت ألاحظه وقد نبهاً لي ، منذ ١٣٨٣/١٩٦٣ ، أن أقرأ « المدينة » و « البلاد » وغيرهما واكتسب ضرباً من الحيوية بُعِيدَ نظام المؤسسات (في العام نفسه) ثم شرع يحف ويندر ، وعادت المقالة إلى الطابع العام ، طابع الصحافة فقط ، إلى الإيصال التعليمي وحده ، وكأنَّ الكاتب عل عجلة من أمره ، وربما كان القارئ كذلك ، لدى الإيصال والتلقِّي . ولم تكن السعودية في ذلك على خلاف ما جرى في العالم العربي ، وفي العالم كله .

وجمع عدد من كتاب المقالة ما كتبوه وأصدروه في كتب - وحسناً فعلوا ،
وفي الذي كتبوه فنّ وشاعرية أحياناً يكونون به الجيل التالي - أو المُتمم للجيل
الأول في تواليه من السباعي إلى السرحان ...

ونبدأ هذه المرة بالرياض حيث صدرت - بنظام المؤسسات - جريدة الجزيرة
ثم الرياض ، [وقبل ذلك] صدرت الإمامة ... فكان ذلك دعوة مباشرة للأقلام
والمبادرة إلى الكتابة والتنافس في الأنفع الأجمل ... الأقوى تأثيراً .

ولدينا مما كتب في « الجزيرة » - ١٣٨٨ - و « الرياض » - ١٣٩٠ - مع
أحاديث ومقالات أخرى - مجموعة الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الخويطر : « من
حطب الليل » - الرياض ط ٢ ، ١٣٩٨ / ١٩٧٨ - ٢٤٨ ص . جاء في مقدمتها :
(الفكرة تخطر في ذهن الإنسان ، فيقيّدُها ، تصبح بمنزلة ابنته ، يعزُّ عليه أن يشدّها
بعد أن تولد ، أو أن يهملها وهي جزء منه (...) إنها تصبح منه ، ومنسوبة إليه ،
بما فيها ، وما لها ، وما عليها ... » .

ويمضي الكاتب في تواضع وكأن له من انصرافه إلى (الإدارة) و (التاريخ)
ما يسد حاجته ، ويريه (الكثير) في غيرهما قليلاً ...

والخاطرة الذهنية هي التي تحدد مركز الثقل في المقالات التي تضمّنها المجموعة ،
ويقال من المعنى الأدبي بناء وطرارة - غلبة القصد في التعليم الاجتماعي التربوي وربط
ذلك بوسيلة الإيضاح بحدث وقع أو حكاية عرضت . وهذه التعليمية مقصودة قبل
الطرارة ومن ثمّ فهي مرتبطة بالعقل والموضوعية أكثر من ارتباطها بالقلب والذاتية .
وقد تجتمع الموضوعية والذاتية كما في « إلى ابني » (ص ٩٢) .. وينظر الأسلوب
ومنهج الكاتب ص ٨٥ ، ١١٨ .

وكتب في الجزيرة والإمامة ... آخرون ... ولو استمر الوهبي لكان له مجموع
فيه عنف الناقد وسيولة قلم الأديب ...

وأبرز المقاليين من أصحاب الكتب المجموعة عبدالله عبد الرحمن جفري ، وهو في ذلك أقوى منه قصاصاً – ومن كتبه المقالة : « لحظات » ، و « حوار وصدى » ...

وأصدرت له تهامة ١٩٨١/١٤٠١ « نبض » جاء الأستاذ سباعي عثمان في تقديمها :

(حينما صدر كتاب الزميل عبدالله جفري ، بعنوان « لحظات » منذ بضع سنوات ... تساءل كثيرون ممن اطلعوا عليه : شعر هو ، أم نثر ، أهو كلام بين الشعر والنثر ، وبعضهم وصفه بـ (الضبابية والتهويم الحالم) !! ...)

ثم أصدرت له « حوار .. في الحزن الدافئ » ١٩٨٣/١٤٠٣ وقد قال الناقد المصري رجاء النقاش في مقدمته : (... إن عبدالله جفري كاتب له (شخصية) (...) ومدخل عبدالله جفري إلى قلوبنا وعقولنا (...) من باب الشعر ... فالروح الشعرية عنده واضحة (...) باختيار ألفاظ تقطر بالندى الشعري وفي حرصه على توفير جو من (الموسيقى الداخلية) لكتابات حتى تبدو في معظمها وكأنها من « الشعر المنثور » ...

وننتظر مجاميع أخرى لأنَّ الرجل في خضم عالم الصحافة وهو (المدير المتفرغ لتحرير صحيفة « الشرق الأوسط » العربية ، ومجلة « المجلة » الأسبوعية ...) .

وكنت أقرأ – الأستاذ عبدالله المحصّين فألح في مقالاته القصد الفني لدى إخراج فكرته محاولاً بذلك اجتذاب القاري والتأثير فيه ، وينجح أحياناً وكالما ابتعد عن التقريرية . وهو اليوم يجمع مقالاته لتصدرها له تهامة ١٩٨١/١٤٠١ بعنوان « أفكار بلا زمن » – ولا توجد أفكار بلا زمن ، ولكن توجد أفكار يمكن أن تقرأ خارج زمنها وكأنها ليست بنت زمانها بفعل (الإخراج) والإخراج فن . وأهدى المؤلف كتابه : (إلى الباحثين عن الحقيقة وسط ظلام الحياة ، وظلم الأحياء . أقدم هذه السطور ، فلعل فيها ضوءاً من الحقيقة . لعل فيها مواجهة للنفس في لحظات صدق مع الذات) .

ولابدّ من أن تكون هناك كتب أخرى صدرت لتتضمّن مقالات سبق نشرها ،
وفي عناصر بقائها ودواعي إعادة نشرها سيمّة من الفن وطابع من الشعر ، وعنفوان
من الفكر ...

وهنا يرد اسم : أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري . قلت اسم ، وما هذا باسمه ،
ولمّا هو محمد بن عبد الرحمن العقيل ، من آل عبد الوهاب من الخزرج تحدّروا
من المدينة المنورة إلى نجد في حدود القرن الحادي عشر الهجري (...) مولده في
حفيظة النفوس سنة ١٣٥٧هـ ثم ترجّح له أن مولده سنة ١٣٥٩ بموجب وثيقة وجدّها
في أوراق والده عمر رحمه الله .

عمل موظفاً في إمارة الدمام ؛ ثم موظفاً بديوان الموظفين العام (ديوان الخدمة
حالياً) ثم مديراً للخدمات برئاسة تعليم البنات . ثم مستشاراً شرعياً بوزارة الشؤون
البلدية والقروية — وما يزال .

وعمل رئيساً للنادي الأدبي بالرياض ، وما يزال أحد أعضائه .

وكنا وقفنا عنده في صلب المعجم بما تيسّر لدينا عنه آنذاك وأقدم ما ثبتناه له من
الكتب طبع سنة ١٣٩١ / ١٩٧١ فهو بعد الحد المحدد لنهاية المعجم ، أما الآن وقد
اتضح نشاطه (النادر) وجدّنا لدينا هذه الأخبار عنه فقد رأينا ضرورة إثباتها ،
وزاد في الضرورة قوله — وهو في عام ١٤٠١ — : (طبع له خمسة وثلاثون كتاباً)
وبدأ أن ليس من المنطق أن يكون قد طبع هذه الـ ٣٥ كتاباً في عشر سنين : فقد
يكون بينها ما يدخل ضمن حدّي المعجم ، وذلك ممكن .

حدثنا الرجل عن نفسه بالأخبار الواردة هنا عنه على ظهور كتاب . هو مجموعة
مقالات ، أصلته له تهامة ، جدة ، مطابع دار البلاد بجدة بعنوان « لن تلتحد » هو
الحلقة (٩٢) من سلسلة الكتاب العربي السعودي .

قال في مقدمته : (... لم يكن هذا السّفَرُ مقصوداً منذ البدء في صميم هذه

الموضوعات وإنما كانت مواده من جملة المحاضرات والمقالات التي كنت أنشرها في الصحف خلال عشرين عاماً . فقد أهملتُ جملةً منها وحفظته لأنني غير راضٍ عنه ، وما رضيت عنه وزعته في أسفار تحت عنوان عام هو « الفنون الصغرى » إلا أنني ميّزتُ بعض الأسفار بعنوانات خاصة لما رأيت موضوعاتها موحدة الهدف ، فكان السفر الأول بعنوان : « هكذا علمني وردزورث » لأن مواده من موضوعات الفن والأدب التي توزن بالمعيار الجمالي . وكان هذا السفر ... وهو السفر الثاني ... عن قضية الإيمان والإلحاد ، وكان الثالث بعنوان : « اللغة العربية بين القاعدة والمثال » ، وكان السفر الرابع بعنوان « هموم عربية » - الرياض ، غبراء ، دارة فيصل ١٤٠١/١/٢٦ - وجريدة البلاد أول ما يذكر لأماكن النشر .

وحدث - لدى الطبع تقديم الثاني « لن تُلحد » على الأول « وهكذا علمني وردزورث » فقد صدر هذا عن تهامة ، جدة ، مطابع سمر ، ١٩٨٣/١٤٠٤ - الكتاب العربي السعودي (٩٩) ... وبانتظار الكتابين الباقيين .

ويبدو من المقدمات أن كتب - أو مقالات - أبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري تعترضها عقبات عند النشر ، تدعو مرة إلى التأخير ومرة إلى التعديل . وليس في الأمر غرابة لأن أبا عبد الرحمن ظاهرة لا تخلو من غرابة في مكانها أو في نظرتها إلى الأشياء ... وهذه النظرة أو هذه الغرابة هي التي تجعل لمقالاته - وخاصة ما جاء في « هكذا علمني وردزورث » طابعاً خاصاً وشخصية متميزة ، وأسلوباً ... يدخلها في الأدب الفني ويقربها من المقالة المبدعة إن لم يدخله فيها .

وهاك سطوراً من المقدمة تُهَيِّئُ لصاحبها مكاناً بين الفنانين مزاجاً وهو أساس - فيما بعد - في تحديد هوية الناتج . قال : (... وهذا العنوان وحي مصادفة محضة لقصيدة لوردزورث ... - وإن كان أسبق مني زماناً - إنه إياي يعني . وجدته يبارك عملاً جليلاً كبيراً لطفل (...) يدور هذا السفر على ... اعترافات ذاتية (...) باعثها الصدق العاطفي أحد ظاهرات الجمال ، وهو خير مسجل لعبث الأطفال الكبار (...) .

هذه العاطفة التي يؤكدُها أبو عبد الرحمن ليست العاطفة التي تتبادر إلى الذهن من شئون الحب والغرام وما إليهما من قواعد الشعر الغنائي ، وإنما هي عاطفة ذهنية — إن صح التعبير ...

إننا لا نطلب عند الرجل الشاعرية الوجدانية ، ولا نطلب اللفظة المختارة الأنيقة التي تنتظم مع جارتها ضرباً من الموسيقى ... ولا أي تألق آخر يدخل في الترف اللفظي ؛ فالرجل من عالم آخر ، عالم العقل والمنطق والإقناع .

— فهو كاتب مقالة تعليمية تقريرية !

— قد يكون ذلك في عدد من مقالاته ، ولكنها ليست التعليمية التي توصل مادة جاهزة راكمدة ، وإنما هي الوسيلة التي تحرك ذهنًا ؛ ولا التقريرية الهادئة الجامدة الساكنة وإنما هي تتحدّ وطموح وإثارة .

ومن هنا جاء حظُّه في المقالة الفنية . ليست تعليمًا ولا تقريراً لأنه عفيف وإن شئت استغزّاني ، يستغزّيك إن كنت معه ، ويستغزّك إن لم تكن معه ، بضربات متلاحقة تبدو متباعدة الطرفين لديك وما هي كذلك في نفسه . فلا تأمنه إن لآن ، لأنه يلين ليشتدّ ، ولا تُصدّقه إن تواضع ، لأنه يتواضع لغزارة من الثقة بالنفس ، هي فخر يصل حدّ الخيلاء ثم يرتدّ إلى الألفة والمصادقة . تحتدم العاطفة خلال عقله ، ويحتدم عقله ليبدو عاطفة وخلال ذلك خليط عجيب من التجارب والآراء والمعارف ... مرة قديم جدًّا إلى جديد جدًّا ، ومن شرقي شرقي إلى غربي غربي ... لا تدري كيف تجمعت في ذاكرته ... وكم قرأ حتى جمعها !! ومن ثمّ تنبثقُ صورٌ تراها غير مألوّفة — وربما غير معقولة — ولكنها مألوّفة لديه — طوع يده — قد يذكرك بزكي مبارك إذا أردت أن تتذكر روحه — ولا أقول عقله ، وإذا كان لا بدّ من مقابلة . ولا يذكرك بالعقاد على أن الميدان ميدان عقل وثقافة وقراءات ، ولو كان كالعقاد لوصفناه بالتعليمية ومضينا .

فن المقالة لديه — إذن — متميّز بالانفوان الفكري لدرجة أن يبدو اضطراباً

وشذوذاً وثقة مطلقة بالذات وما تعتقده هذه الذات ؛ ومتميز – كذلك – بـ (التلاعب المنطقي) إن طلبت بديلاً عن (التلاعب اللفظي) الذي تراه لدى غيره واضحاً أو خفياً ...

وإذا بدأت معه مقالة ... لم تجدُ بدءاً من السير معه حتى ينتهي ، وعند الانتهاء ، ترضى أو لا ترضى – تضع علامة العجب والتعجب وكأنك تعايشُ (طيفلاً شكياً) .

بقي أن الشيخ أبا عبد الرحمن بن عقيل الظاهري لم يحدثنا – إذ عَرَفْنَا بنفسه – مكان ميلاده ؛ ولكنه أشار إلى أن في كتاب « هكذا علمني وردزورث » : (اعترافات ذاتية) وافتتحه بمقالة طريفة ذات دلالة على فنه وعقله ومقروئه عنوانها (الطفل الكبير وكفر أبي صير) والطفل الكبير هو هو دون شك ، و (أبو صير ريفٌ يمرح على ضفاف إحدى الترع المناسبة من النيل الخالد) في مصر . (وكفر أبي صير ريف لأسر من القبائل العربية الأصلية المهاجرة من الجزيرة العربية وبلاد الرافدين . اتخذته مخدعاً للحب المحفوف بكلمة الله وخطبة ابن مسعود ! إذ غادرته مودعاً أرض الكنانة مستقبلاً تنائف نجد تمثلت بقول أبي الطيب :

أَحِبُّكَ يَا شَمْسَ الْبِلَادِ وَبَدْرَهَا
وإنْ لَمْ يَنْبِ فِيكَ السُّهْيُ وَالْفَرَاقِدُ ..

[العرب : من كفر أبي صير اختار أبو عبد الرحمن زوجته الثانية ، أما مسقط رأسه الذي ولد فيه فمدينة شقراء في نجد] .

ولم يعرفنا عن دراسته . ونعرف أنها أساساً شرعية وقد قال في مقدمة « هكذا علمني ... » (ومؤلف هذا الكتاب من حملة العلم الشرعي شهادته : ماجستير من معهد القضاء العالي في الرياض في التفسير) .

ولاشك أن علمه خارج المادة المنهجية أكثر في المادة المنهجية : أكثر كثيراً فلا تكاد تُحصي أو تلاحق ما قرأ واستوعب من قديم وحديث ، وممنوع ومتبوع ...

وذكر لنا في مقدمته تلمذته لمجلة الرسالة ثم تلمذته بأخرة للآداب ...

ويهمنا من « الرسالة » أنها مدرسة المقالة العربية ، ومدرسة تلوق المقالة والإيجاء بمزاولتها .

وتذكرني الرسالة بالزيات ، وأذكرها وأذكر الزيات ، بعيداً جداً عن عالم أبي عبد الرحمن وأسلوبه ، لأذكر الأستاذ عبد العزيز الرفاعي وقد سمعته لأول مرة يلقي (حديثه) في بغداد — مؤتمر الأدباء العرب السابع ١٣٨٩/١٩٦٩ فكان اختياره للفظ ، وكانت أناته ازاء الجملة ... مما يذكر بالزيات ... أقول : (حديثه) إشارة إلى نبرة محببة في صوته تحسب لدى الإلقاء .

الأستاذ الرفاعي لم يجمع مقالاته والملاحظ عليها غلبة التعليم الأدبي والاجتماعي مع ميل مقصود إلى التطرية . سعيًا إلى كسب القاري في المتابعة . وقد تأتي التطرية مُلحّة وفكاهة ، وقد تأتي شجوناً في الحديث .

نخلص إلى أن كتاب المقالة كثيرون ، ونشأوا وترعرعوا وشبّوا وشابّ جيلان منهم ، لحقهم كهول وهاجسهم لدى الكتابة الفن ، ويبقى الاختلاف في القدر المتحقق وذلك رهنٌ بالموهبة والجد والاستمرار ...

ثم شرع هذا الهاجس يَخِفُّ أو يَجِفُّ وعادت الكثرة الكاثرة من المقالات كتابةً فقط . ترى أنطمع بخليفة لعبدالله جفري ؟

وطبيعي أن يكون للمرأة مكانها من المقالة خلال المدة المحدودة للمعجم ، وبخاصة لدى أواخرها ، في الأبواب النسائية — الاجتماعية من الصحف ... ثم ازدادت وتنوعت . وقد تشبثنا ذات يوم باسم خيرية السقاف وسميرة لاري : (خيرية إبراهيم محمد السقاف ، ولدت في ١٢/١٨ / ١٣٦٩ / ١٩٥١ بكالوريوس أدب عربي ، سميرة أحمد لاري ، مواليد جدة ١٩٤٩ ، ليسانس صحافة من جامعة القاهرة) ، وعدّ ذلك فتحاً بعدما كان من اختفائها في العقود الأولى ، ومن الدعوة إلى تعليمها ، وربما كتب الرجال بتوقيع نساء دفاعاً عنها وإعلاناً لها ...

وزاد نشاطها ، وصارت لها مجلتها — بعد الحد المحدود — بل مجلاتها (الثلاث) ...
وكثيراً ما جمعت إلى المقالة القصص ... أو القصة إلى المقالة ... أو الشعر إلى المقالة ...

ولدي من الأسماء : فوزية البكر ، رقية الشبيب ، شريفة الشملان ، قماشة
السيف ، عهود الشبل (وهي حصة محمد صالح الشبل) ، فوزية العريفي ، فوزية
أبو خالد ، شيرين حمزة شحاته ، سهيلة زين العابدين ، عابدية إسماعيل خياط ،
منيرة المسعود ، نائلة قسبي ، جميلة فطاني ، أميمة الحميس ، إيمان الدباغ ، بهية
بوسبيت ، — ينظر دليل الكاتب السعودي . وتتردد في « المنهل » الجديد أسماء للمرأة
منها : حياة عبد الحميد عنبر وأجناد محمود رضا ... وغيرهن وغيرهن ، ومنهن
من يعملن على جمع المختار من مقالاتهن لطبعه في كتاب — وتبقى العبرة في المقالة
كما هي في الشعر والقصة فيمن تبقى وتستمر وتتقدم وتبدع . وليس من طبع الإبداع
الكثرة !

أقول هذا وإزائي كتاب يضم مجموعة مقالات للدكتورة فائزة أمين شاكر
باسم « نبت الأرض » — جدة ، تهامة ، سلسلة الكتاب العربي السعودي (٣٥) ،
مطابع النصر ١٩٨١/١٤٠١ — ٢٦٢ ص . وفي التعريف بالكاتبة المقالة يقول الغلاف
الآخر من الكتاب : ولدت بمدينة جدة عام ١٩٤٠ م .. وتلقت تعليمها الأولي فيها ..
مارست الصحافة في وقت مبكر من حياتها .. فكانت أول صحفية سعودية تتولى
الإشراف على صفحة نسائية بجريدة عكاظ بين أعوام ١٣٨١ — ١٣٨٣ هـ (؟) .

أول مذبة سعودية .. قدمت البرنامج النسائي الشهير بعنوان (البيت السعيد) ...

تخرجت (في) كلية التجارة بجامعة القاهرة عام ١٩٦٢ م . سافرت إلى أمريكا
لمواصلة دراستها العليا وتحصلت على الماجستير عام ١٩٦٦ م .. ثم تخصصت على الدكتوراه
عام ١٩٧٢ م وكان موضوع رسالتها : « التطور الاجتماعي والحضاري للدول النامية » .

عادت إلى المملكة عام ١٩٧٧ م وانضمت إلى هيئة التدريس بجامعة الملك عبد العزيز

— جدة — أستاذة بقسم الطالبات .

واصلت « مشوارها » الصحفي في زاويتها المعروفة بعنوان « حوار » في جريدة « الشرق الأوسط » الدولية ..

اختيرت رئيسة لتحرير مجلة « سيدتي » التي تصدرها الشركة السعودية للتسويق .. حيث استعيرت خدماتها من الجامعة عام ١٩٨٠ م .

تقرأ في الكتاب ، كتاب « نبت الأرض » فترى (الفن) غالباً على قلم الكاتبة ، وتقع على (قطع) هي امتياز في الشاعرية الوجدانية لو درست صاحبته مع الشواعر لما أنكروا الحال عليك منكر .

كتابة المقالة ليست صعبة من حيث هي في (أبسط) دلالاتها التي تقف عند التعبير وحده . وهي حتى في هذه الحال ذات دلالة لدى الحديث عن المرأة اجتماعياً وفكرياً . لقد بدأت تبلى ، وكانت لها الأبواب الدائمة في الصحف ، وكان منهن المحررات الدائمات ... ثم دخل القصد الفني ، ووجد التوفيق أحياناً .

ومن هنا جاء عمل الأستاذ عبد الكريم بن حمد الحقييل في كتابه « من أدب المرأة السعودية » . قالت « العرب » : « مجموعة مقالات لنحو مئة كاتبة من فتيات هذه البلاد ... في ٢٥٦ صفحة وطبع الكتاب في المطابع النموذجية ، في الرياض ، صدر هذا العام (١٤٠٣) ... » .

القصة :

والقصة جديدة على السعودية كما هي جديدة - في شكلها الفني الواقعي - على الأقطار العربية كلها ، ولابد أن يبدى البحث في نشوء القصة السعودية أن ترجع إلى تأثير القصة المصرية ، والصحافة المصرية ... وما وصل الحجاز مترجماً إلى العربية ... حتى أحس الأديب الحجازي بأهميتها وألم بشيء من سماتها وشرائطها ورأى ضرورة الكتابة فيها .

وفي عام ١٣٤٩/١٩٣٠ أصدر عبد القدوس الأنصاري : « التوأمان » : « أول رواية صدرت في الحجاز » .

ثم نشر في جريدة « صوت الحجاز » قصة قصيرة بعنوان « مرهم التنامي » في العدد ٧٢ بتاريخ ٨ جمادى الثانية ١٣٥٢/٢٩ أغسطس ١٩٣٣ في باب : « قصص اجتماعية : رواية الأسبوع » .

وفي العدد ٨٢ كتب عنها محمد حسن عواد بما يدل على إلمامه بما هي عليه القصة الحديثة على الرغم من شدته في الحساب الدرجة التهجم وظهور العنصر الشخصي الذي يجور على المعنى المطلوب في الناقد الأدبي الصحيح .

وتُعنى « المنهل » عناية جادة بالقصة — ينظر الكتاب الفضي ١٣٨ — ١٤١ وللأديب الجزائري أحمد رضا حوحو مكانه البارز في القصة والمنهل ، ونذكر معه محمد عالم الأفغاني فيما نشر في المنهل ، وغيرها ، ومما له في المنهل قصة متسلسلة بعنوان : (الكأس الأثرية) نشرت بدءاً من صفر ١٣٦٥ / يناير ١٩٤٦ في العدد الثاني والأعداد التالية حتى العدد الثامن . ونشر فيها سعوديون ، ومن ذلك « فكرة » للأستاذ أحمد السباعي موزعة على العددين الرابع والخامس من المجلد السابع ١٣٦٦ . ثم أصدرها في كتاب .

توقف الأنصاري عند البداية وذهب ادتمامه إلى المجلة والتاريخ واللغة ... على حين مضى السباعي في طريقه القصصي — مع شغله بالتاريخ والصحافة — حتى نشر في ثمانينات القرن الهجري / ستينات الميلادي في جريدة « المدينة » قصصاً قصيرة طليعتها « خالتي كدرجان » فدل على تطور وكتب قصة تقرأ وتعجب وتختار ، ثم جمع قصصه وأصدرها في مجموعة عنوانها « خالتي كدرجان » — أعادت تهامة نشرها في طبعة ثانية وأعلنت عن طبعة ثالثة وهذا ما لم ينتهياً لأية قصة كتبها الرواد والشيوخ ...

وثالث « رواية » سعودية صدرت هي « البعث » لمحمد علي مغربي (١٩٤٨ / ١٣٦٧ ؟) ، وقد أعاد طبعها ١٤٠٣/١٩٨٣ بطلب من تهامة .

وكتب محمد سعيد العامودي القصة مبكراً في المنهل ، وكان من أوائل الداعين إلى هذا النوع من الأدب (ينظر المنهل الفضي) ولكنه لم يجمع ما نشره في كتاب . وصدر له مؤخراً عن دار الرفاعي بالرياض الحلقة الأولى من سلسلة « دنيا القصص » التي افتتحها الدار ، وعنوانها : « رازم وقصص أخرى » ١٤٠٣/١٩٨٣ - هي سبع قصص الأولى (رازم) نشرت أول مرة في جريدة « صوت الحجاز » ١٣٥٥/١١/٢٧ ؛ والميراث ، وذكرى ، ومأساة أم ، وجزاء ، في المنهل ، والأخيرة (شياوك الأخير) في البلاد السعودية ١٣٦٦/٨/٢٥ - وكان من المناسب أن تتقدم المجموعة ما كتبه الأستاذ العامودي في المنهل ١٣٥٦/١٩٧٣ مستعرضاً نواحي الضعف في أدب الحجاز ومنها خلوه من القصص ...

ترك الأستاذ العامودي القصة إلى اهتمامات أخرى ، أدبية ولكنها ليست للقصة . ويمكن لباحث في القصة التي صدرت على هيئة كتاب أن يقف عند أحمد عبد الغفور عطار ومحمد عمر توفيق .

وإذا وصلنا حامد دمنهوري وصلنا إلى مرحلة متطورة في الرواية قد تمثل نهاية مرحلة قدر ما تمثل بداية مرحلة تكون رائدة فيها ... وشغل دمنهوري بالإدارة (في وزارة المعارف ، واختارته المنية) ...

وحين دخلت الرياض ١٣٨٢/١٩٦٣ (فتحت عيني) على مجموعة « طين ودم » لعبد الرحمن الشاعر فإذا هي جديرة بالقراءة والدلالة على اطمئنان الفن القصصي ، ولكن « طين ودم » بقيت - لصاحبها - من غير غد ... ولئلاً نظلله نقول : إنه نشرها وهناك (عن مجلة عسكرية) عدداً محدوداً من القصص ، وأنه يستعد لطبع مجموعة ثانية بعنوان « عذاب الحرية وأحذب منفوحة » .

أما الذي يتردد في الساحة ، فيؤاف ، ويوالي التأليف والنشر رواية وقصة فكان إبراهيم الناصر ... وقد ودعت الرياض ١٣٨٨/١٩٦٨ وهو بارز فيها مقترناً بها وقرأت له « أمطار » ولمحت التقدم ومضى (بعدي) يوالي النشر والتأليف وإعادة الطبع ...

وكتب آخرون غير قليلين ، منهم من كان له كتاب واحد ومنهم من كان له أكثر من كتاب ، منهم من انقطع ومنهم من استمر رأيناهم في « المعجم » ورأينا -- فيمن رأينا -- عبدالله جفري ، وأمين سالم رويحي ، ومحمد زارع عقيل ، وخليل إبراهيم الفزيع ، وأمين عبد المجيد وغالب حمزة أبو الفرج ، ومحمد عبدالله مليباري ومحمود عيسى مشهدي ... ، وللقمان يونس نكهة خاصة ولكنه لا يجد في نفسه الشجاعة أو الهمة على الاستمرار ! مع أنه يبذل كثيراً من المستمرين ، ويتميز منهم . وإذا كنا ذكرنا لعبدالله مناع (الدكتور في طب الأسنان ، ولد في جدة ١٣٥٨) لمسات وهي مجموعة قصص ١٩٦٠ فقد فاتنا ذكر مجموعة « أنين الحباري » ١٩٦٨ .

أما بعد ذلك ، وبعد الحدّ المحدد لنهاية المعجم فقد ازدادت القصص ، ونشأ كتاب جدد ، وإن ظلت القصة القصيرة - كما هو طبيعي - هي السيدة السائدة وتعدد أجواؤها ما بين القلب والعقل ، والغاية الاجتماعية المباشرة أو غير مباشرة أحياناً بما تعكس من ضيق أو أزمة وتعريف بتقاليد يراها الكاتب بآلية تحوّل دون التقدّم وبين القصد إلى الفن وأطوار من حالات النفس ... في العقل الباطن وتيار الوعي

وأصدرت مجلة عالم الكتب (مج ١ ، ع ٤ ، ربيع الآخر ١٤٠١ / ١٩٨١) عدداً خاصاً بالقصة في المملكة العربية السعودية لا يستغني عنه دارس . وللدارس أن يتابع الأعداد التالية فيما تذكره من أمور القصة دراسة أو تعريفاً أو إخباراً عن صدور .

ولك أن تلتقط من أسماء المؤلفين - مستعيناً ببعض ساعاتي ومطبوعات النوادي الأدبية وكتاب الدكتور نصر محمد عباس : « البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة » ١٩٨٣ / ١٤٠٣ وكتاب الدكتور منصور الحازمي : « فن القصة في الأدب السعودي الحديث » : سليمان الحماد ، محمد المنصور الشقحاء ، حجاب يحيى الحازمي ، عبدالله السالمي ، محمد حمد الصويغ ، عبد العزيز صالح مشري ، صالح سالم باقارش ، عاشق عيسى الهذال ، جارالله الحميد ، عبدالله عبد الرحمن العتيق ، حسين علي حسين ، علي محمد حسون ، عبدالله سعيد جمعان ، حسين هاشم سالم ، محمد بن طلال ، فائز

عبد المجيد ، فؤاد عبد الحميد عنقاوي ، طاهر عوض سالم — هذا غير علوي طه الصافي في « مطلات على الداخل » .

وعُنيَت النوادي والجمعية بالقصة والقصاصين .

ولابدَّ من أن يكون غير هؤلاء ، وأن يكون الذي تحت الطبع لعبد الرحمن العتيق ، وحسين علي حسين وعلي محمد حسون وعبد العزيز أحمد ساب وعبدالله باخشوين قد صدر أو صدر أكثره ، غير ما بقي ويبقى طيّ الصحف والمجلات .

وليس العدد بالقليل ، وتبقى مسألة النوعية العالية خارج دائرة « المعجم » ولابدَّ من الانتظار ، ولابدَّ للقاص السعودي من بحث عن عوامل تساعد على الإبداع والتميز ، على أنك لا تعدم الجودة أحياناً ، والجهد المبذول في أن تأتي القصة فناً .

ونشر الدكتور منصور الحازمي بحثاً قيماً عن « القصة القصيرة في الأدب السعودي الحديث » — عالم الكتب ربيع الآخر ١٤٠١ / فبراير ١٩٨١ ، أعاد نشره في كتابه « فن القصة في الأدب السعودي الحديث » وسار في استعراضه حتى بلغ جيل الشباب فكان مما قاله : (لم تظهر فيما أعلم ، مجموعات قصصية لجيل الشبان من القصصيين قبل نكبة حزيران سنة ١٩٦٧م ؛ بل إن معظم هذه المجموعات من نتاج السبعينات (...) لقد اختلفت القصة القصيرة على أيدي هؤلاء الشباب اختلافاً كبيراً عما كانت عليه عند أسلافهم من الواقعيين . لم تعد تُعنى بالبيئة المادية أو الواقع الحسي ، بل باللحظات الشعورية والمواقف النفسية المتوترة . ولم تعد تهتم بالمشاكل الاجتماعية اهتماماً مباشراً ، بل بما قد تعكسه هذه المشاكل من أحاسيس ذاتية غامضة ، لا تبحث عن حل معين ، وإن كانت توميء إليه أحياناً . والحقيقة أنه من الصعب أن نبحث عن موضوع معين في القصة الجديدة — على الطريقة التقليدية — ذلك لأن الموضوع الحقيقي هو القاص نفسه الذي اقتربت لغته من لغة الشعر : والذي يرى العالم الخارجي من خلال تأملاته وأحلامه وأفكاره التي لا تنتظم منطقياً في اتجاه محدد ، وإن كانت تتجمع آخر الأمر حول بؤرة شعورية واحدة .

إن الغربة في المدينة لم تعد غربة مادية (...) بل هي غربة الفكر وغربة الروح ...

إن قصة الجليل الجديد قد أثبتت رغم طفولتها - زمنياً - قدرتها على شق طريقها وفرض وجودها كفن أدبي متميز - ولكنه مزيج من مذاهب شتى تختلط فيه الرمزية بتيار اللاوعي والسريرية واللامعقول (والوجودية) - وهي على الرغم من غموضها وعزلتها وتشاؤمها ، فقد استطاعت - بعض نماذجها الجيدة - أن تفتح آفاقاً جديدة للقصة المحلية لا عهد لها به .

وقد وصف الدكتور الحازمي أبناء هذا الجليل (السبعيني) بالغرباء .

ونذكر أن هذه الظاهرة ليست سعودية فقط ، فما ذكره الدكتور الحازمي يكاد يكون وصفاً دقيقاً للجيل الذي سمي الستيني في العراق . ومثله كان في مصر والشام ...

ونقف قليلاً عند مجموعتين : الأولى لما أثارت من (نقد) والثانية لتمثيلها موجة الشباب « السبعيني » :

١ - الصمت والجدران لسباعي أحمد عثمان - من مواليد السودان ١٩٣٧ ، درس في الخرطوم وانقطع عن الدراسة في السنة الثانية بكلية الآداب . ارتبط عمله الصحفي بجريدة « المدينة » وهو المشرف على صفحتها الأدبية .. - طبعت مجموعته ثلاث مرات وليس هذا بالقليل وحالته نادرة أو فذة في بابها .

أحدثت « الصمت والجدران » حركة أدبية قليلة المثال . قال صاحبها وهو يقدم للطبعة الثالثة - وقد صدرت عن : نادي القصة السعودية : الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون - فرع المنطقة الغربية بجدة ، مطابع دار البلاد بجدة ١٤٠٢/١٩٨٢ : (لا أدري كيف أعبر عن إحساسي تجاه هذا الدفق الكبير من الاهتمام بمجموعتي « الصمت والجدران » فقد غيّر الكثير من ظنوني ، وشكوكي وقت صدورها ... لأنها وإن ظهرت في عام ١٣٩٩هـ مجموعة في كتاب - فقد نشرت في جريدة المدينة متفرقة منذ عام ١٣٨٥هـ في أزمنة متباعدة ، أو متقاربة ، ونشرت آخرها في عام

١٣٩٠ هـ ... ودفعَتْ بها إلى الطبع في ذلك التاريخ .. حيث بقيت في بيروت تحت رحمة الحرب الأهلية سنوات ... ثم بادر نادي الطائف الأدبي فتولى طباعتها في عام ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .. ثم انتعشت طبعة بيروت فجأة - عن الدار السعودية للنشر - وصدرت في كتاب من القطع الصغير في عام ١٤٠٠ هـ .. ونفدت الطبعتان من الأسواق خلال سنتين فقط ..

ومنذ صدورهما في طبعتها الأولى .. والأقلام تتناوشها .. استحساناً أو استهجاناً أو استحساناً واستهجاناً في آن معاً ..) .

ولسباعي عثمان مجموعة ثانية صدرت باسم « دوائر في دفتر الزمن » ستصدر قريباً .

٢ - الخبز والصمت لمحمد علوان (في الدليل : من مواليد أبها ، خريج كلية الآداب بجامعة الملك سعود) ، صدرت عن دار المريح ، الرياض ١٣٩٧ / ١٩٧٧ ، ٨٨ ص . وقد قدم لها الأديب المصري المعروف الأستاذ يحيى حقي مقدمة أظهر إعجابه الشديد بها على أنه من جيل الشيوخ وعلوان في طليعة الشباب السبعيني وما من معرفة بين الأديبين (الكبير) و (الصغير) .

قال الحازمي : (إن قصص محمد علوان تفيض بالحزن والتشاؤم مما حدا يحيى حقي أن يقول عنها : (هالني مقدار القتامة التي صببتها هذه المجموعة في قلبي ..) وأن يقول أيضاً : (كم أتمنى لهذه النظرة المنصرفة كل الانصراف للداخل أن تتحول - ولو نصف نصف - إلى الخارج أيضاً ، فتتجلى لها الطبيعة والناس ، غير محرومة كل الحرمان من بهاء الصورة) .

ولكن محمد علوان لم ينفرد بهذه الظاهرة . بل هي موجودة في أكثر الأقاصيص التي يكتبها رفاقه من الشباب (...) .

ولاشك أن قصتنا القصيرة المعاصرة قد استمدت مما حولها من نماذج عربية

وعالمية (...) ولكن الشعور بالملل أو القلق أو الإحساس بالغربة ليس وقفاً على أعمال (الوجوديين) فقد يكون له ما يبرره في الواقع المعاش في كل زمان ومكان . وينبغي أن نفرق بين (الوجودية) كفلسفة و (الوجودية) كإحساس عام (...) ...

ويرتاح الدكتور الحازمي لثناء (الكاتب الكبير يحيى حقي) - (شيخ القصة القصيرة في زماننا) - على مجموعة محمد علوان (وقد تحول إلى دراسة جادة متعمقة) : (حجم صغير ، بل في أغلبها قصير جداً ، تركيز شديد ، لم يمنعها تنابع التقطيع بسبب الحمل القصيرة المستقلة من أن تملك قدراً لا بأس به من السيوالة والتدفق . لحنها شمولي ، بعدها عن الافتعال فهي صادقة كل الصدق (...) ذاتية الأسلوب ، النظرة إلى الداخل ، الاهتمام بالمشاعر ، عمق التحليل النفسي ، البراعة في استخدام الرمز ...) .

ويعلق الدكتور الحازمي فيقول : (... أليست شهادته ... بأن هذه المجموعة خير مثل للقصة الحديثة - مما يدعو إلى العجب والاعتزاز ؟ ... الاعتزاز لأن شاباً من بلادنا قد حقق أخيراً ذلك الأمل الذي كنا نتطلع إليه منذ أمد بعيد ، ألا وهو تأصيل فنّ القصة القصيرة في بلادنا ، وكنا لا نفخر بشيء سوى الشعر ...) .

وانظر كم تطورت الحال من « مرهم التناسي » والتوأمين وفكرة ... إلى « الخبز والصمت » ... وإذ نقف عند نقد الدكتور الحازمي نقول : وكم تطور نقد القصة منذ هجوم العواد على الأنصاري ...

تذكر « عالم الكتب » مج ٤ ع ١ ص ١٤١ لمحمد علوان - الحكاية تبدأ هكذا . الرياض ، دار العلوم للطباعة والنشر ١٩٨٣/١٤٠٣ - ٩٦ ص : (ضمنها ثماني عشرة قصة قصيرة تتميز بأسلوب رشيق وفكر معبر) .

جاء في « دليل الكاتب السعودي » : محمد علي علوان . مكان الميلاد : أبها . الدراسة : خريج كلية الآداب - قسم الأدب العربي بجامعة الملك سعود بالرياض .

المشاركات الثقافية : الإشراف على الصفحات الثقافية بمجلة الإمامة لفترة من الزمن ، وكذلك ملحق أدب وثقافة بجريدة الرياض .

وبانتظار رأي النقاد ، والحازمي خصوصاً ، في بيان الذي حققه قاصتنا الشاب المتميز . وما حققه الآخرون ، وهم كثيرون ، عشرة ، وعشرون ... كم يستمرون ؟ وكم ينقطعون ؟ وكم يبحثون عن تأكيد ذواتهم في عالم آخر ؟ فقد علمنا التاريخ عموماً ، وتاريخ الأدب السعودي خصوصاً - فيما نحن فيه - أن الكثرة لا تعني كثيراً ، وإنما العبرة في المثابرة القائمة على الموهبة والاستعداد للتضحية والانسجام التام بين الذات والفن .

ولا يستغني قاريء عن كتاب الدكتور نصر محمد عباس لإخلاص الرجل في المتابعة والملاحقة وقد تعدى المطبوع في كتاب إلى ما تناثر في المجلات والجرائد وإلى ما هو « تحت الطبع » ... وهو يخرج بالسبعين إلى ثمانينيات القرن (الميلادي) تسعينيات القرن الهجري ، ويقف بعد محمد علوان ص ١١٥ عند عبدالله السالم - مكعبات من الرطوبة . الرياض ، دار العلوم ١٤٠١ (١٤٠٠) / ١٩٨٠ . وفتح صدر كتابه البناء الفني في القصة السعودية المعاصرة « وأسعاً للمرأة القاصة . وقد صار في المملكة من القاصات عدداً وكيفاً ، ما يفرض نفسه على الدارس وإن كان الدكتور عباس قد تابع الموضوع طوعاً واختياراً ...

وأحسب أن القصة باب يتسع لخطوات المرأة تستطيع أن تلوذ به ، ولا يعلنها في الناس كما يعلنها الشعر (الوجداني) ، ولها من عالمها الذي تعيشه ما ينوع ويزين ويثري ... مضافاً إليه عالم الأخريات والمجتمع كله في تقاليد القديمة - وفيها الغريب المستغرب - وتطوره الجديد الذي يبدو كالطفرة ، وفيه ما يبدو شاذاً ...

ولا يخص هذا الكلام سميرة خاشقجي (من مواليد ١٩٤٠) كما يذكر د. نصر محمد عباس) وفي الدليل ١٥/٨/١٩٤٠ - كثيراً - أو قليلاً فقد رأيناها في « المعجم » وكأنها من عالم آخر ، تكاد تحتوي المراهقة أركانها وزواياها فتلقفه القارئة والقاري

من المراهقين والمراهقات في المملكة وخارجها وربما زاد الخارج على الداخل . قال نسيم الصمادي في مقاله (دراسة أدب المرأة السعودية القصصي) ، الذي نشره في مجلة عالم الكتب مج ١ ، ع ٤ (ربيع الآخر ١٤٠١ / فبراير ١٩٨١) : (... الملاحظ على كتابات سميرة خاشقجي أنها كاتبة عاطفية لا متمية ، تعيش أجواء روائية سينمائية ، وهي تظن أنها تمارس أدباً واقعياً حياً : لأن الواقع في نظرها لا يزيد على العلاقات الشخصية والممارسات الروتينية التي تحكم يومها ، وهي لهذا تتجراً وتقول : (أنا أكتب القصص وأحيا الواقع ، وأكتب الواقع وأنا أعيش القصص (...)) وتقول : وما العيب في كتابة القصص العاطفية ؟ ...) — مقالة الأستاذ الصمادي مهمة في بابها ، جادة ، مخلصه ، وسنفيد منها ، ونجعلها في مراجعنا .

ولسميرة خاشقجي في « دليل الكاتب السعودي » تسعة عنوانات قصصية تاسعها : شجرة الحب .

ويبقى الأمر — فيما عدا ذلك — ونحن في النصف الثاني من العقد التاسع من القرن الهجري / السابع الميلادي وكأننا لا نكاد نجد ما يذكر للمرأة ، وإذا ذكرناه ورد تشبيهاً ... وكانت في ذلك نجاة خياط بمجموعة لها صدرت بتشجيع خاص من الأستاذ محمد حسن عواد وداره المستجدة آنذاك للنشر ومن حبه لرعاية الشباب (والشواب) . ثم ذكرنا خيرية السقاف اعتماداً ما كان لها في الجرائد ... وتفاؤلاً بمستقبل قريب .

ثم اختلفت الحال بعد ذلك ، وكثرت القصصات ، وتعددت مجموعات ... ولم تخلف خيرية السقاف الظن إذ أصدرت « أن تبجر نحو الأبعاد » (الرياض ، دار العلوم ١٩٨٢/١٤٠٢) .

وتناثرت في الصحف والمجلات قصص قصيرة كثيرة لعدد غير قليل من الكاتبات القاصات . ومن اللائي أصدرت « روايات » نذكر — اعتماداً على ما وصل إلينا من الآثار ، وعلى المراجع التي سبق ذكرها — : هند صالح باغفار ، ولها : « البراءة

المفقودة « ١٣٩٢ ، « جروح في جبين الحياة » ١٣٩٨ ، « الهدية » ١٣٩٩ ، « العطاء الأكبر » ١٣٩٩ ، الرحلة الأخيرة ١٤٠٠ - وفي كل كتاب قصة واحدة . ولعائشة زاهر أحمد - « بسمة من بحيرات الدموع ١٩٨٠/١٤٠٠ . ولهدى الرشيد - « غداً سيكون الخميس » ١٩٧٧ . ويذكرها دليل الكاتب السعودي كذلك « عبث » (رواية) . ويذكر الدليل لهيام محمد الكيلاني « الليل والغرباء » (قصة) .

ولإثرائي : « غداً أنسى » للدكتورة أمل محمد شطا والمؤلفة (طبيبة سعودية من مواليد مكة المكرمة ... تعتبر الأدب هوايتها الأولى ... نشرت فعلاً مجموعة من قصصها القصيرة في بعض الصحف المحلية . « غداً أنسى » الرواية الأولى للمؤلفة تلقى فيها الضوء على جانب من صور حياتنا الاجتماعية . وتعتبر الكاتبة على حدّ تعبير الناقد الكبير الأستاذ عزيز ضياء (مفاجأة لي .. وستكون مفاجأة للقاري حين يعيش أحداث روايتها ، وحين يتذوق أسلوبها السهل المتدفق مع سلامته من الخطأ واستقامة عباراته) ... - تهامة ، الكتاب العربي السعودي (٨) (١٩٨٠/١٤٠٠) .

ولقد نهيأ لي أن أقرأها واستمتع بها شكلاً ومضموناً . وهي أي القصة - أو الرواية القصيرة - إذا أردنا الدقة في المصطلح - خطوة متقدمة في تاريخ القصة (الرواية) السعودية تنسجم صياغتها مع فكرتها ، وتديرها المؤلفة بحذق وتمكّن ، وكأنها أطالت من قبل - ألفّة الروايات العالمية وتأمل بنائها ، كما أطالت تخمير التجربة التي تعرضها ، فجاءت سلسلة جذابة يتعاطف معها القاري ، وينسجم ويرى في قناعة ووضوح ورضا مكان الحنان من النفس الإنسانية ، ومدى ما يمنح - هذا الحنان - صاحبه من قوة وتحمل ، ومدى ما يغير من سلوكه من قساوة إلى دماثة ولطف ولين - والحنان قرين الحب أحياناً .

وأحسب أن الأستاذ عزيز ضياء - وهو الأديب السعودي البارز من الشيوخ الذين واكبوا الحركة منذ بدايتها ، وفقه اللغة الانكليزية وما احتوت من أدب وقصص أصيل - قد وضع (الرواية) في مكانها اللازم - ولم يحامل .

وعجبت - ولم أعجب - للتقدم الذي أحرزته المرأة ، بل (الرواية) كلها .
فإذا كان حامد دمنهوري أمسى حداثاً جديداً في تاريخ الرواية السعودية فإن أهل محمد
شطا حداثاً جديداً جديداً . في روايتها عمق وتشابك ولغة وطواعية .

نفدت الطبعة ... وهي تحت الطبع في إصدار جديد .

وصدر في القصة القصيرة مجموعة « الزحف الأبيض » للطيفة إبراهيم السالم

. ١٩٨٢/١٤٠٢

وذكر الدكتور نصر محمد عباس قصصاً أخرى نشر - وينشر - في
الصحف ، ومنهن من تعد مجموعة للطبع ، أولها مجموعة تحت الطبع : جميلة فطاني ،
جواهر عبدالله العسوس ، جوهرة المزيدي ، رقية الشبيب ، شريفة الشملان ، عهود
الشبل ، فوزية البكر ، قماشة الجابر .

ولابدّ من أن يكون قد صدر لمن مطبوع ... ولابدّ من أن تدخل الميدان
قصصاً أخرى ... وذكر الصمادي : حصة التويجري ، وختم مقاله القيم
بتفاؤل كبير .

وفي العدد الأكبر من القصصات من جمعنا القصة إلى المقالة والعمل الصحفي
(مباشرة وغير مباشرة) - ينظر « البناء الفني » للدكتور نصر محمد عباس .

وخلاصة القول أن القصة في السعودية في تكاثر وتنوع لها مجالاتها للنشر وفي
مقدمتها الصحف المتعددة المتنافسة ، وتبقى الدرجة في الجودة والابتكار رهناً بالمثابرة
والاستفادة الجادة من التجربة المحلية متصلة بالتجربة العالمية (والعربية) - وبالاتظار .
وقد تطورت فعلاً ، وزاد حظها من العنصر الفني في الأداء والعنصر النفسي في
المضمون . ولعلها التقت - ولو قليلاً - بمنهج قصص الشباب السبعيني . جاء في
« عالم الكتب » - ذكر أعلاه ، ص ٥٢٥ : (ردّ المحرر الأدبي في مجلة اليمامة على
رسالة وصلته من قماشة السيف قائلاً : أسلوب يشف عن معاصرة إبداعية (...)

تملكين قدرة عجيبة على خلق الجمل الشعرية .. لكن عن طريق التداعيات غير المنظمة ،
والأحلام المبتورة ، حتى أن لغتك تتحول إلى لغة تجريدية تميل إلى طرح الحكمة ،
ورغم كثافة الصورة ، وحضور الشعر مما يساهم في غياب الموضوع .

كتابتك تنطلق من اعتبار الحالم كأساس ، ولذلك يأتي الواقع بما فيه من قسوة
وجهامة كشيء عارض .

مرة أخرى – وليست أخيرة : القصة في تقدم وتطور ، ولابد لها من ارتكاز
متين من الثقافة والفكر والمتابعة والجد ، لكي تحقق درجة أخرى ... تحول دون
التوقف أو الفتور أو الاجترار ... أو التراجع .

مع رجاء لمن يجمع – أو تجمع – قصصاً متناثرة في كتاب مراعاة تشبيبت تاريخ
النشر ومكانه للقصص المجموعة ؛ وفي ذلك خدمة للدارس والناقد .

المسرحية وكتابتها :

وتذكر المسرحية مرتبطة بالقصة أو ملاحقاتها ، لأنها مازالت في البداية وإن
اكتسبت مع الوقت مشروعيتها بعد أن كانت صفرًا أو حلمًا أو غيابًا متصلًا بغياب
المسرح نفسه وربما النظرة غير المحللة له ... وإن تبقى كذلك بعد اليوم ...

ليست السعودية بعيدة جداً عن أخبار المسرح العربي (المصري) وأخبار المسرحيات
العربية (المصرية) ولم يصعب الوقوف على هذه المسرحية أو تلك ، ولا سيما عندما
كانت شعرية بقلم أحمد شوقي ، ومشاهدة هذه المسرحية أو تلك وللسعوديين – بدءاً
من الحجازيين رَوَّاحاً إلى القاهرة وميجيئاً ...

بل إن شباب النهضة الأولى في الحجاز رأوا بين ظهرائهم من أدباء العرب
المرموقين من زاول الكتابة المسرحية ويكفي أن يكون من أولئك الشاعر العلم :
فؤاد الخطيب (●) .

قال الزركلي (١٦٠/٥) فؤاد الخطيب (١٢٩٦ - ١٣٧٦ % ١٨٧٩ - ١٩٥٧ ..) :
« ولد ... قرب بيروت واستكمل دراسته في الجامعة الاميركية سنة ١٩٠٤ ... نشر ...
مسرحية « فتح الأندلس - ط » شعرية (١٩١٢) ... مكة ... جريدة القبلة - الملك
حسين - ... الرياض ... - عاهل الجزيرة العربية عبد العزيز بن عبد الرحمن آل
سعود ... » ذكرناه هنا - وقلما ذكره الآخرون إذ يتحدثون أو يبحثون عن المسرحية
العربية .

وإذا ذكرنا الزركلي ذكرنا صلته المباشرة بالسعودية وأدبائها حتى عاد سعودياً ...
وإذا فاتنا اسمه عند الحديث عن القصة وله فيها أثر ، فلا يفوتنا اسمه هنا وله (قصة
تمثيلية نثرية ... « وفاء العرب » مثلت أكثر من مرة ، ابتداء من سنة ١٩١٤ ببيروت .

أتمرُّ أحاديث الخطيب والزركلي كلها دون ذكر للمسرحية والمسرح ؟ !

ويأتي الشيخ أحمد السباعي - الفتى السباعي - رائد لا يكذب أهله في الأدب
والمجتمع ، في التعليم والفن ... أَلَمْ يَدْعُ إلى تعليم المرأة ؟ أَلَمْ يَدْعُ ويطبق الدعوة
إلى الكتاب المدرسي ... وأشياء كثيرة يهمننا منها هنا ، وأعجبها دعوته إلى المسرح
وخطواته المبكرة فيه ، ولكنها كانت إزاء ما جدَّ في البلاد وكأنها في غير أوانها
أو ظروفيها ، ولا بأس فيبقى للفتى - الشيخ - فضله ، وما أحسبه سكت تمام السكوت
أو أن تكون بذرته من غير نباتٍ وثمر ... وكثيراً ما احتفظت التربة بالبذرة حتى
الوقت المناسب .

وبقي حقه محفوظاً في الأجيال حتى إذا توفي يوم الثلاثاء ١٦/١٢/١٤٠٤ تردد
مع ذكر اسمه : المسرح ، وقرر النادي الثقافي في مكة المكرمة أن يطلق على اسم مسرح
النادي : مسرح أحمد السباعي تقديراً للدور الذي قام به السباعي نحو تأسيس أول
مسرح سعودي في مكة المكرمة .

ثم كان حسين سراج ومسرحيتان . بل مسرحياته الثلاث .

وأحمد عبد الغفور عطار في ترجمته لفتش كوكول ، وللزناقي الحمر لطاغور
في طبعتين (١٣٥٢/١٩٧١ ، ١٣٩٨) .

ولم تغفل « المنهل » هذا الجانب من أنواع الأدب الجديدة . وقد جاء في المنهل
الفضي (ص ١٣٨) . أن في العدد السابع من السنة الأولى (١٩٣٧/١٣٥٥) أقصوصة
تمثيلية بعنوان (الاتفاق الأخير) ، وفي العدد العاشر من أعداد ١٩٤٥/١٣٦٥ رواية
ذات فصل واحد ، للأستاذ عبدالله عبد الكريم الخطيب . ولم يكن مصطاح (المسرحية)
قد بدأ أو استقر ، فكانوا يسمونها رواية ، وربما ميزوها بالتمثيلية شأن الحال في
مصر وغيرها ، وربما سموها قصة وميزوها بالتمثيلية .

ثم كانت « الشياطين الحرس » لعبدالله عبد الجبار وأمكن أن تُعدَّ مسرحية رائدة .
قال إبراهيم هاشم فلال في « المرصاد » ج ٢ :

(إن القصة والمسرحية بالمعنى المفهوم حديثاً ، دَخِلَتَانِ على الأدب العربي ،
وناشتتَانِ فيه ، (...) ومما لاشك فيه أن بلادنا (...) لم تحاول أن تسهم في أدب
المسرحية محاولة جدية ، حتى جاء الأستاذ عبدالله عبد الجبار (...) وأخرج لنا
مسرحيته « الشياطين الحرس » في جرأة وحماسة ... وقد تأثر الأستاذ محمد حسن عواد
بهذه الجرأة بعد قراءته المسرحية وانفعل انفعالاً شديداً ، وطلب أن يقدم هذه المسرحية ،
ولم يُمانع الأستاذ عبدالله - طبعاً - في ذلك (...) لقد عالَج الأستاذ عبدالله في
مسرحيته مهزلة الرجعية والتعصب والملق والرياء والضعف (...) ولا يمتلك النقد
الأدبي في « المرصاد » إلا أن يعتدَّه رائداً جريئاً موفقاً ، ويستحثُّه على مواصلة
كتاباته المسرحية الحقّة ، فإنه - إلى الآن - أقدر كتابنا على معالجة هذا اللون المسرحي
الجري (...) ولعل الأصداء التي تجاوبت بها النفوس من مسرحيته هذه تكون حافزاً
له على كتابة مسرحية أقوى فما أكثر المواد الصالحة للمسرحيات في بلادنا) .

لم يكن الأستاذ عبدالله عبد الجبار الأول في تاريخ المسرحية السعودية ، ولكنه
الأول في الجرأة على تناول موضوع حسّاس خطير في صميم المجتمع . ولم يكن الأستاذ

فلالي مالكا لزمّام النقد المسرحي وإنّما تعامل مع المسرحية على أنها قصة ... وأنها جريئة ... ومن ثمّ خيَّب الأستاذ عبدالله عبد الجبار المعجبين به ، فلم يستجب للنداء ولم يواصل المسيرة .

وقال الفوزان ٧٠٢/٢ : (وقد كتب أدباء الحجاز الكثير من المسرحيات الشعرية والثرية ، مثل مسرحية «أصدقاء الظروف» للعاهودي و «الهجرة» للعطار ، و «في غار حراء» لابراهيم فودة ، وغيرهم . ولكن الجميع بقي رهن المؤلفات لم يمثل ...) .

ولو رجعت إلى المعجم لوجدت مادة لموضوع المسرحية عند حسن عبدالله القرشي ، وعبد السلام هاشم حافظ .

ولابدّ من الانتظار ، فما زلنا بعيدين عن العوامل الحقيقية والمفهوم المدني المتدرج ... ويكون للخليج مسرحياته ومسرحه ، في البحرين والكويت ... فضلاً عن العراق ، (والبصرة) ... وتأتي الإذاعة ، ويأتي التلفزيون ... ولابدّ من مناهج محلية تجمع بين التسلية والموعظة ... فكانت ...

ولعل هذا اقصى ما بلغتّه الحال ونَحْنُ في أواسط ثمانينيات القرن الهجري — أواسط ستينيات القرن الميلادي — ولتلفزيون جدة أثره وفضله ، ومازلتُ أذكر مسرحية شعبية يتردد فيها اسم (مشكاص) ، وهكذا تبدأ الأشياء ، فالمسرحية ، كائنة ما كانت سعودية والممثلون ... سعوديون (حجازيون أول الأمر) ...

ولا تنسَ رمضان ومتطلّبات مناهجه ، وهنا تبرز (أم حديجان) وهي — أي هو أبو حديجان — عبد العزيز الهزاع — أعجوبة أحكمتها الحاجة ، لابدّ من التمثيل في إذاعة الرياض ، ومن أين لك بالممثلين ؟ وبالممثلات ؟ ! إنّ رجلاً نجدياً موهوباً في التمثيل ، وتقليد الأصوات وتأليف المسرحيات من الحياة اليومية ومن لاثيء ... يتولى المهمة كلها فيجيد ويجتذب ويدل على قدرة في الابتكار ... ومازال مستمراً ... ولكنه لم يتطور ... وقد مضى عليه ما يقرب من ربع قرن ... وكان يمكن أن يتطور

لو كان في غير ظرفه ، وحسبك أنه كان يمثل وَحْدَهُ فرقة كاملة فيها الزوج والزوجة والجدُّ والجدَّة والأطفال ... على اختلاف في الأصوات والعقليات والأحداث .

ولا يطول الانتظار - بعد اليوم - فالمظاهر المدنية تأخذ طريقها وتزايد ، ويتثبت ما فيها من إمكان الخير . وإذا لم يكن في البلد دور للسينما بمعنى الكلمة ، ففي الألوف وعشرات الألوف من البيوت أجهزة صغيرة للسينما ، تعرض ما شاء أهل البيت من الأفلام ثم جاء (الفيديو) ... والسينما حاجة فنية قائمة بذاتها ، ولكنها تمثيل أيضاً ... ويزداد السفر إلى الخارج ، والدراسة في الخارج ، والاتصال بمناهج التعليم أو أساليب شغل الفراغ ومنه المسرح والتمثيل ... والكويت قريبة جداً بمسرحها وأكاديميتها وما تنقل إلى العربية من روائع المسرح العالمي .

وهكذا تتطور الأشياء في هدوء ... ولا بأس هنا حتى بالبطء ... وتبقى المشكلة الأساس في الممثلين والمرأة ، وتحل مؤقتاً - كما حُلَّتْ في بدايات المسرح في كل مكان - بالرجل ، الولد الذي يتنكر بزي المرأة ، البنت ، كما يمكن الاستعانة و (الاستعارة) من أقطار خليجية سبقَتْ في هذا المضمار .

وكان مناسباً أن نذكر ضمن السعي الفردي أو الطموح الفردي الذي يعبر عن شعور غير فردي بالحاجة إلى الفن المسرحي على وجه سليم ... نذكر عبد العزيز الربيع (●) وقد قصد مصر للدراسة العالية - في الأدب والتربية - ولكنه انحاز - مع ذلك - فردياً ذاتياً إلى المعهد العالي لفن التمثيل العربي في القاهرة ... فأخذ الذي استطاع أن يأخذه - والعبرة في العملية نفسها . وسيعود الربيع إلى التعليم في المدينة ويصل منصب مدير التعليم فيها لسنوات ... ولك أن تتصور مكاناً للمسرح والتمثيل في أحاديثه ومشروعاته ... وتعليمه ... - والبقية تأتي .

- تأتي متى ؟

- الآن إن شئت ... مع قليل من الصبر ... وتذكر أولاً أن النوادي الرياضية ذات علاقة بالموضوع ... وتذكر مسارح جامعية ومدرسية وتذكر أكثر من ذلك

قيام الرئاسة العامة لرعاية الشباب ... وصدور قرارها بتأسيس (الجمعية العربية السعودية للفنون) في عام ١٣٩٢ ... ثم تعديل الاسم في غرة عام ١٣٩٨ إلى (الجمعية العربية السعودية للفنون والثقافة) . مقر الجمعية الرئيسي : الرياض ، ولها فروع في جدة ، والطائف ، الدمام ، الأحساء - وتزايد وفي مدة قصيرة جداً لتأسيسها (أصبح يلتف حولها أكثر من ثلاثة آلاف أديب فنان) ، كان ذلك عام ٩٨ - ٩٩ فكيف وكم هم - وهي - الآن ؟

تهمنا الجمعية كلها في دلالة وجودها استجابة طبيعية لشعور حي وحاجة قائمة . وتهمنا بمركزها الرئيس الذي تفرع إلى ست لجان : الثقافية ، لجنة الفنون التشكيلية ، لجنة الفنون المسرحية ، لجنة الفنون الشعبية ، لجنة الموسيقى والغناء ، لجنة الإعلام والنشر ..

و (تعد لجنة الفنون المسرحية العدة لنشاط مكثف من أجل تقديم العديد من العروض المسرحية ذات المستوى الجيد . وعلى هذا الأساس فقد حصلت ... على ثلاثة نصوص لثلاث سهرات ... تنتجها بالتعاون مع التلفزيون في المحطات الثلاث : الرياض ، جدة ، الدمام . ويشترك فيها أعضاء اللجنة في الجمعية وفروعها في المنطقة الغربية والشرقية) .

وكان من نشاطات اللجنة أن قدمت في المركز الرئيسي في الرياض مسرحيتي (طيب بالمشعاب) ، و (آخر المشوار) .

وفي فرع جدة (بتاريخ ٩٨/١/٢٥ هـ تم تسجيل حلقة من مسرح الإذاعة الذي اشترك فيه عشرة من الفنانين ...) . في برنامج (بطاقة دعوة) وحلقة أخرى لفنانين آخرين في الشهر التالي .

وفي فرع الدمام (كان أول عمل ... هو ... مسرحية بعنوان (رقم ٣) ... من إعداد وإخراج ناصر المبارك وشارك فيها عدد من الفنانين البارزين في المنطقة) وقد أنشأ الفرع - فيما أنشأ - قاعة لعمل بروفات التمثيل والأعمال المسرحية .

وفي الأحساء أجريت التجارب والبروفات اللازمة لعرض مسرحية اجتماعية من ثلاثة فصول بعنوان (عقاقير وعقارات) يشارك في تمثيلها عدد كبير من ممثلي الفرع من الشباب السعودي ، إضافة إلى أن فرع الجمعية بالأحساء يشارك الأندية الرياضية الموجودة بالمنطقة في حفلاتها المسرحية .

ونذكر مسارح تابعة للنوادي الأدبية والجامعية والمدرسية .

كان هذا في عام ٩٨ - ٩٩ وسارت الأمور بعده وطيدة ... ولابدّ من تطور في المسرح والمسرحية ... وقد تبسّنت رئاسة رعاية الشباب تأسيس معهد للفنون الجميلة لتأتي الأشياء جامعة بين الهواية والمهنة ، وقائمة على الأسس العلمية ... وقد تبتعث شباباً إلى مواطن المسرح والمسرحية ، وقد تنتدب مختصين بشؤون المسرح والمسرحية ...

وماذا بَيَّنّها وبين المعهد المقترح ؟ وعلى ذكر الفنون التشكيلية فقد تطورت الأمور كثيراً ، وكنا قد رأينا في بداية الغيث الفنّان عبد الحليم رضوى ... وقد ابتعدنا عن الحرام ... وعن رسم الجسم من غير رأس أو بوضع خط قاطع للحياة بين الرأس والجسد ... واعترفت المدارس بالرسم وعُنيّت به ، وصار الأطفال يدخلون المسابقات ويبدعون فيفوزون بالجوائز ... - وانظر مثلاً دليل (المعرض الجماعي الأول ، للجنة الفنون التشكيلية بالجمعية العربية السعودية للفنون والثقافة ٩٨/٥/٢٤ - ٩٨/٥/٣٠ ثم الأدلة الأخرى ، والمعارض الأخرى المتوالية جمعية وفردية - والأدلة كتب ... بانتظار كتب خاصة ، وكتب نظرية وكتب في فلسفة الفن ...

ولا تترك الفنون التشكيلية . ولابدّ من النص على التقدم الذي أحرزه الفن التشكيلي ، وما صار للبلاد من معارض في الداخل والخارج . ومن هذه المعارض ما يرعاه المسؤولون أنفسهم بافتتاحها وتشجيع المعارض فيها واقتناء اللوحات والآثار بأسعار مشجعة .

ثم نذكر دخول المرأة في هذا الميدان ، وقد دخلته من أوسع أبوابه . جاء في

« عالم الكتب » ع ٢ مج ١ ص ٢٤٧ - ٢٥١ عرض الكتاب ألفته الفنانة السعودية صفية بن زقر ، بالانكليزية بعنوان « نظرة فنانة للماضي » وفيه (شهد الفن التشكيلي في المملكة العربية السعودية خلال النصف الثاني من القرن العشرين انطلاقة تقديمية ملموسة ، حيث نهض نهضة لحنمية تاريخية ... يضم الكتاب مجموعة كبيرة من أعمال الفنانة التشكيلية صفية بن زقر (...) والفنانة صفية بن زقر لها دور لا ينكر في دعم الحركة التشكيلية المعاصرة في المملكة العربية السعودية ، فهي أول فنانة تقيم معرضاً خاصاً مع زميلتها الفنانة منيرة موصلي في مكة المكرمة عام ١٩٦٨ ، افتتحه الأمير مشعل ابن عبد العزيز آل سعود أمير مكة المكرمة في تلك الفترة) ... (الفنانة صفية بن زقر ولدت في جدة (...) أقامت ثلاثة معارض شخصية في جدة (...) ومعرضاً في الظهران ، وأقامت معرضاً دائماً في لندن (...) .

وأصدر « المنهل » عدداً ممتازاً لمناسبة بلوغه السنة الخمسين خاصةً بالفن (شعبان - رمضان ١٤٠٤ / ١٩٨٤) فيه ما لم نكن نتصوره عن الرسم والنحت والمسرح والموسيقى والفلسفة) و (علم الجمال) ، ممن كتب فيه (الكاتب الإسلامي الكبير أحمد محمد جمال) في موضوع (الفن وموقف الإسلام منه) فكان مما قال : إن الإسلام كما يحرص على تقدم المعاني والمضامين عن العقيدة (...) يحرص أيضاً على أن يكون أسلوب عرضها لافتاً للأنظار ولافتاً للأفكار ومؤثراً في القلوب .. وهذا هو (الفن) أداة جمال ريشتُهُ ولوحته وموسيقاه) . ومضى (الكاتب الإسلامي الكبير) الآخر الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار خطوة أبعد في تفصيل أكثر .

هذا غير كلمة طبيعية جداً كتبها د. عبد الحليم رضوى - رئيس الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بجدة ، بعنوان : (الفنون في العالم المتحضر) . ونريد على هذا المقال ، بصدد د. رضوى اسم كتاب صدر له ١٩٨٣ / ١٤٠٤ بعنوان « الحياة بين الفكر والفن » .

ونعود إلى « المنهل » الخاص بالفن لنرى (المسرح الوطني إلى أين ؟) ... ونرى صوراً عالمية ومحلية وإسلامية أجيد نقلها على ورق صقيل . وتذكرنا هذه الصور

بما صار شائعاً مألوفاً في الصحافة السعودية ، وفي المجلات خصوصاً (تنظر « الفصيل »
— مثلاً ...) ولا تنس النظر في مجلة « سيدتي » — مثلاً — ثم ما كان من فن (الكاريكاتير)
وتزيين الكتب ، والأغلفة خاصة — تنظر مطبوعات تهامة — مثلاً .

وفي المنهل الخاص بالفن مجال للمرأة تقرأ فيه مفهومها للفن ، والتزواج بين
الأدب والفن ، وتقرأ في هذا المجال : (الأزياء تاريخ وتطور) و (مسرح العرائس) ...
وتقرأ : (لقاء وحوار مع الفنانة فوزية عبد اللطيف — من مواليد جدة ، شاركت في
عدة معارض في الداخل والخارج — وقد تحدثت عن لوحاتها الجديدة ، ورأيها في
الفنانات السعوديات : (الأخوات الفنانات صفية بن زقر وسلمى الكثيري ونوال
مصلي يعبرن في لوحاتهن عن تراثنا القديم وذن يتبعن الفن الكلاسيكي (...) أما
الفنانتان دينا رشدي واعتدال عطوي فهما يتبعان الفن التجريدي (...) أما الفنانة منى
القصيبي فإن اتجاهها هو إحياء التراث الإسلامي الزخرفي (...) تحياتي لكل فنانة
تشكيلية أعطت وكترست حياتها لهذا الفن العريق ...) .

ونعود مع « المنهل » إلى المسرح لنقرأ فيه (المسرح الوطني إلى أين ؟) بقلم الدكتور
عبدالله محمد الزيد مدير عام التعليم بالمنطقة الغربية : (... ولقد شاهدت نماذج منها
— من المسرحيات — في الجامعات والحفلات السنوية المسرحية المدرسية ووجدت
أن وضعنا يبشر بخير حقيقي ، وكل الذي نحتاج إليه هو عملية تنظيم سريعة وتنسيق
بين الجهود المختلفة والمبعثرة هنا وهناك حتى يتوحد الاتجاه وتتضافر الجهود لإنتاج
وطني سعودي ...) . وقال الأستاذ محمد سعيد العامودي : (أول ما نبدأ به هو ...
تكوين فريق مسرحي متوفر الكفاءات تمهيداً لقيام المسرح الوطني ، ومهم جداً لقيام
المسرح الوطني) . وقال الأستاذ غالب حمزة أبو الفرج رئيس تحرير جريدة المدينة :
(المسرح في عالمنا اليوم هو مدرسة جديدة) .

وطبيعي أن يدخل شيء من شؤون المسرح والمسرحية في درس النقد الأدبي من
كليات الآداب ، ولكن الحال الخاصة تستدعي تعاون الجامعة مع (الجمعية العربية
السعودية للثقافة والفنون) فيكون فيها — غير الفرق الجامعية القائمة فعلاً — درس
خاص للمسرح والمسرحية ينهض به أستاذ متخصص .

ويهمنا في « المعجم » الكتاب ، ولابدّ من وجود النص المسرحي والتقدم به في الاحتفاظ بالنصوص القائمة وطبعها في كتب وتشجيع الكتابة ورصد الجوائز للفائزين مع تشجيع خاص للمسرحية التي تكتب بالفصيحة . وقد حصل شيء من هذا .

نعود لنذكر (المؤتمر الأول للأدباء السعوديين) (١٣٩٤) ، ولا نذكره لذاته لأنه لم يتعرض للمسرح أو المسرحية وإنما لرى الشيخ حسن سراج (●) وقد رأى نفسه منسياً ، فتألم واستشاط ثم كأنه مر بالبيت القائل :

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ
ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

وللرجل ثلاثة أعمال سابقة هي ثلاث مسرحيات : الظالم نفسه - (١٩٣٢) ، جميل بثينة (١٩٤٢) ، غرام ولادة (١٩٥٢) فلينبّه إلى وجوده بها ، وليعتب على من نسيه أو نسيها ثم أنّ إدارة تهامة للنشر حاضرة ولكن ليبدأ أولاً بجديد ، وهكذا كانت (الشوق .. إليك) مسرحية شعرية (١٩٨٢/١٤٠٢) ثم ليرجع إلى الذخائر ، وها هي ذي تهامة تصدر « غرام ولادة - مسرحية شعرية » في طبعة ثانية (١٤٠٢ / ١٩٨٢) ، ونبقى ننتظر المسرحيتين الأخريين وقد نفذتا ، واستحال العثور عليهما .

ثم نذكر عصام خوقير - وهو قصاص لم نورد اسمه هناك ادّخاراً لموضوع المسرحية - وهو صاحب « في الليل لما خلى » بمسرحياته الإحدى عشرة . ثم (السعد وعد) التي سماها « مسر - وآية » ولا بد من أن يكون له غير هذا ...

ينظر عن المسرحية ، الفوزان ؛ وتحيل مجلة عالم الكتب على مقالة لعبدالله الماجد بعنوان : المسرحية في الأدب السعودي - قافلة الزيت مج ١٨ ، ع ٨ ، شعبان ١٣٩٠ ص ص ٤٢ - ٤٤ .

وتذكر في عدد ربيع الآخر ١٤٠١ / فبراير ١٩٨١ ص ٥٥٦ لعبدالله بوقس : «المتنبى شاعر العرب» : مسرحية من ثلاثة فصول، دار مكة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٠هـ - ٧٧ ص .

وتذكر له: الزاهد (درامة تاريخية) عن حياة الخليفة عمر بن عبد العزيز ،
جدة ، دار الشروق ١٣٩٧/١٩٧٧ ، ١١١ ص - من المسرح الإسلامي .

وفي نظرة في « دليل الكاتب السعودي » ما يزيد العالم بشؤون المسرح والمسرحية،
ففيه مثلاً - لسليمان الحماد (مواليد الرياض ١٣٦٣) : « النص والإنتاج مسرحية
النادي الأدبي بالرياض » ، وفيه لعبد الرحمن الشاعر (حائل ١٣٥١) : « آخر المشوار »
(مسرحية) عرضت على المسرح المحلي ، « حلويات حنظل » مسرحية لم تعرض . ويؤكد
الدليل ما ورد عن آثار عبدالله بو قس (مكة ١٩٣٠) .

إذاً عدت هذه المسرحيات بدايات فهي كذلك ، وهي طلائع وأول الغيث ،
ولكننا نطلب ما هو أكثر فنّاً وأصاح للتمثيل ، ولا يأتي ذاك دون تفرغ وتخصّص
وابتعاث إلى الخارج وانتداب من الخارج ... فقد صار الأمر واقعاً ، وجبّدت الجِدَّة .
وننتظر من النوادي الأدبية التفكير الجازم بإنشاء النص المسرحي ، ولا بأس من أن
تُرصد جوائز له ... لتتضافر جهودها مع (الجمعية) ... وكان الأستاذ عبد العزيز
الربيع - رئيس نادي المدينة المنورة - يدرك جيّداً مثل هذه المهمة ، وقد رأينا
عوامل الإدراك في مجرى حياته الدراسية في مصر ثم رأينا أدلتها في مقدمته لكتاب
صدر عن النادي بعنوان : « الفنون التعبيرية - المسرح ، الموسيقى ، السينما » - وإذا
كان الرجل قد توفي ، فلن يموت أثره . ويمكن للنوادي أن تسترشد المحاضرين
المختصين ... أو تتعاون هي والجمعية على إرسال من يدل على (موهبة) في الكتابة
أو التمثيل إلى مواطن المسرح ليطعموا الاستعداد بالعلم ، حتى لو كان الابتعاث
لمدة محدودة لا تشترط الشهادة ...

وفي منهج (الجمعية) و (النوادي) العناية بالتراث الشعبي ... ولهذه العناية في
(المملكة) تاريخ ... وبداية ... لم تخف على متصفح « المعجم » ... فلقد (تجمد)
الإبداع الأدبي في الجزيرة قرونًا طويلة بعد عصور الريادة الرائعة والازدهار العجيب .
لقد غاض الشعر ، وقُلْ : غاضت الشاعرية لأن النظم لم يمت ، والذين يملكون

المفردات الفصيحة .. ويعرفون البحور ويتقَدِّرون على الرِّصْفِ الموزون المقفَى موجودون على أَيْةٍ حال ، وهم في الغالب العلماء (في الدين) والشيوخ (في النحو واللغة) ، ولا تعدُّ مع ذلك انفعالاً يدخل الموزون المقفَى لحزن أو فرح أو حماسة لمذهب أو دعوة إلى معركة ... ومن ذلك ما صار دواوين ، ومن الدواوين ما طُبِعَ ، ومنها ما سيطبع ، ويبقى الأساس في قيمته : التاريخ .

الأدب الشعبي - الشعر العامي - القصص - الأمثال :

أما السائد من النظم ، في نجد والبادية خصوصاً ، فهو باللهجة العامية وقد عرف بالشعر النبط ، وفي هذا النظم - وقل الشعر النبط (أو النبطي) - يمكن أن تجد تجويداً وأصالة ، ودلالة على الشاعرية والموهبة ، ثم إنه عزيز على أهله وسامعيه ، كائناً ما كان ، لأنه مفهوم ولأنه يعايشهم وفيه أحداثهم ومواقفهم وأنسابهم ومشاعرهم ... فهم يحفظون ويتوارثون روايته وكثيراً ما صُحِبَ إنشادهُ إعجابُ المنشيد ، وإعجاب السامعين ، ويبرز فيه أعلام تذكّرهم المجالس وتفخر بهم القبائل ...

ومن هنا ترى عناية العصر الحديث به ، فتجرد المؤلفون لجمعه وحفظه ودراسته وإخراج الكتب التي تقيه الضياع ... وكانت الكتب غير قليلة وعني الشيخ عبدالله بن خميس (●) به عناية المعجب بالواقع من قيمة ما يجمع ويدرس ، ونذكر له كتابه « الأدب الشعبي في جزيرة العرب » - وقد أعيد طبعه ، ثم « راشد الخلاوي : حياته وشعره - حكمه - فلسفته » ، الرياض ، دار الإمامة ١٣٩٢/١٩٧٢ - ٣٨٢ ص . وكتاب « أهازيج الحرب وشعر العرضة » الرياض ، ١٤٠٢ - ٣٦٨ ص . وإن يقف الشيخ ابن خميس من الشعر الشعبي عند حد .

وإذا كان سابقاً في الدراسة فقد وجد قبله رؤاداً في الجمع والاستقصاء منهم خالد الفرج وعبدالله خالد الحاتم ومحمد بن يحيى ومحمد العمري ثم « الدرر اليتيمة في أشعار النبط القديمة » لناشر مجهول و « الأزهار النادية » ..

ولم يقف الأمر عنده وعندهم وتستمر سلسلة « الأزهار النادية من أشعار البادية »

التي يصدرها محمد سعيد حسن كمال (●) صاحب مكتبة المعارف بالطائف ونذكر مكتبة النهضة ، وما يؤلفه سعد بن عبدالله بن جنيدل وتصدره له جمعية الثقافة والفنون عن شعراء العالية خاصة . — من أعلام الأدب الشعبي ، وعبد العزيز الأحيدب ، وفهد الرشيد ... وبرز أبو عبد الرحمن ابن عقيل في العناية (الصارخة) بما هو عامي وشعبي ، وفي مقدمته الشعر .

وللشعر النبط غير ما يستعذ به فيه أهله من إحساس بالتجويد ... ما يكون مصدراً للدراسة التاريخية ، وهذا ما نادى به الشيخ الجاسر وكرر النداء بشرط الدقة في ضبط الرواية والحرص عليها كما هي في لفظها وتركيبها دون زيادة أو تغيير أو تصرف .

ومن إعجاب القوم بالشعر النبط أو من الاستجابة لهذا الإعجاب والاهتمام كان له في إذاعة الرياض برنامج خاص دائم ...

ولي على هذا وذاك تعليق قصير ونصيحة صغيرة ... أما التعليق فهو أن ليس كل ما كان نبطياً كان جيّداً أصيلاً فلا بُدَّ من نقده ومن أن يتولى ذلك صاحب ذوق ومراس ... خدمة لجيل جديد يسمع الشعر النبطي ويرى الإعجاب ... دون أن يرى مواطن الإعجاب أو أن يرى مواطن الإعجاب .

ثم إنَّ الجيد من شعر النبط عندما يوجد ، يوجد في قديمه أولاً ، يوم كان سائداً ، وله شعراؤه الذين يعدلون شعراء الفصيحة بوجه من الوجوه ، أو هكذا ينظرون إلى أنفسهم وينظر المجتمع إليهم ... أما هذا الذي ينظمه معاصرون لنا ، وفي أغلبهم مثقفون ... فهو ليس شعراً نبطاً بمعنى الكلمة ، وأولى أن يميّز باسم الشعر العامي أو ما أشبه ثم إنه كله — أو — جلُّه — فاقيد للنكهة الفطرية التي يتمتع بها الجيد من شعر النبط . وها هي ذي النصيحة تختلط بالتعليق ... : التمييز ، والتذوق الصحيح ، والحكم العادل ... رإني كثيراً ما استمعت إلى برنامج الإذاعة وقلما وقعت على الجيد المستجاد ، ولكني كنت دائماً أسمع الإعجاب بكمال بغير مكيال ... للجديد المتكلف المصنوع فضلاً عن القديم لأنه قديم أو مشهور أو يسجل حادثة غريبة في الحرب أو في الغرام ...

كاد جمعُ الشعر النبط يستنفدُ غايته ومنجمه وإن بقيت بقيةٌ على الأيدي
أن تصل إليه قبل ضياعها ...

ومن التراث الشعبي الأمثال وكان للأستاذ عبد الكريم الجهيمان والشيخ محمد بن
ناصر العبودي في جمع الأمثال المذكور المشكور ... قبل ١٣٩٠/١٩٧٠ وبعده طبعاً
ولإعادة طبع - ومدارُها الأول : نجد .

ثم يدخل الشيخ أحمد السباعي الميدان فيكون له : « الأمثال الشعبية في مدن الحجاز »
(تهامة ١٤٠١/١٩٨١) وهو تحت الطبع لدى تهامة ثانية . ويلحق به حسين عبدالله محضر
بـ « الأمثال العامية في مكة المكرمة » - مكة المكرمة ، نادي مكة الثقافي ، مطابع
مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ١٣٩٩ ، يحيى إبراهيم الألمي - « الأمثال الشعبية في
المنطقة الجنوبية » (عسير) ، مطابع الرياض ١٤٠١ .

وما زال الموضوع يحتمل الزيادة في الجهد ... والمملكة أوسع من نجد والحجاز ...
فهناك الشرقية وأمثالها ، وجازان وأمثالها ... وعسير وأمثالها ...

ومع الشعر والأمثال : الحكايات ... ورأينا في المعجم من تنبّه إليها . ونذكر
مرة أخرى الأستاذ عبد الكريم الجهيمان مع محمد سعيد حسن كمال مع فهد المارك ...
وما زال الباب مفتوحاً ...

ونذكر هنا مما وصل إلينا العلم به من ثمرات (جمعية الثقافة والفنون) في سلسلة
(المكتبة السعودية) : « حكايات من الماضي » تأليف محمد بن زبن بن عمير - الرياض ،
مطابع الفرزدق ١٤٠٢ - ٢٢٨ ص . و « ماثورات شعبية » تأليف محمد العبودي -
الرياض ، مطابع الفرزدق ١٤٠٢/١٩٨٢ - ٣٨٨ ص .

وستقوم - وشرعت تقوم - على التراث الشعبي دراسةٌ ودراسات في فنونه
المختلفة وفي دلالاته التاريخية ... وفي لهجاته وصلتها بالفصيحة ... إلى جوار جمع
التراث نفسه في مواقع مازالت غير مشبعة .

ونذكر هنا : « الأدب الشعبي في الجنوب » (تهامة - جزآن) للأستاذ محمد ابن أحمد (●) العقيلي ، أشرفت على إصداره دار اليمامة ، و « معجم اللهجة المحلية لمنطقة جازان » له ، ج ١ ، صدر في منشورات « تهامة » بجدة ...

وللمرأة مكان من التراث الشعبي ، الشعر ، ومن هنا كان كتاب « شاعرات من البادية » للأستاذ عبدالله بن ردّأس ...

وفي المعاصرات من تقول الشعر بالعامية ويرد هنا اسم سلطانة السديري التي رأيناها شاعرة بالفصحى كذلك فهي ندا ، ولها ديوان في الشعر الشعبي - يقول دليل الكاتب السعودي - إنه تحت الطبع ، ويزيد أن لها كتاب « صور من المجتمع » يتضمن حكايات من واقع البيئة السعودية . ويذكر ساعاتي أنه طبع في بيروت ، دار الآفاق الجديدة ١٩٧٥ - ١٤٢ ص .

وطبيعي أن يقع الاهتمام - ومنذ البداية - بالأدب الشعبي على أنه نشاط قام وحدث ، والحرص عليه كالحرص على غيره من مظاهر الحياة فضلاً عما قد يكون فيه من جمال وجودة ... ولا يمر ببال المعنيين به منافسة اللغة العربية الفصحى أو الجور عليها أو الدعوة إلى العامية بدلاً عنها ...

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

اللغة - المجمع اللغوي :

هذا هو الطبيعي ، ومع ذلك لا تعدم من يضيق بالعامية حرصاً منه على الفصحى وغيره ، وإذا لم يعلن الضيق عن نفسه صريحاً في هذه الأيام ، فإنه لابد من أن يُحسب حسابه ، بل إنه صرح في الماضي القريب يوم كانت السيادة للعامية - والجهل - وكان المخلصون في بداية النهضة همهم يقظة الأمة ، والفصحى جزء لا يتجزأ من الأمة ويقلتها فكيف إذا كان القائمون بالنهضة أدباء ويريدونها نهضة أدبية كما هي نهضة سياسية واجتماعية ...

أجل ، هي نهضة باللغة الفصحى بعد كبوة وخمول وضمور ، ولا يكفي

هذا الذي يدرسه (الشيوخ) فقط فهم - مهما يبلغوا في العدد - فئة محدودة مقلدة ،
واللغة كيان حي ، يُرَادُ لها العموم ، ويراد لها النص الأدبي المبدع الجديد ،
ومجالات التأليف الواسعة ...

ولك أن تُلِمَ بما كان يكتب في مطلع النهضة في الحجاز قبيل العهد السعودي
وبُعَيْدَهُ لَتَرى الغيرة على اللغة ، ولغة الأدب والكتابة والتأليف ... وكان من
آثار ذلك في « المعجم » كتاب لمحمد سرور الصبان : « المعرض » (ولا تعدم من
أنْ تَسْتَشِفَّ خلاله من يمنح العامة أهمية خاصة) ، وكتاب عبد القدوس
الأنصاري : « إصلاحات في لغة الكتابة والأدب » ...

وقد نجح السعي - مع عوامل أخرى - في لغة أدبية تناسب النهضة ، وتدل على
الجدّة ، ولك من أمثلتها ما ورد في كتاب « أدب الحجاز » و « وحي الصحراء » ...
ومن يدري فقد يكون في التنسّب إلى حماية الفصيحة ما ورد عن مصر من دعوات
إلى العامة ... ولكن مصر لم تصلر تلك الدعوة وحدها ، وإنّما صدرت الجيد من
الفكر والإبداع ... والسليم من اللغة في الشعر والنثر ... والتأليف والصحافة ...
والعرب في كل مكان يتأثرون بذلك ، وينتفعون ... وتحسنت اللغة الأدبية على
وجه ماحوظ ، سبقت إليه الحجاز وشبّان بين الشعر والنثر قبل النهضة وبعدها ،
ثم لحقت نجد والشرقية ... والموازنة بين لغة عهدين قائمة والفروق لا تخفى ...

وفي مصر - كما في الشام - مجمع اللغة العربية ... فليكن للسعودية مجمعها
اللغوي وأعلنت الدعوة إليه - وربما كان الأنصاري الأول - أو من الأوائل - في
الدعوة مع كثير من الثقة بالنفس وبالنتيجة . ولكن مجمعا للغة ليس أمرا سهلا ،
ولابدّ له من عدد من العلماء باللغة يَفْقَهُ حقه ، ويقوم برسالته . ولم يكن هذا
العدد بالمتهيّء ، ومن هنا تصدّى للدعوة من لَمْ يقبلها على إطلاقها ... وقد
يكون الأول في التّصدّي - أو من الأوائل - الشيخ حمد الجاسر . ووقفت المسألة
عند هذا الحد .

وظلّت تردد بين حين وحين ، ورُبّما أُسيئَ فهم موقف الجاسر ، فعُدّ

مضاداً للدعوة جملةً وتفصيلاً ، وما هو بذلك ، وحانت فرصة إلى أن يوضح ما هو عليه ، وكأن الدعوة سابقة لأوانها وإن تقدم الزمن بمصلحتها ، وسواء كان هذا أم ذاك فليكن المجمع ، مجمعاً علمياً – على غرار المجمع العلمي العراقي مثلاً – فيه اللغوي واللغويون ولكن فيه – مع ذاك المؤرخ الجغرافي والفقير ... والطبيب والفيزيائي ... يتعاونون ويتكاملون وقد صار للبلد – بعد ما قطع من خطوات علمية – العدد الذي يفي بالمطلوب ويوفي القصد .

وفي اللغة يذكر من جيل (الشيوخ) الذين أولوها عناية خاصة – وقد فقدنا الأستاذ عبد القدوس الأنصاري – : أحمد عبد الغفور عطار ، أبو تراب الظاهري ، عبد العزيز الرفاعي ، محمد سعيد العامودي ، عبد الله بن خميس – مع الاعتذار عن الجهل بالأعلام الآخرين .

ثم جاء جيلٌ جديد ، جامعي ، طليعته الدكتور حسن شاذلي فرهود ... وآخرون ... ومن الأكثر شباباً الدكتور محمد حسن با كلا ... وآخرون ممن لم تنهياً لي معرفتهم أو تسعني بهم الذاكرة . ولا تنفصل الدراسات الأدبية عن اللغة ، وللبلد في هذا خير وفير ... ولا تستغنى اللغة العربية عن متخصص بلغة أجنبية ... وستجد في عزيز ضياء من يجمع الحسينين . كما يستفيد من محمد إسماعيل الصبني وعزت عبد المجيد خطّاب ... ثم يكتمل (المجمع العلمي) ببارزين من العلماء في الفروع المختلفة ويتمكن الدكتور عبد الله الدفاع تمكناً مرموقاً مؤيداً بالمؤلفات اللازمة في مادة التراث العلمي للعرب ... وهكذا يتوزع المختصون إلى أعضاء عاملين ، وإلى أعضاء لجان يدعو العاملون إلى إنشائها .

لم يبق عذر للتأخر – إذن – وقد كثرت المجامع العربية ، ولا بُدَّ من التعاون ولا عجب بعد ذلك أن يرفع الشيخ الحاسر صوته مطالباً بالمجمع العلمي ، وأن يخطو الخطوة الرسمية بتقديم الطلب ... وأفلحت الجهود من حيث الشكل إذ صدر الأمر الملكي بإنشائه (في رمضان ١٤٠٣) وبقي الشروع بالتنفيذ ، وذلك آتٍ ، وسيكون مجمعاً لا يقل عن نظائره في الأقطار العربية إن لم يزد على بعضها من بعض

الوجوه ... وتلتقي المجامع في الخطوط العامة لوحدة العرب ، وتفرق قليلاً لدن توجه المجمع منها لخصوصية القطر الذي ينهض فيه .

ويبدأ حينئذ نشاطه في الدرس والبحث والنشر والتحقيق ... وستكون له مطبعتة ومجلته ومطبوعاته ، ونرجو له سلفاً استمرار النشاط والترفع عن الركون إلى (الهدوء) الذي يحدث لدينا عادة عندما نبليغ هدفاً ما ، وكأن بلوغ الهدف - القريب - غاية في نفسه ، وكل شيء .

رابطة - أو اتحاد - للأدباء :

واقترنت دعوة الشيخ الجاسر بدعوة أخرى ، هي دعوة إلى رابطة الأدباء السعوديين ، لم تتحقق شكلاً مع حصول وجه من مضمونها قبل الدعوة ، ومن ثم لا يستحيل مزج الشكل بالمضمون فلا يوجد بلد متقدم من غير جمعيات أو أندية ، وقد كانت للجمعيات (بواذر) قبل العهد السعودي على شكل أهلي من منتديات ومجالس و (دواوين) بيوت ثم كانت جمعيات ، منها ما رأينا من جمعية الإسعاف ... ولكن لم تكن ذات مفعول ودوام ... ثم سادت النوادي الرياضية أولاً (وأخيراً) ولم يعد بُدُّ من توجهه لخاص الأدب ومن اتحاد الأدباء أو رابطة ، والأدباء يريدون ذلك ، والدولة لا بُدَّ لها من أخذ زمام المبادرة ... ولا يخلو قطر عربي من مظهر من هذه الظواهر ... زيادة إلى مجالس لرعاية الآداب والفنون في عدد منها . ومن هنا كان ونحن في أخريات ١٣٨٣/١٩٦٣ قرار مجلس الوزراء رقم ٢٥٨ بتشكيل مجلس أعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب ، ومن ثم قرار وزير المعارف (الشيخ حسن آل الشيخ رئيس المجلس) الموافقة على اللائحة الداخلية . وتم تشكيل المجلس وعين له أمين سر دائم . ولم يسمع مؤلف « المعجم » عما حقق المجلس ، وربما كان ذلك لأن المجلس لم يصدر مطبوعات أو لبُعْدِ صاحب المعجم عن مجرى الأحداث .

والأدباء في تكاثر وتجويد ، ونشاط واطلاع على ما ليرُصَفَائِهِمْ في الأقطار العربية من عوامل الاجتماع والالتقاء ، وتاحظ المملكة ذلك وتدركه ولا بُدَّ من

تحقيق الرغبة بوجه من الوجوه ، وتصريف الشكوى بطريق من الطرق . وكان أقرب ما قام ، دعوة كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة إلى « المؤتمر الأول للأدباء السعوديين » فعقد فعلاً خلال ١ - ٥ ربيع الأول ١٣٩٤ ، وقال الرئيس الأعلى للجامعة وزير المعارف - الشيخ حسن آل الشيخ : (الأدباء هم الأُمْناء على التراث ، والعاملون بكل طاقاتهم وجهودهم لكيما تبلغ أمتهم ووطنهم المنزلة التي تليق بهما ...) .

ومرت الأيام الخمسة في نشاط وحماسة يتعاقب في أثنائها الأدباء على المنصة شعراء وباحثين ومفكرين .. وكانت التوصيات من منهج اليوم الخامس ... وفي التوصيات : أن المؤتمر يُوصي بحصر مصادر الأدب السعودي ، وإنشاء كرسي لمادة الأدب السعودي وإصدار دليل شعري ، وإحداث مؤسسة تتولى النشر - غير التوصية بإنشاء مجمع علمي سعودي .

ولم تكن في التوصيات إشارة إلى مؤتمر ثانٍ ، ولم يُعقد مؤتمر ثانٍ . وكان من محاسن المؤتمر الأول إصدار وقائعه عن جامعة الملك عبد العزيز بخمسة مجلدات تكون مصدراً مُهِمّاً لدارس الأدب السعودي وإطّرافاً من هموم الأديب السعودي . وربما كان في التوصيات نص على إنشاء نظام (الإبداع) .

ولكن (المؤتمر) كائناً ما كان لا يشبع الرغبة ولا يحقق الطموح ... وإذا كانت النوادي الرياضية مرتبطةً بالرئاسة العامة لرعاية الشباب ، فلتُنشأ ، (وقد أنشئت عام ١٣٩٥/١٩٧٥) مؤسسات خاصة بالأدب في طول البلاد وعرضها - قدر الإمكان - ولترتبطُ بالرئاسة العامة - إلى جوار النوادي الرياضية والجمعية العربية السعودية للفنون (وقد تأسست في ٢٦/١١/١٣٩٣ % ١٩٧٣) حتى لو كان في أعضائها شيوخ ورؤاد من أمثال أحمد سباعي ومحمد حسن عواد وعزيز ضياء ، وحمد الجاسر ، على أن تُسمّى نوادي ، فهذا النادي الأدبي في الرياض وهذا في المدينة المنورة ، مكة المكرمة ، جدة ، الطائف ، جيزان (جازان) القصيم ، أبها ... بانتظار فُرُوع أخرى ، الباحة . وقد تكون ذات يوم في تبوك والأحساء

أو القطيف ... تنظر في المعجم مادة نادي ، جمعية ... وللجمعية وقد عدل اسمها في غرة عام ١٣٩٨ إلى « الجمعية العربية السعودية للفنون والثقافة » ثم عدل إلى ... للثقافة والفنون - مطبوعاتها ، وللنوادي مطبوعاتها ؛ وهي كثيرة العدد ، ليست قليلة الشأن مع طموح إلى الأحسن وطمع بالأعمق .

أقول : في هذه النوادي والجمعيات شيء غير قليل من مضمون دعوة الشيخ الجاسر ، ولكنه ليس المضمون كله ، ولا بُدَّ من مزج المضمون بالشكل ، وللشيخ الجاسر آراؤه في تلك الدعوة وتجاربه . وقد أذاعها صريحةً حرصاً على المملكة نفسها ، فقد رأى الأقطار العربية كلها تتمتع بما يسمى رابطة الأدباء (كالكويت) أو اتحاد الأدباء (العراق) ... وهذه الرابطة (الاتحادات) ذات كيان متميز ، وتجري فيما بينها المراسلات والمزاورات ثم إنهم ليجتمعون من حين إلى حين على شكل منظم - أو طاريء - باسم المؤتمر ، ومؤتمر أدباء العرب ، ويكون للاتحاد منها كيان متميز ضمن الإطار العام للأدب العربي . فليكن وكيفية تبقي المملكة غريبة على هذا التنظيم ، معزولة عن أخواتها من الأقطار العربية الأخرى ؟ ... ألا يوجد فيها العدد الكافي من الأدباء ؟ بلى يوجد . ألم يكن أدباؤها مجيدين ؟ بلى . لم تبقي - إذن - إلا الدعوة إلى إنشاء رابطة للأدباء السعوديين وأن يعلن الشيخ الجاسر هذه الدعوة ويكررها مكرراً مقرونة بالأسباب الموجبة - والشيخ الجاسر حريص على سمعة المملكة ، مؤتمن فيما يقترحه عليها .

وقد يكون في دعوة الشيخ الجاسر استجابة لإحساس يلმسه لدى الشباب خاصة في طماحهم إلى مثل هذه الرابطة (الاتحاد) وكأنَّ النوادي - متفرقة - لا تُعوّضُ عنها ولا ترفع اسمهم إلى الدرجة التي ينشدونها بين أسماء أدباء الأقطار العربية الأخرى ، ولا تقع لدى المفاتيح موقع الرابطة - الاتحاد - ولا تسدُّ مسدَّها .

وأحسب أن خطوة أولى سهلة لتحقيق نحو هذه الرابطة - الاتحاد - هي أن تتكون من النوادي القائمة لجنة عليا تدرس الموضوع وتضع النظام الرابط بينها ، ولتكن هذه اللجنة - أو لجنة منتخبة نظيرتها - الرابطة أو الاتحاد ، وتكوّن النوادي بعد ذلك الرابطة أو الاتحادات الفرعية ...

وتكون للرابطة - الاتحاد - المطبعة والمجلة والمطبوعات ...

ولا بأس في أن يبقى اسم (الرئاسة العامة لرعاية الشباب) هو هو أو أن يتحول إلى (الرئاسة العامة لرعاية الآداب والفنون والرياضة) ... أو أي شيء من هذا ... كوزارة الثقافة التي دعا إليها الشيخ عبدالله بن خميس أو وزارة الثقافة والشباب ... ونعود فنقول : المهم المضمون وليس الشكل ، والمهم الأعمال لا الأقوال ... وأسمع خلال الإذاعة السعودية وأقرأ في الصحف ... ما يدل على أن (الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون) بدأت أكثر نشاطاً ، وأن النوادي الأدبية بدأت أكثر نشرأ ... وأن صلة إداراتها بالأدباء تضعف شيئاً فشيئاً ، وأنها لم تعمل على استقطاب الجمهور . فإذا صح ذلك ، ولابد من أن يصح شي منه ، ويطلب الشيء الثاني تحقيق الطموح والرعاية الصحية ، فليس بالصعب تدارس الموقف وتدارك الحال .

والرابطة - أو الاتحاد - آتية على أي حال .

وإذ نصّل المجمع اللغوي العلمي والرابطة - الاتحاد ... نتذكر أمراً قد يكون تأخر مكانه من هذا الاستعراض : هو الترجمة . ومفروض بنا أن نقدر خطرنا ونمنحها حقها من الاهتمام إذ شئنا زيادة في التقدم واستدراكاً للفائت واستفادة من تجارب الآخرين ، واختصاراً للوقت ودلائل على الإبداع في الأدب والفن والعلم ... والفكر ...

الترجمة .. والمترجمون ..

ونبدأ بالبداية ...

وكان في العرب الذين عملوا مع الملك حسين من يجيد لغة أجنبية أو أكثر ، ومثلهم الذين عملوا مع الملك عبد العزيز ، ومنهم من تكرر وجوده في العهدين ...

وتفخر « المنهل » وهي تستعرض فتوحاتها في الكتاب الفضي لها (١٣٦٩ / ١٩٦٠) بعنايتها بالترجمة وتذكر بين الأسماء الأولى في هذا المضمار محمود عبد الوهاب

(ولد بمكة المكرمة وتعلم بمدارسها . وقد أسهم مدة من الزمن في الصحافة المحلية بمقالاته الأدبية والتاريخية . ثم تفرغ للعمل التجاري بمكة المكرمة – المنهل الخاص) .

ثم جاء (نصر) من خارج البلاد الجزائري : أحمد رضا حوحو (●) وما ترجم فيها من قصص .

وربما كان في المنهل آخرون ... ولا بُدَّ من أن يكون آخرون ونحن نعرف من أدبائها محمد علي قطب (●) .

وكان الصحافة تهمل أمر الترجمة إهمالاً تاماً إن لم تكن قد أهملته ، فهكذا هي كما رأيتها في ثمانينيات القرن الهجري / ستينيات القرن الميلادي . ومضى الأمر على ذلك ... ولكنه بدأ أخيراً – وربما منذ – خمسة الأعوام الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجري / ١٩٧٥م يستيقظ ، فإنك واجد المترجمات في هذا العام في مجلات الفيصل ، الحفجي ، إقرأ ، الإمامة ، المجلة العربية . وربما عنيت بالترجمة الأعداد الأسبوعية من الجرائد .

وكنت أدعو – وأنتظر – أن تستخرج تلك الترجمات من قلب المجلة (أو المجلات) لتكون كُتُباً ، وليتعمَّ النَّفْعُ ، ولم أكن على ضلال ، ولا بُدَّ من أن يكون آخرون على هذا الرأي . ومن هنا كان طلب الأستاذ عبد الرحمن المعمر (وهو أديب ، مؤلف وأحد صاحبي دار ثقيف للنشر والتأليف) إلى الأستاذ محمد علي قطب أن يسمح يجمع ونشر ما نشر له بمجلة المنهل من قصص مترجمة ، فاستجاب ، فكان الكتاب الذي صدر في شوال ١٣٩٨ / سبتمبر ١٩٧٨ باسم « كانتفرستان وقصص أخرى » . أتبرى هذه كل ما ترجم الأستاذ محمد علي قطب ؟ لم لا يترجم لنا جديداً ؟ لم لا ننشر القصص الأخرى التي ترجمها غيره في « المنهل » أو في غير المنهل ؟ فتلک ثروة وفائدة وكتب .

ورأينا في المعجم أحمد عبد الغفور عطار ومن ترجماته « الزنايق الحمر » لطاغور ، والمفتش لغوغور (جوجول) ... ولكن الأستاذ عطار ابتعد عن الأدب

— إنشاء وترجمة — شيئاً فشيئاً وتحول إلى اللغة والإسلاميات والتاريخ والسياسة .
وفي هذا التحول كانت ترجمته لبروتوكولات صهيون — وقد بلغت ط ٨ .

ويقفز إلى الذهن في خفة ورصانة اسم الأستاذ عزيز ضياء (●) وقد تكرر الحديث عن عمله الجيّد باللغة الانكليزية ، وربما زيد على الانكليزية : الفرنسية والتركية . ولا غرور ، فهو أديب مرموق بالعربية ، ونهياً له أن يعيش اللغة الانكليزية ويغرم بأدبها وفكرها وما نقل إليها من آداب أخرى ...

الأستاذ عزيز ضياء ما بآله لا يتّرجم ؟ ولا ينشر ما يترجمه في كتاب . إنه من من مواليد ١٩١٤ وقد تقدم شيئاً في السن ونال من الشهرة الأدبية ما نال ... أما تراه قد ترجم ونشر هنا وهناك دون أن يباغ علمي ما ترجم أو نشر ؟ ممكن ... حتى إذا قارب القرن الرابع عشر أن ينتهي وقامت دار تهامة للنشر والتوزيع استشارته فكان أن أصدرت له النافع والطريف والممتع ، وكان قلمه متميّزاً بين ما صدر في الأقطار العربية . لا بُدّ من أن يكون في الذي نشره بعد ١٤٠٠/١٩٨٠ ما كان ترجمه من قبل ... والذي صدر له كثير جليل استدركناه في المعجم رغم تأخره عن الحد المحدود للنهاية . وعزيز ضياء ، سيد ؟ قبل ١٣٩٠/١٩٧٠ دون شك . ولقد رأيت له في المعجم : « عهد الصبا في البادية » ، و « النجم الفريد » ، و « قصص من سومرست موم » ، و « قصص من تاغور » ج ١ ثم رواية جورج أورويل « العالم عام ١٩٨٤ » (في شعبان ١٤٠٤ / مارس ١٩٨٤) — ، وبانتظار المزيد ، فما قلم الأستاذ بقاصر وما دار تهامة بمقصرة . ولا تنس ما نشرت له من حكايات مترجمة للأطفال وما ستشره منها . وهي في حدود عشرين قصة وتزيد .

وتهامه نفسها نشرت لحمزة بوقري : « بائع التبغ » (مجموعة قصصية) سلسلة الكتاب العربي السعودي (٢٩) ، جدة ، دار الأصفهاني للطباعة بجدة ١٤٠١ — ١٩٨١ — ١٣٥ ص . (وبالمناسبة ، مناسبة أسف خبر وفاته ، وقد فقدنا الأستاذ حمزة بوقري مرتين ، وكانت الثانية النهائية بعد أن استأنف نشاطه الأدبي في التأليف وأصدر : « محمود تيمور والقصة القصيرة » عام ١٤٠٠ عن دار الرفاعي) .

وزادت تهامة أن أسهمت جادة في التأليف عن قضايا سعودية باللغة الانكليزية فكانت لها في ذلك سلسلة خاصة ، ومما نشرته (Who's Who) (وقد أفدنا منه في طبعته الثالثة) .

وأحسب أن المثقف السعودي لم يطعن تمام الاطمئنان إلى جدوى الترجمة وإلى مفعولها في إذكاء الفكر وإثراء الإبداع وتقريب المعرفة ... أحسب لأني أرى كثيراً من الشباب المثقف المتخصص يعود من جامعات أوروبا وأمريكا ومعها الشهادات العالية والعليا ، وفي تخصصات مختلفة منها ، ما لا يكاد يمرُّ بيَّال ... ولكن الترجمة وكأنها هي هي ، تراوح في مكانها فضلاً عما في البلاد من جامعات ، وما في هذه الجامعات مع أقسام للغة الانكليزية ... وأساتذة للأدب الانكليزي نفسه ...

وأستطيع أن أعدد من الأسماء الكثير المجيدين بدءاً من زملائي الكرام الأوائل في جامعة الملك سعود : أحمد محمد الضبيبي ، منصور إبراهيم الحازمي ، محمد عثمان الصالح ، عبد العزيز عبدالله الفدا ، محمد عبد الرحمن الشامخ ... ثم من جاء بعدهم وبعدهم وانتهاء بما لا نهاية له .

أتلقتُ فلا أجد إلا القليل ، على ما في هذا القليل من جودة تزيد في الأسف وتضاعفه . وفي الكثيرين منهم لم يترجم رسالته ، وقد ترجم الحازمي قسطاً منها - فيما يبدو - وترجمها الشامخ أقساطاً موفقة ثم أصدرها كاملة ، موسعة ، تكرر طبعها ثلاث مرات ، ط ١ ، ١٩٧٥/١٣٩٥ ، ط ٣ ، ١٩٨٣/١٤٠٣ ... ونبقى ننتظر ، ولم يخيبنا الضبيبي إذ ترجم عن ت . م جونستون كتاب « دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية » (١٩٧٥/١٣٩٥) .

ذكرنا الزملاء العائدين من انكلترا ، وليست الانكليزية وحدها المقصودة بالترجمة ، ومن الزملاء الدكتور أحمد خالد البدي الذي حصل على الدكتوراه من جامعة طهران في ١٣٨٦/١/٢٤ في « دور الشعر الفارسي في الدعاية المذهبية من منتصف القرن الخامس الهجري إلى أواخر القرن السابع في إيران » .

الدكتور علي جواد الطاهر

(للحديث صلة)

الحيوانات في بلاد الرّولة

(*)

[للمستشرق ألويس موزل (ت . ١٩٤٤ م)]

تعريب : د. محمد بن سليمان السّديس

الحيوانات الآكلة لِلدُّحوم :

تستوطن المراعي التي يرتادها الرّولةُ حيوانات شتّى ، فيعيش الفهدُ بخاصّةٍ على المرتفعات شمال شرقيّ منخفض السّرحان ، وكذلك في نواحي (الحزّل) .

والقُرْطَةُ حيوانٌ مفترسٌ شبيهٌ بالقطّ الوحشيّ ، فلا يختلف عنه إلا في كونه أضخم حجماً ؛ ولونه أصفر قاتم ؛ وله أذنان مصلومتان ، تنتهيان بخصلة من الشعر الطويل المستقيم ، يستوطن (الحجره) و (اللّبة) . وهو يربص بالغزلان ، ويخفي نفسه عادة في شجرة (الحمري) . وإذا حرك النسيم الشجَرَ اهتزت الشعيرات التي على أذنيه ؛ فتتخذع الطباء وتدنو منه ، فيقفز على متونها ، ويغرس برائنه في حناجرها ، ويمتصّ دماءها .

وتسكن أعداد كبيرة من الضباع (المفرد : الضبّعة) جحوراً في سلسلة (الطويل) . وهي تجبن في النهار ، لكنها تجوب الأرجاء كلها ليلاً ، فتفتح الأجداث ، وتلتهم الجثث ، وتهاجم الإبل الجرحى أو العليله ، بل وتفترس الرّضع وهم يبيكون . ولها ثلاثة فراعل أو أربعة^(١) . وإذا رأى البدو أثراً جديداً لضبع قُرب جُحْرٍ أحاطوا به ، وأحضروا رِشاء طويلاً ، وعقدوا في طرفه أنشوطه ، وطلبوا من أحدهم دخول الجحر للبحث عنها . فيدخل الصيّاد يده اليسرى

في الأنشطة ، ويزحف على بطنه ، ويَجُرُّ الحبل خلفه ، ويتحسس بيديه في كل جهة حذرًا بحثًا عن الحيوان . وحالما يمسك بها يصيح : إنها ليست هنا ! هذه ليست هي ! ليست هنا ! لقد عثرت على قطعة شَنُّ بالٍ ، لكنها ليست هنا !^(١) . ويضع في الوقت نفسه الأنشطة في عنق الضبع ، ويزحف خارجاً . وبعد إيماءة مُتَّفَقٍ عليها يَجُرُّ رفاقه الضبع خارج الجُحر ، ويدبحونها ، ويأكلون لحمها .

ولحمُ الضباع الصغار ، التي يكون عمرها نحو ستة أشهر ، والتي تعيش مع أمها بخاصةٍ شهيٍّ .

وأَسنان الضبع إذا عُلِّقَتْ حول العنق تحمي الأطفال من الأسقام المختلفة . وإذا مُزِجت مَرارةُ الضبع بِماءٍ وشُرِبَ خفف حرارة الحمى^(٢) ! .

والذئب مُولَعٌ أَيْمًا بإيلاعِ بزيارة الكهوف والصدوع الصخرية . وتزحف الذئبة داخل جحر الضبع المهجور حين تكون على وشك ولادةٍ وحسب .

أما من حيث اللونُ فإن الذئبَ لَيُكَيِّفُ نفسه للمحيط الذي يستوطنه . فهو بُنِّيٌّ غامق (أسحم) في المناطق البركانية ، وبُنِّيٌّ خفيفٌ مُشْرَبٌ بخضرةٍ (أزرق) في صحراء النفود ، ورماديٌّ مُشْرَبٌ بزرقة (أشهب) في سهول الحِمَّاد والأودية .

وتستخدم جلود الذئاب لعمل الرِّبَابَات (المفرد : الرِّبَابَة) أو (الفِئُولَات) ذات الوتر الواحد التي يضحى لها عندئذٍ نَغْمَةٌ مرتفعة^(٣) .

وتجلب عينُ الذئبِ سعرًا باهضًا جدًا لأنها تَحْمِي من أعظم الأخطار^(٤) . والذئب يفهم كلام البشر فهمًا تامًا ، فقد كان هو في وقت ما إنسانًا ، وكان اسمه سرحان ، وكان يمتلك الأغنام والماعِزَ قاطبةً ، فاقتَرَفَ خطيئةَ كبرى مُسَخٍّ بسببها ذئبًا ، واستولى الإنسان على ماشيته ؛ لكن الذئب ما فتيء حتى الآن يَسْعُدُ

الْمَعَزَ وَالْأَغْنَامَ مَلِكُهُ الَّذِي لَا يَشَارِكُهُ فِيهِ مَشَارِكٌ . . وَيُكِينُ عِدَاءً لِلرَّعَاةِ وَكِلَابِهِمْ ،
لأنهم يحولون بينه وبين الاستمتاع بماله .

قال ذئبٌ ، ذات مرة ، لكلبٍ غمٌّ : (اللَّيْلَةُ عَشَائِي رَأْسُ مَالٍ) أي :
سأتعشى الليلة من مالي ! ، فأجاب الكلب : (إِلْيَا عَشْتُونِي هَلِي أْفِكَّهَا لَا
تَذُوقَهَا !) أي : إذا عشانِي أهلي فسأمنع ماله من أن تذوقه ! .

أما من لم ينل الكلبُ عشاءً كافياً فإنَّ الجوع يضطره لِلنَّعْسِ في أرجاء الحيِّ
التماساً للطعام ، فيتمكن الذئب من نهب كل ما تطلبه نفسه .

خرج بدويٌّ مرةً على جملة طلباً للغنيمة ، فلقي ذئباً منطلقاً مثله في التماس
غُنْمٍ ، فاتفقا على أن يتعاونَا كأخوين (تَخَاوَوَا هُوَ وَالذَّيْبُ) ، فأقنعى الذئبُ
على البعير خلف الراكب . وحينما نام الراكب تولى الذئب رعي البعير . ولما دَنَوَا
من تَلٍّ عالٍ (مِرْقَابٍ) ثَرَى من قمته أماكنٌ قصيَّةٌ ، زحف الذئب إلى أعلا
التلِّ وأجرى (مَسْحَاحاً) شاملاً للأرض من شتى نواحيها . وأخيراً لمح إبلًا
لقبيلة معادية ترعى ، فيمَّما شَاطَرَهَا حَدَرَيْنِ ، ثم ترك الراكب جملةً في
أخدودٍ مُنْزَوٍ ، وانسلَّ مع الذئب نحو الإبل . عدا الذئب على الرعاة الذين
ما أن رأوه حتى قبضوا على أسلحتهم ، وانطلقوا إثره ، وقد تعالت صيحاتهم .
وما أن اختفوا عن الأنظار حتى انتقى البدويُّ أفره الإبل وركبه قاصداً الأخدود .
أما الذئب فمضى قائداً الرعاة بعيداً عن قطيعهم ، ثم عاد إليه مسرعاً ، وغرس
برائته في حلقِ قَعُودٍ كان مُغَطَّىً بجلدِ قَعُودٍ آخر ، ثم جرَّه إلى الأخدود .

(يسمى جلد القعود من هذا النوع (بو) (٤) وإذا ولدت ناقة قوية ، كانت تحلب مدة طويلة حلياً
وافراً ، ولدت حواراً ضعيفاً ، فصله المالك عن أمه وذبحه ، وربط قطعة من جلده حول رقبة قعود آخر ونحره ؛
فتشم أم القعود الذبيح الجلد ، وتخاله ابنها ، وتمكنه من الرضاع ، وبذلك لا يحف لبها مع حزنها ، بينما
تستمر أم البعير الحي في معاملته كما لو كان ابنها . فتبني كل من الناقتين الحوار وترضعانه ، وللمالك
أن يحلب كلا منهما) .

وحالما لمحت الناقتان حوارهما وقد مضى به الذئب ، انطلقتا في إثره ،

ودخلتا الأُخدود وَخَيْدًا^(٥) ، حيث عقلهما البدوي ، ثم ساقهما غنيمةً باردةً إلى قَطِيبِنِه . أما رفيقه الذئب ، الذي لم يشأ أن يجازف بحياته بدخول القَطِيبين ، فكمن في صدعِ صخرةٍ قريب ، وانتظر أن يأتيه البدويُّ بنصيبه ، وذلك ما غفل الأخير ، على أية حال ، عن فعله ! . وبعد يومين شرع الذئب يعوي : (عَوَّو ، عَوَّو ، عَوَّشْتِي !) . فنحر البدويُّ في الحال إحدى الناقتين ، وأحضر الأمعاء والنَّحَرَ والقوائم ووضعها للذئب وراء القطين .

وبعد أن تحدث البدويُّ في بيت الشيخ عن هذا الأمر أبلغ الحضور بأنه سوف يعاقب من يمس رفيقه الذئب بأذى .

وكان في الحيِّ فتى يتعلم الرماية . فلما رأى الذئب نَسِي التَّهْدِيد ، وصَوَّب بندقيته نحوه فأرداه صريعاً . فما كان من البدوي إلا أن انتقم لأخيه الذئب وقتله به . وقد قال كبار السن جميعاً : إنه كان مصيباً . وقد شرح البدي [موقفه قائلاً] :

(تَخَاوَيْتُ اَنَا وَذَيْبِ سِرْحَان ، يَا وَيْلَا خَوَيْتِي مَا خَلَّتِي خَوَيْتِي)^(٥) .

أي (لقد تأخيتُ وذئباً سِرْحَان فبإذني إن أخي الآخر لم يدعُ هذا الأخ) ! .

والسَّيْب هو ولد الضبع من الذئب . ويعيش في الأراضي المتاخمة لبئر (الشَّقِيق) . ويهاجم البشر وإن لم يُهَيَّج .

والظَّرَبَان (الظَّرَبُول) حيوان أصغر من الكلب ، له متن أصفر باهت ، وبطن أسود ، ورأس كلب ، وأسنان كأسنان الإنسان ، وذيل طويل ، ولجلده رائحة مميزة ، وهو يقيم في جحور يحفرها لنفسه ، ويلتهم اليرابيع والفئران والحرايبي .. إلخ . ولحمه يؤكل .

وإذا وجد بدوي ظَرَبَاناً مخبئاً في جُحْرِهِ صاح به : (كُرَّ الظَّرَبُول كُرَّ الظَّرَبُول) أي : قِرَّ أيُّهَا الظَّرَبَان ! قِرَّ أيُّهَا الظَّرَبَان ! .

ويعيش الثعلب (أبا الحصين ، الثعلب ، أو الغريري) في كل مكان في منطقة الرولة . وإذا رُوي أثره في الصباح في الطل أطلق كلبُ صيدٍ (سُلُقَة) في أثره . ويؤكل لحم الثعلب المصيد^(*) .

ويحمل الثعلب ضَغِينَةً شديدةً لبني البشر لمطاردتهم له ، ويتَّهَمهم بنكران الحميل . لقد وجد آدمُ الأبُ الأولُ لبني البشر كُلتَهُم ، ذات مرةٍ ، أفعواناً نصف متجمد خلف جنة عدن . وقد هزته الشفقة فوضعه في صدره ، وعاد به إلى جنته . ولما شعر الأفعوانُ بالدَّفءِ ، وأبْلَّ من سُقْمه ، صاح بآدم : عُدْ بي حالاً إلى حيث أخذتني ! إنَّ عائلي هناك ! وإن لم تحمِلني وتعدُ بي الآن فلا لَدَغَنَكَ ! . ولم يستطع آدم تذكُّرَ البقعة التي التقط الأفعوان فيها بعينها . فظل يسير تارةً إلى الأمام ، وتارةً إلى الخلف ، ومعه الأفعوان الذي ظل يصيح : ليس هذا موطن أُسرني ! عُدْ بي إلى هناك حالاً ، وإلا فسألدغك ! .

وقد سرَّ آدمَ ، الذي بلغ منه الإعياء والخوف مبلغهما ، أن لقيهما ثعلبٌ ، فعرض على الأفعوان أن يكون الثعلبُ حَكماً بينهما ، فوافق .

جلس آدم أمام الثعلب مجلس المدعي ، وشرع في إيضاح القضية ، لكن الثعلب قاطعه قائلاً : اصمتْ حتى تحضُرَ خصمك . (قال) : إن خصمي هنا . قال الثعلب : إني لا أراه ! قال الأفعوان : أنا هنا . أنا مضطجع على بطن آدم تماماً ! . قال الثعلب : إذا كنت خصم آدم (قِبِيلِهِ) فعليك أن تجلس في مواجهته (قِبِيلِهِ) ، وإلا فلن اعترف بك بهذه الصفة . حسناً قال الأفعوان : إذن سأزحفُ خارجاً .

خرج الأفعوان من تحت ثوب آدم وجلس أمامه . ثم قال الثعلب : ساسميك أيها الإنسان (نَيْصُوب) فتيقَّظْ لفهم كل شيء ! . أمسك برأس الأفعوان يا نَيْصُوب ، به ! . لكن (يا نَيْصُوبُ به) تعني : (أوه . ضربة عليه) .

فهم آدم ما أراد الثعلب ، وقبض على هراوته التي كان لها عَجْرَةٌ ثقيلة (قنا) ، وهشَّم بها رأس الأفعوان .

ومذ ذلك الحين وأبناء آدم يقتلون كل أفعى يقع عليها نظرهم . لكن لما بدأوا يطاردون ذرية الثعلب أيضاً ، ويأكلون لحومها ، اشتكى الأخير قائلاً : (أخسر يا أسيرود الراس ! ليه اتناكر ، تيسلى المليح !) أي : يا للعار عليك يا أسيرود الرأس ! ليم أطارد ؟ ! أذاك لأني جوزيت لعملي المعروف) (٦) .

ويعلن الثعلب أنه يودُ مسالة الجميع ، لكنه في الحقيقة يرغب في خداع الجميع ! . فقد قام مرةً - مثلاً - ببعث رسالة للغراب : (أبغني أكرم لك) أي : يسعدني أن أقيم وليمة لك . قال الغراب : (زين أكرم) أي : حسناً اصنع لي (كرامة) أي (وليمة) . فقام الثعلب بغلتي عصيدة وصبها على صخرة منفرشة ، ثم دعا الغراب ، فجاء ، فحثة الثعلب قائلاً : (أفليح يا صاحبي) أي : تفضل يا صاحبي ! وبدأ في الحال يلحق العصيدة السائلة على الصخرة (الصفا) بينما لم يستطع الغراب الجائع رفع شيء بمنقاره . فقال في نفسه : هذه إذن هي ضيافة الثعلب الحسنة ! . لكنه لم يسد للثعلب استيائه ، ودعاه للتشريف بزيارته لتناول تمرات حلوة الطعم . فسأل لعاب الثعلب ، إذ كان شغوفاً بالتمر الحلو ، لكنه لم يكن يجد إلى جنبها سبيلاً لكونها مدلاة من علو لا يستطيع الوصول إليه ، ولطالما كان يرغب في عقد صداقة مع الغراب من أجلها وحسب ! .

ألقي الغراب أطيب التمرات وأنضجها في جوف شجرة متشابكة الأغصان ، ذات أشواكٍ طوالٍ حدادٍ (قنادة) ، وقال عندئذٍ للثعلب : (أفليح يا صاحبي) : فأخذ الثعلب يطوف بالشجرة محاولاً استخراج ولو ثمرة واحدة بلسانه أو بقدمه دون طائل . لقد جرحت الأشواك قدميه ، فظل يرقب الغراب الذي كان يستدني التمراتِ ثمرةً تلوَ ثمرةٍ بمخالبه ، ثم يلتقطها بمنقاره .

ومذ ذلك الحين اعترف الثعلب بالغراب على أنه نيدٌ مساوٍ له .

والثعلب مغرم بأكل الحبوب ، لذلك دعا القنفذ (القمفد) والجمع القنافذ) لمشاركته في حرث حقلٍ وبذرده قمحاً ، فوافق القنفذ ، وشرع مع أفراد

أُسرته (لديه أربعة وعشرون طفلاً) في العمل ، فحرثوا التربة ، وبذروا القمح ، وتولوا حراسته من المعتدين . وكان الثعلب يأتي من حين لآخر ضاحياً ليلقي نظرة عليهم وهم يكدحون ، ولم يُعْنِهم أية إغاثة . لقد قطع لهم على نفسه وعداً بأن يتولى حصاد القمح ودوسه وذرايته ، لكنه ترك هذا العمل أيضاً للقنفذ .

فلما ديس القمح وذري ، قال الثعلب للقنفذ : ستتسابق ، ومن يسبق صاحبه من جحري إلى كُوم القمح فالقمح كله له . نحن صديقان فلم نقسمه ؟ فهز القنفذ رأسه موافقاً . وكان شروق شمس اليوم التالي هو موعد بدء السباق .

وفي الليل أحضر القنفذ زوجته وصغاره الأربعة والعشرين إلى كوم القمح ، وأسند زوجته عليه ، ومضى رأساً إلى جحر الثعلب ناصباً أطفاله في أماكن بعينها على طول الطريق حتى وصل إلى الجحر وحده .

— يا والدي الثعلب ! لقد طلعت ذكاء ، ألن تعدو ؟ .

— أعد أنت فسأدركك !

— حسناً سأعدو .

ولما عمّ الدفء وجفّ الطل — أي في وقت الضحى — قفز الثعلب من وجاره وصاح : أين أنت يا قنفذ ؟ !

— هنا . قدام وجهك !

وقد دهش الثعلب لرؤيته القنفذ أمامه . وانطلق مهرولاً بكل ما استطاع من قوة ؛ وكان القنفذ ما فتي أمامه ؛ فاشتد عادياً لكن القنفذ ما فتي أمامه .

وكان جسم الثعلب يتفصد عرقاً عندما دنا من كوم القمح ليُلْفِي القنفذ قاعداً عليه !

وهكذا انتصر القنفذ على الثعلب !

وشاءت الثعالب يوماً مصادقة الكلاب . وبعد أن اجتمعت وتحدثت معاً ، كتبت رسالة طويلة وصفت فيها حبّها للكلاب ، وإخلاصها لها ، إضافةً إلى شغفها بالسلام وتعلقها به . وبعثت تتفلاً (ثعلباً شاباً) ليسلم الرسالة إلى زعيم الكلاب . وما كادت قدما الثعلب الموقد تظان حدود بلاد الكلاب حتى لحظه الحرسي . فانطلقت إثره خمسة كلاب . فصاح الثعلب قائلاً : إنه أتى ليفاوض الكلاب من أجل السلام ، وأراها الرسالة ، لكنها لم تصدقه . فألقى الرسالة إليها لعلها تقرأها . لكن الكلاب مضت في الهرير والاندفاع خلفه غاضبةً دون إغارة الورقة البيضاء أدنى اهتمام . لقد ابتهج الثعلب المندوب لأن نجاً بجلده ، وفرّ لا يَلْوِي على شيء ، ووَصَلَ إلى أصحابه والدم يسيل من الجروح الكثيرة التي أصابته ، والعرق يغطي جسده كله . ولما استعاد نشاطه سأله الثعالب : وماذا عن الرسالة ؟ فأجاب : لم تصدّقها الكلاب . قالت الثعالب : ماذا ؟ ! لم تصدّقها ؟ ! فلم يَظنّ ختمناها بِخَتْمِنَا ؟ ! قال : إن الكلاب لا تحفّل بِخَتْمِكُمْ . لقد أريت خمسةً منها الرسالة ، ولم يك من بينها من يحسن القراءة أو الكتابة ، لكنها جميعاً تحسن أن تهير وتعضّ كما ترون مني ! .

مركز تحقيق كاميون علوم راسدي

الحيوانات الكبيرة آكلة العشب :

يعيش (البِدَنُ) أو (الوَعَلُ) ذو القرون الطويلة القوية في جبال (الرواق) و (الشامه) و (الطويل) و (الهُوج) . وإن هبط إلى السهل لم يَنجُ من الكلاب ، لكنه في الجبال لا يُبارى . ويتقفر الصيادون آثاره الجديدة في طريقه ليلاً إلى المرعى ، فيكمنون في صدع صخريٍّ وينتظرون مروره . ويخرج أحياناً خمسةً نفراً أو أكثر لصيده ، فيتقدم أحدهم في موازاة قمة الجبل ، ويسير الباقيون بجذاء جانبه ، ويكون بين كل منهم والآخر مسافة معينة ، ويُجدُّون البحث في النهار عن المكان الذي تأوي فيه الوعول إلى الراحة .

وللوعل بَصَرٌ كليلٌ جيّداً ، لكنه يتمتع بحاستيّ سمعٍ وشمٍّ جيدتين .

وتحمي الأنثى صغارها بِرَوْقَيْهَا .

ويصل حجم بقرة المها أو (بقرة الوحش) إلى حجم عِجَلٍ قد أتمَّ عامه الأول . وهي بيضاء ، ولها قرنان مستطيلان حادَّان تذود بهما عن نفسها الكلاب . وهي شديدة الوله بزيارة الحفر الشبيهة بالقموع (المحاقن) الموجودة في صحراء النفود نهاراً ، أما في الصيف ، حين لا يقطن البدو في النفود ، فإنها ترعى بحرية تامة حتى في وضوح النهار ، بينما لا تخرج للرعي في موسم الأمطار إلا ليلاً ، وتكون خائفةً تترقب ؛ وإن هُيِّجَت شَرَدَت يوماً تاماً دون توقف .

وبَصَرُ المها كَعِجَلٍ ، فيستطيع القانصُ الذي يرتدي لباساً أبيض اللون أن يدنو منها إلى أن يصبح على مرمى البندقية إن تقدم في اتجاه مضادٍّ للريح ، وخلف جوادٍ أبيض أو بعير .

ويدعى الذكر منها (ثور) ، والأنثى (بقرَة) ، والصغير (عِجَلٌ) .

ولحمها ذو طعمٍ لذيذٍ جداً . وتتخذ من الجلد الثَّقِيبُ والأحفرة . وينحذ البدو قُفَّازاً (دَرَقِيَه) من الجلد السمين الذي في قفا عنق المها (المعروف بالعرَّعرَة) ، لحماية اليد من جراح السيوف . وتؤلف الأطباء (الطَّبِيبِ) أسراباً كبيرة (جَمِيلَه) في الحَمَّاد ، وفي منطقة (المناظير) في حدِّ تَدْمُرُ الجنوبي بشكل خاص .

ويسمى الذكر (تَيْسٌ) ، والأنثى (عَنز) . والصغير (خِشَف) أو (غزال) .

وإن كان الغزال أبيض فهو (رِيم) ، وإن كان بطنه أبيض ، وظهره يميل إلى الصفرة فهو (عِفْرِي) ، وإن كان ذا صبغة قرنفلية فهو (حِمْرِي) .

وخَيْرُ قَنَاصِيِ الأطباء رجالُ قبيلة الصَّلَيب . وطريقة قنصهم المفضلة أن يشترك في عملية القنص رجلان يقوم أحدهما بالحوَّش (حَوَّاش) ، والآخر

بالصيد (قنّاص) . والذي يتولى تهنيج الطباء وحوشها يلفّ حول ركبتيه ومرفقيه جلوداً (جبايات) ، ويزحف نحو سرب الطباء مُحاولاً حوشها نحو الرامي الكامن . ويصيدان عادةً من عشرة إلى عشرين ظبياً في اليوم الواحد .

وتُحاشّ الطباء في (المناظر) نحو حظائر عديدة ، فيبنى حائط حجري يبلغ ارتفاعه نحو متر ونصف على شكل العدد ثمانية (8) دون ميلاط . ولا يبنى من الدائرة السفلى إلا نصفها ، وترك فتحة ضيقة (ثنيّة) أو (ضيق) حيث تلتقي الدائرتان . وتكون أجزاء الحائط التي تغلق الحلقة العليا أقصر قليلاً في أماكن متعددة من أجزاء الحائط الأخرى . وتحفر حفرة يتراوح عمقها بين المترين والثلاثة عند كل من هذه الأماكن خارج الحظيرة . ويحاشّ سرب الطباء بحذرٍ إلى الدائرة السفلى التي لم يتم بناؤها . ويجري ذلك سريعاً لأن أحد الحائطين على بعد نحو ألف خطوة من الآخر . فتتقدم الطباء بهدوء في بادئ الأمر ، لكن بعد أن يصيبها الذعر ، فيما بعد ، تعدو بخذاء الحائطين محاولة أن تنفذ بأسرع ما يمكن من خلال الفتحة الضيقة في الدائرة العليا المقفلة إقبلاً تاماً ، وحالما تعدو داخلة تنقل الفتحة الضيقة ، ويهجم عليها كلب صيد (سلقة) . فتظل الطباء المدعورة تعدو حول الحائط . وتقفز عليه من لدن أقصر موضع منه . فتساقط في الحفرة التي خارج الحظيرة .

ويقال : إن الطباء تحاشّهم بالفتحة الضيقة التي تمرق من خلالها إلى هلاك محقق (الضيق) (٧) . وإذا شاء بدوي إيقاف ظبي فأرّ صاح به : (الضيق يا غزال !) أي : إن الفتحة الضيقة أمامك أيها الغزال ! فيتوقف الغزال في الحال ويلتفت .

وإذا لمح بدوي — وهو يؤدي عملاً هاماً — غزالاً فإنه يفرق من سوء الطالع . ويصيح : (غزال ! غزال ! وشراً زال !) .

الحيوانات الصغيرة :

تستوطن الأرناب أنحاء بلاد الرواة كلها . وتكون بيضاء بياضاً قرنفلياً

في صحراء النفود ، وسوداء في الأراضي البركانية ، وصفراء صفاراً رمادياً في الحماد ، ومن هنا لا يمكن تمييزها عن محيطها . ويسمى الذكر (خُرَز) ، والأنثى (عِدْنِه) ، والصغير (خُرْنِق) . ولا يصل حجم الأرنب إلى مثل حجم الأرنب البرية الأوربية . وهي تطفئ ظمأها بالطلّ فقط ، كالغزال وبقرة الوحش .

وإذا دنا إنسان من الأرنب التَصَقَّتْ بالأرض ، أو اختبأت وراء جُحُر في مرج كثيف الشجر ، ولا تبدي حراكاً حتى وإن اقترب الإنسان منها اقتراباً تاماً ، لكنها إن تبينت أن الإنسان قد عاد فإنها تلمس النجاة بالاندفاع كالسهم .

قال إن الأرنب تفتخر قائلة : (أنا الشَّرْمَا ، بقاعة القَرْمَا ، مِشْبِيعُ اثْنين ومَلْعَمُ الثالث) أي : أنا الشَّرْمَاء (أي ذات الشفة المشقوقة) ^(٨) ، في السهل ذي النباتات الجافة ، مُشْبِيعُ اثْنين ومُسَيْلَة لعاب الثالث . أو قائلة : (أنا شَجِيرَتِي خَفِيَّةُ ، ووَبِيرَتِي ضَفِيَّةُ ، ولا يَشُوفُنِي كُودُ راعي البليَّةُ) أي شجيرتي - أي التي أختبي تحتها - خفية ، ووَبِيرَتِي - تصغير (وَبَرَة) دافئة ^(٩) ، ولا يراني سوى من يريد ابتلائي ^(١٠) .

وإذا نفرت الأرنب صاح بها الرولة : (وَبَرَة وَبَرَة ، وبالنار مِشْبِيرَه) أي : (أيتها الأرنب ! أيتها الأرنب ! النار مأواك !) .

وإذا عَرَضَت الأرنب للقانصين بالصقور صاحوا : (عَرَضْتِينَا لِحَيْرُ ، وعَرَضْنَاكَ لِلطَّيْر) أي : (إن اعتراضك دَرَبَنَا لِفَأَلٌ حسنٌ ، لكننا سنعرضك للبازي) .

ويستوطن الخنزير البري منطقة تَدْمُرَ ، وضواحي الأزرق ، دون غيرها ، حيث يكمن في الأجسام السَّيْخَة . ويدعى الذكر (شِهْل) ، والأنثى (شَيْبِه) ، والخنزير الرضيع (قنوص) . ويستخدم الرولة كلمة (تهزير) بدلاً من (خنزير) . ولحم الخنزير الوحشي يؤكل على وجه العموم ^(١١) .

و (صيد الطَّسْنَعَة) حيوان آكل للعشب ، حجمه حجم حَمَلٍ عُمُرُهُ ستة أشهر ، ولونه رمادي ، ويقال : إن أسفل رأسه يشبه أسفل رأس الكبش ، وأعلاه يشبه أعلا رأس الإنسان . ولا يكاد يوجد إلا في حدِّ (النَّفود) . ولحمه لذيذ جداً .

ويستوطن الوَبْرُ الجبال التي يقطنها الوعل نفسها .

و (النَّيْصُ) متوفر بوجه خاص في المناطق المحيطة بـ (القَعْرَة) حيث تكون الكهوف والفجوات الصخرية العديدة ، ذات الأحجام المتنوعة مأوى له ، وهو إذا جُرِحَ هاجم الإنسان عضاً وجرحاً . ولحمه لذيذ جداً (!!) .

ويصاد القنفذ أيضاً لأن لحمه ذو طعم شهّي جداً . ويُرَبَط جِلْدُهُ حول أعناق الإبل السريعة الإجمال ؛ ويقال : إنه بعد شهر من ربطه لا يعود الخوف يعرف طريقه إلى قلوبها^(٥) .

والجِرْدِي - بالبدال المهملة - نوع من اليرابيع (كذا !) كثير الأصناف^(١٢) . وهو يخفر حفراً عميقة في المرتفعات ، ويصنع لها ممرات على شكل يمنع الماء من اختراقها حتى خلال أغزر الأمطار . ولحمه ليس بلذيذ .

والجربوع (أو : اليربوع) نوع ذو أصناف عديدة ، وهي أصغر من سابقتها حجماً . وتؤثر حفر جحورها في الأراضي المنبسطة ذات التربة الرملية الناعمة . وتصنع ممرات طويلة تميزها تحت السطح مباشرة ، وتعرف هذه الممرات بـ (النُّطَاقَة) ؛ وإذا دخلت جحرها سدَّتْ مدخله مباشرة بكوم صغير من الطين (قَصْنَعَه) خوفاً من الثعابين . فكوم الطين هذا أمانة لا تخطئ على أن اليربوع في بيته .

وإذا أراد البدوي صيده ثبَّت عصياً أو أعواداً في المسر في مواقع متعددة ، ثم انتظر إلى أن يتحرك أحدها ، وهذا يبين له أن اليربوع يحاول الخروج زحفاً

فيقتله بعصاه ، أو يطؤّه . وإذا لم يستطع الانتظار وطيّ الممرات (فهتدم سقفها)
ليخرج الجربوع . فإذا أخفق البدويّ في إصابته بالعصا التي يرميها فإنه غالباً
ما يحترق سقف الممر مذعوراً ويفتر .

إن لحم البربوع لذيذ جداً ، فهو كالحم الفروج . يسلخ الجلد ، ثم تشوى
(الذبيحة) كلها مع الأمعاء ، ويلقى بأسفل القدمين وحسب .

فآخَرَ البربوعُ (الجِرْدِي) فقال : (أنا الجَرَبُوعُ ابنُ المَرْبُوعِ ، مُعَشِّي
عَشْرَهُ مَعَ عَشْرِهِ ، وَقَصَّالِيْمي على الشَّجِرَةِ) أي : أنا الجربوع ابن الربوع ،
مُعَشِّي عَشْرَةٍ (مع عشرة آخرين) (١٣) ، مع أن قوائمي ملقاة على الشجرة .
وقال أيضاً : (لَوْ إِبْدَيْتَهُ طُولَ رِجْلِيَّهْ مَا تَذَحَقْتَنِي كُلَّ عُنْبِيَّهْ !) أي :
لو كانت يداي بطول رجليّ لما استطاعتُ عناقُ الخيل أن تدركني ! .

فقال الجِرْدِي : (أنا الجِرْدِي ابنُ الجِرْدِي ، رَمَّاي المِائِسِ بالخَبَارَى !)
أي : أنا الجرذ بن الجرذ ! أنا الذي ألقي الفارس المستلثم في جمحور الفئران ! ..
ذلك أنه إذا وقعت حوافر الحصان على جحر جرّاذٍ عميق تعثر وطرح راكبه أرضاً .

كانت أنثى البربوع توصي صغارها . فمما قالتها :

فُرْ بِنَفْسِكَ إِنْ شُفِّيتَ ضَيْمٍ وَخَلَّ الدَّارُ تَنْعَى لِمِنْ بَنَاهَا
الدَّارُ تَجِدُ دَاراً أَخِيرَ مِنْهَا وَرَوْحَكَ لَمْ تَجِدْ رُوحَ سَوَاهَا

أي : انجُ بنفسك إن رأيت ضيماً ، واترك الدار تبكي على من بناها
أما الدار فستجد خيراً منها ، وأما نفسك فلن تجد نفساً سواها

الباحلُ الثَّقِيلُ بدار قومٍ وما للسَّاكِنينَ إلا الرِّحيلُ (١٤)

ويعيش الفأر في كل مكان . وهو يدخل البيوت ويذهب بالطعام ، بل إنه
أحياناً ليقرض حتى الناس وهم نائمون . وأنشد بدوي :

١ - أنا اسهَرَتْنِي تَالِي اللَّيْلِ فَارَهُ تَاخُذُ زَهَابِي بِمَ جِحْرَهُ تَوَدِّيهِ

- ٢ - ضَرَبْتُهَا قَصْدِي لَهَا بِالْفِقَارَةِ . من جُودِ مِلْحِي راح دَمَّةُ يَبَارِيهِ .
 ٣ - وَاَدْخُلْ عَلَى حَصْنَانٍ وَشَيْخِ الْوَبَارَةِ . واللّه يَضِيعُ من يَنْخَلِّي عَوَانِيهِ .
 ٤ - أَمَا أَنْتَ بِاطْرَبُولٍ مَا بِيكَ حِمَارِهِ أَقْصَى جُودِكَ بِطَارِفِ الْجُحْرِ تَقْلِيهِ .

أي :

- ١ - لقد أسهرتني في آخر الليل فأرة تأخذ طعامي وتنقله إلى جحرها ،
 ٢ - ضربتها (برصاصة) قاصداً إصابة فقارها ، ولجودة ملح بندقيتي فقد أصابتها الرمية وذهبت بدمها مع الملح .
 ٣ - وسأستجير بالثعلب والوبُر ، أضاع الله من يتخلى عمن يستجير به !
 ٤ - أما أنت أيها الظَّربَان فلا خيرَ ولا شجاعة فيك ، وأقصى ما تصل إليه شجاعتك حدَّ جُحْرِكَ

كان بدويٌّ نائماً في الخلاء خلال غارة له . وكان زاده موضوعاً على مقربة منه ، فاستيقظ ووجد فأراً يسرق منه ؛ وليخوفه صَوَّبَ فوهة بندقيته ، التي كانت محشوةً ملحاً فقط ، نحو أعلى ظهره لكي يسفَعَ شعر جلده ، لكن الملح كان حديداً ، فاخترق الجلد ، وانسفك الدم في الحال . واخوف البدوي من انتقام الفئران لجأ إلى الثعلب طالباً جواره ، وإلى رئيس الوبُر (جمع الوبُر) المشهورة بعدم التخلي عن مَحْمِيَّهَا (عوانيه) ، والذين يشملون الجار (القَصِير) ، والرفيق في السفر (الخَوِي) ، والضيف ، بالإضافة إلى اللاجئ إليهم المستجير بهم (الدَّخِيل) ؛ فعاتبه الظَّربَان (الظَّرْبُول) لعدم لجوئه إليه في القلاة ، لكن البدوي ازوَّرَ عنه ساخرًا بقوله إنه (أي الظربان) حتى حين يسرح إلى المرعى لا يجروُ على الذهاب إلى أبعد من حدود جحره ، فمن أين له الشجاعة ليحميه بها من انتقام الفئران ! .

وتتحسر الفأرة قائلة : (أنا الفأرة بنيت الفأرة . قَطَعْتَ إِبْدِيَّهِ الْمِحْفَارَةَ) .. أي : شَوَّهَ بَدْيِي النَّمِعُول ! .

وَأَلَدْتُ أَعْدَاءَ الْفَرَّانِ ، بِلَا مَنَازِعَ ، الْهَيْرُ .

كانت أُمُّ الْفَرَّانِ تَخْشَى أُمَّ الْقَطْطِ . وَذَاتَ مَرَّةٍ كَانَتْ تَزْحَفُ فِي سَقْفِ بَيْتٍ فَلَمَحَتْ الْقِطَّةَ فِي أَسْفَلِهِ ؛ وَلِشِدَّةِ ذُعْرِهَا تَحَدَّرَتْ أَقْدَامُهَا ، وَذَكَرَتْ اسْمَ اللَّهِ ، كَمَا يَذْكُرُ الْأَطْفَالُ اسْمَ اللَّهِ إِذَا عَثَرُوا تَمَاماً^(١٥) ، وَقَالَتْ : لِئِنْ حَمَيْتَنِي يَا رَبُّ مِنْ هَذَا الْكَائِنِ ، فَلَنْ أَطْلُبَ حِمَايَتَكَ مَرَّةً أُخْرَى ! . وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا ، وَازْدَرَدَتْهَا الْقِطَّةُ فِي غَمَضَةِ عَيْنٍ ! .

وَمَرَّةً عَقَدَتْ الْفَرَّانُ اجْتِمَاعاً عَامَماً ، وَاتَّفَقَتْ بِالْإِجْمَاعِ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُقَلَّدَ كُلُّ قِطٍّ جَرَساً صَغِيراً يَحْدَرُ الْفَرَّانَ . فَابْتَاعَتْ أَجْرَاساً صَغِيرَةً كَثِيرَةً ، وَدَعَا رَئِيسُهَا (كَبِيرُ الْفَارِ) أَشْجَعَهَا لِلتَّقَدُّمِ لِتَعْلِيقِ الْأَجْرَاسِ فِي أَعْنَاقِ الْقَطْطِ . وَحَتَّى الْآنَ لَمْ يَتَقَدَّمْ (لِأَدَاءِ هَذِهِ الْمِهْمَةِ) فَارٌّ وَاحِدٌ . وَظَلَّتِ الْأَجْرَاسُ مُلْقَاةً فِي مَخْزَنِ الْفَرَّانِ . وَمَا بَرَحَتْ الْقَطْطُ تَعَذِّبُ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْبَائِسَةَ .

وَيَسْتَوِطِنُ حَيَوَانَ الْخُلْدِ (الْخُلْدُ) مُنْخَفِضُ السَّرْحَانِ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ ، وَهُوَ ذُو لَوْنٍ رَمَادِيٍّ قَلِيلٍ .

كَانَ خُلْدٌ قَاطِئاً مَعَ بُومَةٍ وَ (رَقِيعِي)^(١٦) وَضِفْدَعٍ (ضَفْعَةٍ) وَعَشَّةٍ (شِرَارَةٍ) ، وَنَزَلَ بِهِمْ مَرَّةً ضَيْفٌ ، فَظَلُّوا سَاهِرِينَ عَلَى رَاحَتِهِ قِيَاماً بِوَاجِبِهِ لِأَنَّهُ كَانَ ضَيْفَهُمْ جَمِيعاً . وَلَمَّا ظَهَرَ نَجْمُ الصَّبَاحِ ، سُرِقَتْ مَطِيلَتُهُ . وَمَا كَادَ مُضِيئُهُ يَطْبِقُونَ أَجْفَانَهُمْ حَتَّى أَبْقَظَهُمْ عَوِيلُهُ . فَانْطَلَقُوا لِلْبَحْثِ عَنِ الْبَعِيرِ الْمَسْرُوقِ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، فَبَحِثَ عَنْهُ الْخُلْدُ تَحْتَ الْأَرْضِ ، وَالْبُومَةُ فِي الْأَمَاكِنِ الْخَرِبَةِ ، وَ (الرَّقِيعِي) بَيْنَ قِطْعَانِ الْإِبِلِ فِي الْمَرَاعِي ، وَالضِفْدَعُ فِي الْمَاءِ ، وَالْعَشَّةُ (الْفَرَّاشَةُ) بَيْنَ الثِّيَابِ وَالسِّجَادِ .

وَلَمْ تَكُنِ الْعَشَّةُ سَعِيدَةً لِإِخْفَاقِهَا حَتَّى الْآنَ فِي الْعُثُورِ عَلَى أَيِّ أَثَرٍ لِلْبَعِيرِ ، فَأَلْقَتْ نَفْسَهَا فِي النَّارِ قَائِلَةً : (النَّارُ وَلَا الْعَارُ) .

الطير الآكلة لِلحَم :

يقسم الرّولة الطير إلى : (طيُور) و (حُمَر) . ويقصد بالطيور كُلُّ ما يأكل اللحمَ من الطير :

الصقور والبَزَرَة (١٧) :

أهم ممثل للطيور الصقُر الذي غالباً ما عُرِف بأنه (طير) .

ويشترى الرولة صقور الصيد من الحضَر المقيمين في (الشَّيْخ مسكين) و (الرَحِيَّه) الذين إما أن يختاروا الصقور الصغيرة ، أو يصيدوا التامة النمو .

وخير صقور الصيد (الحرّ) . ولونه بُنِّي مشرب بِحُمرة (أشقر) ، وعلى ذيله نقط بيض عديدة (ثُرَيوات) ؛ أو بُنِّي غامق (أدْبَس) ؛ أو حتى أسود . ويدعى الصقر الذكر (شَبُوط) والأنثى (شِهَانَه) .

ويرى البدو أن الصقر الصغير يمكث جنيئاً أربعين يوماً ، وأربعين يوماً قبل تفقيسه من البيضة ، ولا يُتَبَيَّنُ ما إذا كان سيَطير أو لا إلا بعد أربعين يوماً أخرى : (أَرْبَعِينَ يَوْمَ فَيَضُ ، وأَرْبَعِينَ يَوْمَ بَيَضُ ، وأربعين يوم يَطِيرُ ولا يَطِيرُ) .

وأحسن الصقور الصغيرة أي القرانيس بُدْعَى (زين النادر) ، ويليهِ في الأصالة (ليزيز النادر) ، ويأتي في الدرجة الثالثة من حيث الأصالة (القَطْعِيَّه) والذي لا خير فيه بَتَّاناً هو (التَّبَع) .

ويُزَوَّدُ الذكرُ الأنثى والصغار بالطعام . ويجلب الحُبَارِيَّات (الحَبَّاري) والأرانب إلى وكره .

وإن سقط الصقر الصغير خارج العُشِّ لم يُقِمْنِه من سقطته ويعتَن به إلا الذكر .

وإن مات الذكر فحسب الأم سعادةً أن تستطيع إمداد صغارها ونفسها باليرابيع والفئران التي ليست بمطعم طيب للصغار .

وخير وقت للخروج بالصقور الصغيرة حين تسمي قادرة على إطعام نفسها .

ويقدم بائع الصقور لها القوت إلى أن تستكمل بنية أجسامها فيبيعها البدو .

ويتطلب صيد الصقور المكنمة النموَّ جُهْدًا أقل : يبحث صائد الصقور (الطيراح) عن بقعة بين الصخور ملائمة ، ويُعدُّ فيها لنفسه مخبأً ، ويضع أمامه حجرين أو ثلاثة ، ويربط بين الأحجار شبكة صغيرة ، ويلقي عليها طيناً ، ويصلها إلى مخبئه بخيط ، ويربط غراباً قليلاً من ريشٍ وحمامةً في حبلٍ دقيق . ويربط الغراب بخيطٍ دقيقٍ إلى حجرٍ كبيرٍ بين المخبئ والشبكة ويوفر له ماءً وطعاماً . ويبقى هو في مخبئه مع الحمامة منتظراً إلى أن يسمع نقيق الغراب الذي يُنبئ بأن الصقر يحوم فوقه ؛ فيسجُرُ الغراب بِحَذَرٍ ورفقٍ إلى الداخل ، فيبقى الريش في مكانه مربوطاً بالحبل ، بينما تقع الحمامة قرب الشبكة ، فإذا طرح الصقر نفسه على الحمامة جرَّ الصائدُ الخيطَ فسقطت الشبكة وقبض على الصقر ، وخاط جفنيه في الحال (يقطب الطير) . وبعد ثلاثة أيام أو أربعة يستأنس الصقر بعض الشيء (يؤالف) فيمكن حينئذٍ فك الخيوط .

ويبيع صياد الصقور ما لم يكن مدرباً منها بمبلغ يتراوح بين ثماني مجيديات وعشرين مجيدية للصقر الواحد (أي من ٧,٢٠ من الدولار إلى ١٨ دولاراً) .

ولابدَّ أن يُدَرَّبَ البدويُّ الصقر بنفسه . ويكون لدى الشيوخ بصفة عامة عبدٌ يُدَرَّبُ لهم الصقور ، ويصيد معهم . وإذا رغب الشيوخ في الصيد بأنفسهم فعليهم أن يكثرُوا من الاشتغال بالصقور ، وإلا فلن تألفهم ، ولن تعود إليهم بصيدها .

ويحتاج الصقَّارُ إلى قاعدة خشبية يصل علوها إلى نحو ٤٠ سم ، ولها رِزَّةٌ

حديدية في أسفلها ، ومغطاة بالجلد من أعلاها . ويعيش الصقر على هذه القاعدة (المَرَكَبَة) . ويربط في كل من ساقيه أنشودة جلدية (سَبَق) ، تمتد منها سلسلة (مَرَبَط) تصل إلى حوالى منتصف القاعدة . ويستطيع الصقر التحليق قليلاً ، وهو على قاعدته لكنه لا يستطيع الطيران بعيداً . ويرتدي الصقر خوذة جلدية صغيرة (بَرَقَع) على رأسه ، يمكن سحبها إلى أسفل لتغطي عينيه ، وربطها تحت منقاره حول عنقه لئلا يخلعها بمخالبه .

وقبل غروب الشمس بقليل يلبس القنّاص قفّاز جلد خشن (دِس) بيده اليمنى ، ويحبل أنشودات السلاسل ، ويولج فيها حبلاً دقيقاً طويلاً ، ويضع الصقر على يده اليمنى ، ويظل يدعوّه باسمه ، ويؤرّجحه إلى الأمام وإلى الخلف محاولاً جعله يطير . فيرتفع الصقر ويأخذ بدور فوق القنّاص . ويربط الرجل طرف الحبل الآخر بوتر مثبتّ تثبيتاً قوياً ، ويأخذ خُرْجاً بيده اليسرى ، وقطعة لحم بيده اليمنى ، ويومي باللحمة إلى الصقر داعياً إياه باسمه . فإن لم يقع الصقر على الحبل وطى الرجل الحبل إلى أن يندفع الطائر نحو اللحم .

وإذا عاد الصقر بنفسه بعد تدريبه عدة أيام فإنه يدعه حرّاً طليقاً كما ولدته أمه ، ثم يأتي بأرنب تكون قد رميت وجرح ، أو كُسرت إحدى رجليها ، ويطلق (يَهْد) الصقر وكلب صيد (سَلْقَه) عليها . فإن أنشب الصقر فيها برائته تركها كلّها له .

وإذا صاد الصقر عدة أرناب جرحى بمعاونة كلب الصيد وأكلها خرج القنّاص به للصيد .. فيربطه بسلسلة صغيرة خلف رحل البعير ، ويأخذ معه خُرْجاً ، ويدعو كلب الصيد . ويركب البعير ذاهباً وراء القطاين . فإذا ما أثار الكلب أرنباً أو حُبَارَى فإن الصياد يحل رباط الصقر . ويأخذه بيده اليمنى ، ويركب بعيره . ويمضي منطلقاً وراء الكلب . ويرسل الطائر على الصيد . ويظل الصقر يتلفت بَحْنَةً وَيَسْرَةً ، ويرفرف بجناحيه (يَفْرَفِر) . وحين يلمح الفريسة

تخرج يطير إثرها ، فيمسك بالحبارى في الحال ، لكن الأرنب تنسل ، في العادة ، بعيداً وتختبئ ، وبذلك تنجو من منقاره .

فإذا انقضَّ الصقر على الأرنب من علٍّ عبَّر عن ذلك بـ (الطيرُ يَدْلِه) ، فإن أفلح في إنشابه برائته في ممتها (علَّق) ، ركب القناص إثره بكل ما استطاع من قوة ، وغَطَّاه هو وفريسته بعباءته ، وربَّت (يَطْبَبُطْب) على ظهره صائحاً : (كِشْ كِشْ) ، ويحاول نزعه من على ظهرها (تِنَشْنِش) . ويتسلم الصقر قسطه من الفريسة داخل البيت ، ولا يتسلمه أبداً في البرِّ خارجه .

ويستطيع الصقر المدرب تدريباً جيداً أن يصيد في اليوم عدداً من الحباريات يصل إلى العشر . وعدداً من الأرانب يصل إلى العشرين ؛ لكن ذلك عند وفرة الصيد وحسب .

إن قلةً من القناصين تستطيع الاحتفاظ بصقورها ثلاثة أشهر أو أربعة ؛ لأنها جميعاً تنيه ؛ ولا تعود في شهري فبراير ومارس ، لا سيما إن التقت بصقور بريّة .

والشاب البدوي متعلق بالصيد بالصقور والكلاب السلوقية . فإنه حينئذ يستطيع التمتع بحرية أكثر ، ويدنو من حبيبته ، ويخادعها ، أو يقدم إليها ما لديه من هدية ، ولذلك فهو يتغنّى قائلاً : *مِنْ حَقِيقَاتِ قَامِطٍ عِلْمٍ رَسْمِيٍّ*

يَالَيْتَ لِي جَرَوْاً وَيَالَيْتَ لِي طَيْرٌ وَقَعَيْدٌ يَنْسَفُ عَلَيْهِ الشَّدَادُ
نَجِي مَا بَيْنَ السَّلَفِ وَالْمِظَاهِيرِ وَنَشَلِّي الْجَرَّوَا وَالطَّيْرُ غَادِي^(٥)

أي :

ياليت لي كلبة صَيِّدٍ وياليت لي صقرًا ، ووقودًا نشدٌ عليه الرَّحْلُ !
فأنني راكبين بين جنود الشيخ والعشيرة الطاعنة ، ونرسل كلبة الصيد ، ويكون الصقر قد سبقها .

الجرَّوَا : أنثى عائلة الكلاب السلوقية .

يتقدم جنود الشيخ المحاربون (السَّلَف) في العادة ، أمام القافلة بنحو كيل أو كيلين (كيلو متر أو كيلو مترين) . وتعدو (الجَرَّوَا) في المقدمة مهيَّجَةً الأرانب وطير الحبارى التي تفر من الخطر خلف السلف ، لكن القبيلة الطاعنة تصدها . وبهذا يكون للصقر الجيد خير فرصة للصيد بين الركب من الجنود والجمال حاملة الأثاث .

الطَّيْرُ عَيْبًا بِالْقَزَيْعِي يَصِيدُ يَا إِلِيَّ عَيْبًا يَصِيدُ الْحَبَارَى
لَوْأَ حَسَايِفُ نَقَلْتِهِ عَلَى ابْنِي مَمْسَحُ الرِّضَانِ عَقْنُ الطَّيَارِ
أي :

لقد امتنع الصقر يا (القزيعي) أن يصيد . يامن امتنع عن صيد الحبارى !
يا أسفاه على نقلي إياه على يدي . إنه كـ (مَمْسَحُ الرِّضَانِ) ذلك الطائر الرديء الطيران .

يمسك القناص بالصقر ، ويضعه على يمينه التي يغطيها قُفَّازٌ من جلدٍ ، ويحل السلسلة من قدمه ، ويجبره على الطيران بتحريكه إلى الأمام وإلى الوراء بيده ، وإذا كَلَّتْ يَدُ نَقْلِهِ إِلَى الْيَدِ الْأُخْرَى ، وَيُعِيدُ الْكُرَّةَ .

(مَمْسَحُ الرِّضَانِ) : طائر من آكلات اللحوم شبيه بالصقر .

الطَّيْرُ يَا عَمَّارُ يَا كَاسِبَ الثَّنَاءِ اللَّهُ وَلَا لَهُ جِرَّةٌ نِهْتِدِي بِهِ
غَدَّتْ بِهِ عَرْدًا مِنَ الْقَرَائِصِ حَابِلٌ عَامِينَ شَاتٍ مُخْتًا بِجَرِيدَةٍ^(٥)

معنى البيتين :

أَعَمَّارُ يَا كَاسِبَ الثَّنَاءِ ! ، لقد ذهبت بصقرنا شَيْهَانَةً قَوِيَّةً (قرناصة : قرناصة) ، حائل لم تفرخ ، فَمَخَّطُهَا مَا فَتِي بِسَاقَيْهَا صَيْفَيْنِ وَشَتَائِنِ . وليس للصقر أثر (كالحوانات التي لا تطير) فنستهدي به (على مكانه) .

القرناسة (الجمع القرانيس) : هي أنثى الصقر ذات النمو المكتمل .

الجريد : سَيْفَانُ الصقر من المخالب إلى الركب .

ظلت أنثى الصقر هذه دون أزواج (حايلاً) عقيماً سنة (صيفين وشتاءين) . ويرى البدو أن المخ ، وبخاصة ما تجمع في الساق وحوله يخرج من جسم الطائر أثناء التزاوج .

طيرٌ أخرى آكلةٌ لِلدَّحْمِ :

(الجليمه) : طائر من آكلة اللحم ، أصغر من الصقر ، لكنه أكبر من (الباشق) . وتعرف (الجليمه) أيضاً بـ (الكَحْلَا) . وهي من ضروب الصقور (هكذا) ، وتصيد الحُمُرَ بمختلف أنواعها - أنظر ص ٣٧ - ٤١ - من الأصل الانجليزي وتبحث عن القطا بصفة خاصة .

مِسِيحُ الرِّبْضَانِ (*) : - وهو ضَرْبٌ من الصقور ، شغوف بصيد (الجربوع) .

الباز : وهو صقر العصافير . والحديثة : الحِدَاة . العقاب : النسر .

إنه لا الباشق ، ولا الجليمه ، ولا حتى الصقر نفسه يَأْمَنُ من ذلك الصنف من العقبان المسمى (الجيرْدَان) .

ويُقْتَنَصُ النُّسْر (الجمع : النسور) ، وبخاصة أصناف (الحبشي) ويؤكل لأن لحمه مفيد ، فأكلُ سبعٍ قِطْعٍ منه مجففةٌ في الشمس خيرُ علاجٍ للرَّثِيَةِ (الروماتزم) والبواسير . وينبغي أن يزرد المريض هذه القِطْعَ سبعاً معاً . ثم يلتحف بسبعة ألحفة ، وَيَعْرِقُ ، وسوف يعينه الله (١٨) .

وتُهاجر (الرَّحْمَه) عند ابتداء هطول أمطار الخريف ، ولا تعود حتى ابتداء موسم (السَّمَك) . ويرحب البدو بعودتها مسرورين ، لعلمهم أنه خلال

عشرة أيامٍ أو خمسة عشر سيكون ثَمَّةٌ طقسٌ أدفاً . ولا تقبل (الرّخْمَة)
التخلي عن غنيمتها ، وتبذل كل ما أوتيت من قوةٍ للإبقاء عليها . ومن هنا قيل :
(تَوَخَّمْ تَوَخَّمَة الرّخْمَة) أي : فلانٌ يحرص على الشيء حرص الرّخْمَة .

(السَّعْدِي) أو (أبو سعد) : هو اللقلق .

(الغُرَق) - بسكون الراء - : طير الماء .

وثمة من الغربان أنواع ثلاث : (زاغ البَقْع) - بتسكين القاف - : وهو
أصغر الغربان ، ولونه أسود ، ويميل لون صدره إلى الزرقة أو الخضرة ؛
و (الجَبْعَا) : أكبر قليلاً ، وله ذيل قصير ، ولحم لذيذ الطعم (هكذا !) :
وغراب (العَقْعَق) : وهو أكبرها .

وتصحب هذه الأنواع الثلاثة كلُّها الإبل متوغلةً في الخلاء . وتلتقط من
أجسادها القردان (القَرَاد) والحلَم (بفتح اللام جمع الحَلَمَة وهي صغار
القردان ^(*)) . لكنها أيضاً تحفر الدَّبَر أي القروح التي تحت القتب . ولهذا السبب
يطردها الرعاة ، فإذا رأوا غراباً على بعير صاحوا به : غَرَبُ ! غَرَبُ ! (
أي : طيرٌ إلى المناطق غير المأهولة . أو :) (يَخْزِرُ يَخْزِرُ لِهَاتِكَ !) أي : عسى
أن يَخْزِرَ المِخْرَازُ لِهَاتِكَ ^(١٩) ! .

وإذا قام إنسان برحلة هامة ورأى غراباً واحداً . فإنه يندب حظه قائلاً :
(يا قِرْدَ العَيْنِ جَاهُ الغُرَابِ وَحِيد !) أي : آه . إنَّ العين التي يأتيها الغراب
وحيداً ستنهك من البكاء ! . إنه يعلم أن سيلاقى حظاً سيئاً ، ولذا فإنه يختار
العودة من حيث أتى ^(*) . أما إن رأى غرابين فإنه يهتف : (يا حَظَّ العَيْنِ
من جَنَّةِ الغرابين) ^(٢٠) ، أي : ما أسعد العين التي يأتيها الغرابان ! . أو : ما أسعد
عين من يأتيه غرابان .

وصغار الغربان أكثر احتشاساً من كبارها ، فقد كان غرابٌ هَرِمٌ يوصي

ابنًا لحفيد له قائلا : يا بُنيَّ ، لا تثق بالبشر ! فإذا رأيت امراً يدنو منك فطيرٌ
حالمًا ينحني ، فربما رفع حجراً ورماك به فأجابه : لا تخافَنَّ عليَّ من الإنسان
يا جدِّي ، فإنني لن أنتظر إلى أن ينحني ، بل سأطير حالمًا يقع عليه بعصري . لماذا ؟
لأنه ربما يكون حاملاً حجراً في يده فيستطيع إذن رمي به دون أن يحتاج إلى
الانحناء ! .

الطيرُ غير الآكلةِ لِلدَّحم :

إن الطيرَ غيرَ الآكلةِ للحمِ المعروفةَ بـ (الحُمُر) هي :

(الحُبَارَى - الجمع الحُبَارِي) : نوع من الـ bustards ، لونها رمادي
قاتم ، وبعض ريش جناحيها وذيلها بيض . وهي كالدجاجة المتوسطة الحجم .
وهي تعدو عدوًّا سريعاً لكن طيرانها سيءٌ . وهي موالعةٌ بزيارة السهول
والوديان المغطاة بالنباتات المعمرة (الدائمة الخضار) . وأكثر ما تفتت
البذور والبراعم الطرية .



وإذا خافت اختبأت تحت شجرة .

وهي لا تطير حتى يدنو منها عدوها . وتطير قريباً من الأرض مسافة مئة
خطوة أو مئتين ، ثم تقف هنيهة ، وتقلع ثانية عدة خطوات ، ثم تستكن مرة
أخرى تحت شجيرة أو لوح مائل . وإنه لعسير على المرء الدنو إلى أن يبيت على
مرمى منها ، لأنها تطير طيراناً متواصلاً ، ولا يستطيع إعباءها إلا راكبُ فرسٍ
شديد التحمل .

وعدوُّ الحُبَارَى اللدودُ الصقُرُ الذي يرقب حركاتها وسكناتها من علٍ ،
فإذا استقرَّ قرارها انقضَّ عليها كالبرق الخاطف .

وقد كانت الصقور في بادئ الأمر تخشى الحُبَارَى^(١) ، لأنها أكثر منها عدداً :
وحلَّ صقُرٌ جريحٌ ، ذات مرة ، ضيفاً عليها ، فاستقبلته بترحابٍ ، وأطعمته ،

وعالجته حتى أبَلَّ من دائِهِ . وقد لاحظ الصقر أن الحباري لم يعتقدن أية اجتماعات معاً ، لذلك سأل ربة مثواه مستغرباً : إلى أية قبيلة تنتمين ؟

— نحن (قوم) الزُّنَّارَة .

— ومن شيخكم ؟

— أنا الشيخه .

لكن جارة لها ، سمعت الحوار فهتفت : أبداً ! أبداً ! : بَلْ أنا الشيخة ! ، فاعترض عليها طائر كان في تلك اللحظة ، صافئاً جناحيه في الفضاء ، قائلاً : ماذا ؟ كيف يكون ذلك ؟ بل أنا الشيخ ! .

لقد سعد الصقر أيما سعادة ؛ لأنه قال في نفسه : حتماً لن أُرهب هؤلاء ، فإن يهاجمنني جميعاً أبداً . وسوف أقوى على إفتراسهنَّ واحدةً تِلْوَ واحدةٍ . وإن ذلك سيكون أسر عليّ من صيد صغار الطير وحسب ، كما هي عليه الحال ، حتى الآن . ومنذ ذلك الحين والصقر (الطير) يأكل (الحباري) .

وتسخر الحُبَّارَى من الصقر قائلة : (أنا الحُبَّارَى ، بَارِضٌ قَفَّارًا ، حِسَّ الرُّعْيَانُ يَقْفَرُني ، ما تَقْوَانِي يا مَسْكِينِ !) أي : أنا الحُبَّارَى ، بَارِضٌ قَفَّرٌ ، أصوات الرعاة تُورِقني ، لن تستطيع قهري أيها المسكين ! . فيجيب : (أنا حَرٌّ لِكَ ، مذكور لِكَ ، مَكْحُولُ العَيْنِ بِنَا نِيلِ !) أي : أنا الآمِرُ عَلَيْكَ (٢٢) ، لي عينان حادَّتان جدًّا مع أنني لا أكملهما .

الحُبَّارَى : (أنا الحَيَّةُ ، تَحَتَّ الصُّفْيَةُ ، ما تَقْوَانِي يا مَسْكِينِ !) أي : أنا الحيةُ تحت الصُّفْيَةِ (تصغير الصفاة) ، لن تفهمني أيها المسكين .

الصقر : (أنا القَرَّايُ ابْنُ القَرَّايِ ! أَقْرَأِ الحَيَّةُ ما نَجِينِي) . أي : أنا القارِئُ ابْنُ القارِئِ ، أَقْرَأُ القرآنَ على الحية فلا تمسني بِسوء (٢٣) .

الحبارى : (أنا السَّحْلَةُ^(٢٤) ، بِرَّاسُ النَّخْلَةِ ، ما تقواني يامِسْكِينِ ! .
أي : أنا التمرة برأس النخلة ... إلخ) .

الصقر : (أنا الرِّقَايُ ابْنُ الرِّقَايُ أَحَسُّكَ الشوك بسكيني !) أي : أنا
راقي نخل ابْنُ راقِي نخل ، أخضيد الشوك بسكيني ! (أي وأصل إليك) .

وتستوطن النعام النُفُود ، بصفة رئيسة ، ولا سيما الجزء الشمالي الغربي منه ،
وكذلك غرب (العَلِيم) ، وفي ضواحي (الطَّوِيل) ، وفي (العَرِيق) .
وفي (الغُوبِطَه) . وتذهب النعام في الفصل الجاف بعيداً إلى الشمال ، فتصل إلى
أماكن نائية كضواحي تَدْمُر مثلاً .

ويُدعى الذكر (ظَلِيم) أو (مُظَلَّل) لكون ريشه رمادياً قائماً ، وتُدعى
الأنثى (رَبْدَا) ، والصغار (رِيلان) .

وتبيض الأنثى في فصل السَّمَك من عشر بيضات إلى ثلاثين في أداحي غير
عميقة في الرمل . ويدعى كَوم بيض النعام (دِحْو) . وحالما توضع البيضة الأولى
تبدأ حراسة الأُدْحِيَةِ ؛ ويقول الرواة : إن الذكر يحرسها نهاراً بينا تطعمها
الأنثى ، وتقوم هي خلال الليل بالحراسة . وإذا وضعت البيضة الأخيرة دَحَرَجَتْ
ثلاث بيضات أو أربعاً على بعد خطوة واحدة من الأُدْحِيَةِ . ولا يُعير الطائر
هذه البيضات اهتماماً ، بل يقلب البيضات الأخر ، ويحجم عليها خلال الليل
ويُدْفِئُهَا . أما الذكر - الذي يظل عند الأُدْحِيَةِ أثناء النهار - فلا يحجم على البيض
لأن الشمس تُدْفِئُهَا ، لكن الأنثى تقيها برودة الليل بجسمها وريشها . ويقال :
إن البيض يفقس بعد واحد وعشرين يوماً ، وإذا ذاك بنقر الذكر البيضات المتروكة
جانباً فيفتحها واحدةً بعد واحدة ، ويدع الطيور الصغيرة تَطْعَمُ محتواها .
فإذا فرغت من أكل ما في تلك البيضات ذهبت إلى المرعى تحت حماية أبويها .
وتقودها دائماً أمُّها ، بينا يسير أبوها وراءها ، ويحميها من الذئاب والضباع
والنُسُور .

وللنعامة حاسةُ سمعٍ قليلةٌ جداً ، لكنها ممتازةُ البَصَر . ويكون صيدها
أيسرَ قرب أدحيّتها . وإذا لم تكن ثمة رِيحٌ فإنَّ أثر النعامة يكون يبيّنًا جداً في
الرمل . ويتقفرُها الصياد ، مخبئاً وراء كل شجيرةٍ ، زاحفاً على بطنه ، وبذلك
يدنو منها . وإن أحست الأنثى ، من بعيدٍ ، بأية حركةٍ مشبهةٍ بها من الشجرة
أو القانص فرّت بالسّرْب كله ، فلا يكون حتى لأسرع الجياد طاقةٌ باللحاق بها
في الرمال . أما قرب الأدحية فإن القانص يرمي الطير التي يطاردها خلسةً . وشحم
النعامة المعروف بـ (الزَّهيم) علاجٌ لأسقامٍ شتى .

● (القَنْدَرَه) : طائر قرنفلي اللون ، في نحو حجم الدجاجة . يطير طيراناً رديئاً ،
ويعدو عدواً أخرق . ويستوطن النفود وحسب ، وبخاصة المنحدرات ذات الميل
الشديد المحيطة بالحُفَر .

● (القَطْرَه) : أكبر من الحبارى . وهي قليلة الطيران جداً . وإن هاجمها
الصقر استلقّت ودافعت عن نفسها بمخالبها .

● (الطَّرْشَه) : طائر قائم اللون ، في مثل حجم البطة الصغيرة . تعيش أزواجاً
وحسب في (الحماد) . وهي صماء لا تسمع البتة .

● (البَوَّه) : في مثل حجم نصف القندرة . وثمة نوعان منها يستوطنان الحماد :
(الكيدري) منهما هو الأكبر والأكثر سواداً .

● القطا : وتعيش داخل الصحراء طالما كانت الغدران والبرك الطبيعية مكتظةً
بمياه السيول ، فإذا جفّت هاجرت إلى طرف الصحراء على مسافة مئة كيل (كيلو
متر) من الماء العبد (الذي له مادة لا تنقطع) .

والقطا ، و (الحجل) - انظر الصفحة التالية - . والحمام هي الطيور الوحيدة
التي ترد الماء بانتظام بعد شروق الشمس وقبل غروبها .

ولا تضع القطاة بيضها قرب مورد ماء ، بل في وادٍ ناء تغطيه الأعشاب

والشجر ، فتحفر حفرة صغيرة قرب شجرة ، وتضع ثلاث بيضات أو أربعاً رمادية اللون ، وعليها نقط قاتمة ، وتكون في مثل حجم بيضة الحمامة . وترك هذه الطيور أفاحيصها فقط عندما تطير نحو المنهل ، وإلاّ فإنها تمكث دائماً على مقربة منها .

ويكون في مثل تلك الأودية عادةً ألف أفحوص في الأقل . وإذا فقت الصغار شرعت تعدو هنا وهناك كالفراريج الصغيرة التي تفوق الحصر ، وتبحث عن البذور .

ولا تطير القطاة وحدها أبداً ، بل دائماً ضمن سربٍ وإذا لم يتحتو السربُ أكثر من عشرة من الطير فإنه يعرف بـ (فيرس) ، وإلا فهو (رَف) .

ويعبر البدو عن دهشتهم من أن القطاة حين تطير نحو منهل ، حتى إن كان على بعد مئة كيل (كيلومتر) لا تنبه أبداً ، ولا تنحرف عن الخط المستقيم ، ولذلك يقولون عن الدليل البرت الحاذق الذي يعرف القلاة المنبسطة معرفة ممتازة إنه (دليل قطاوي) .

والقطاة مغرمة كثيراً بدخول الأحياء حيث تبحث عن الحبوب .

ويعلم بوصول القطا مباشرة في طول الخي وعرضه ، لأن سماع هتافها : (قطا قطا) ممكن دوماً .

ويقول البدو : (جانا القطا له فرقطة ، لا بارك الله بالقطا) . أي : جاءنا القطا له صياح شديد ... إلخ .

و (القيروان) ضرب من القطا ، لكنه أصغر منه . والنصف الخارجي من جناحه أسود .

● الحَجَلُ : ولا تستوطن إلا منخفض السرحان حيث يتوفر الماء في كل مكان . وتكون أسراباً من ثمان إلى ست عشرة . وتكمن تحت الأشجار في الأيام الحارة .

ويدعو الذكر سربه كله بصياحه : (قُور ، قُور ، قُور) ، وبذلك يتنبه السرب فيخرج طائراً ، لكنه سرعان ما يعود ثانية ويختبئ .

وإذا أراد بدوي منعها من الفرار صاح : (حَوَّجِلُوا ، حَوَّجِلُوا !!) .

● (الثَمَرِي) : ضرب من الحجل ، صغير الحجم . ولا يعيش هذا النوع في أسراب ، بل أزواجاً ، وتطير طيراناً حسناً .

● (السَّمَقَمَق) : طائر ذو لون رمادي قاتم ، في مثل حجم الحمامة الصغيرة . وهو طويل العنق والساقين . ويقتات السمك في البحيرة القريبة من (الأزرق) .

● (الصَّبْرِي) : يجمع الحبوب والحشرات ، لكنه ينقر صغار الجرذان واليرابيع أيضاً .

● (ذَبَّاحُ أُمِّهِ وَأَبُوهِ) : أي قاتل أمه وأبيه . وهو المدهد .

(السَّمُونَه) : طائر صغير رمادي قاتم . يتسلل بين الشجيرات .

● (الفَسِيْسِي) : طائر صغير ذو بطن أبيض ، وظهير أسود . يطير على رؤوس الشجيرات والأشجار وحسب .

● (الصَّغُو) : طائر صغير شبيه بطائر الحسون (أو العصفور الدوري Finch) عندنا (أي في شرق أوروبا) . ويميل ضرب منه للصفرة ، ومنه ضرب أسود ، وآخر أبيض .

● (الجَرَجَرَه) .

● (الشَّعْبِلِه) .

● (الرَّقِيْعِي) : الخطَّاف ، أو السنونو (Swallow) .

● (الصَّفَارَى) .

● (الذَّهَيْنِ) : طائر بُنِّي اللون ، قائمه . أصغر من الهدد .

● (السَّمَرُمر) .

● (مِلْهِيَّةُ الرَّعِيَانِ) .

● (أمّ طويق) : القُمرِيَّة . وتستوطن الواحات دون سواها .

● (الخُضَارِي) : يستوطن بساتين النخيل دون سواها .

● (المَقْتَطَع) : يأكل الرطب .

● (أمّ سالم) : طائر صغير لونه لون الرماد . وهي تطير دائماً قرب الإبل . وإذا طارت على ارتفاع عَشْرَةِ أمتارٍ أو خمسة عشر متراً بدأت تَشْرِقُ فتَهبط في الحال . وصوتها جميل جداً .

جاءت أمّ سالم مرةً إلى النملة ، وسألتها : (أعطيني عَشَاءَ لأطفالي !) . فتخلصت النملة منها قائلة : (إليك غني !) ، أنا هَمِّي الحُصَايِدُ ، وإنتِ هَمُّكَ القَصَايِدُ ! (. أي : حين كنت مهتمةً بجمع الحبوب من الحقول الحصيدَة ، كان كلُّ هَمِّكَ الغناء وترديد القصايد . فأجابتها أمّ سالم : (أنا يُومٍ من أيام طُرْبِي ، يَسْئُوك يا مَحْرُوقَةَ الذَّنْبِ !) أي : إن يوماً واحداً من أيام أنسي لخير منك يا ذات الذنب المشدود ! .

الزَّوَاحِف :

يُسبِدي الرَّوْلَةُ اهتماماً أكثر بما يلي من الزواحف :

● الضَّبُّ : ويعرف أيضاً بـ (أبو حَمَد) . وكثيرون لا يعدونه من الزواحف ، لأن له أربع أقدام يستطيع استعمالها جيداً .

والضب ضرب من السحالي كبير الحجم ، وله سبع فقرات ، وخمسة أظافر في كل قدم . وذيله أطول من جسمه الحقيقي .

وهو يقتات النباتات وحسب . ويهوى الاضطجاع في الصدوع التي بين الصخور .

ويحرص البدو حرصاً شديداً على تقفّره ، وإذا صادوه قلبوه ظهراً لبطنٍ لِيُذَكُّوه ، فيرفع يديه ليحمي نفسه . ويظل لحم الضب الذبيح يرتعش طويلاً . وطعم لحم الضب لذيد .

ويدفن البدو — في العادة — الضب في الرمل ، ويوقدون عليه ناراً ، وبعد نحو ساعة يزيجون النار والتراب عنه ، ويقلّبونه ، ويدفّنونه ثانية ، ويشعلون ناراً أخرى فوقه .

وقد كان الضبُّ أصلاً رئيس الزواحف قاطبةً ، لأنه هو أول من دعاها إلى الصلاة ، وعلمها كيف تركع وتسجد في صلاتها . ولما بدأ البشر في التكاثر بثَّ الضب عيونه في أوطانهم ليعرف ما لديهم من عتادٍ حربيٍّ ، وما الطريقة المثلى لخوض الحرب معهم . فأبلغته العيون ، الذين لم يكونوا غير أبنائه الحقيقيين ، ما رأت وسمعت ، فأدرك أن ليس في استطاعتهم محاربة بني آدم ، وأن من الخير له الاختباء عنهم . وتطبيقاً لذلك طفق يخفي ججوراً عديدة لنفسه ولأسرته الكثيرة العدد ، ولم يخبر سائر رعيته بشيء من ذلك . وكان جبينه كُله ، حين يعود من عمله إلى المجلس ، رمادي اللون لما عليه من طين وغبار . فلما سأله صحابهُ : ما الذي جعل جبينك رمادياً ؟ أجاب : الصلاة الدائمة التي أسجد أثناءها كما يجب . وذات يوم أقبل حرس الحدود يعدون صائحين : لقد أقبلت العرب بكلاهما وعتادها ! . فاخْتَبَأَ أبو حمّد وأسرته في الحال ، في الجحور المُعدّة ، فلم يمسس أياً منهم سوءٌ .

● الأفاعي : يقسم الرولة الأفاعي إلى : (حَيَّةٌ) و (دابّة) . وتطلق الكلمة الأولى على أية أفعى قصيرة ، والأخرى على أية أفعى طويلة سامةٌ كانت أو غير سامةٍ . ويستعمل الاسم الأخير دائماً في الشعر للشعابين السامة .

ومن بين الحيات القصار يخشى الرولة (الأفاعي) التي تستوطن المناطق الصخرية ، بالإضافة إلى (البترا) و (الحصف) اللتين تستوطنان الصحراء الرملية . ولا تزحف الأخيرة إلا في الليل ، وتدفن نفسها ، خلال النهار ، في الرمال فلا تظهر إلا أطراف رؤوسها .

ويختص (الحنّيش) من بين الحيات الطوال بكونه ساماً جداً . وطوله متر . وتغطيه بقع ملونة . ومن عادته العوم في البرك والغدران .

ويقيد الجلد الرقيق (السّلب) الذي تخلعه الحية في علاج أدواء العين المختلفة .

ويأكل الرولة كلّهم الحيات الطوال . ويطعمون الإبل التي تعاني من آلام المعدة المعروفة بـ (الغش) ، ومن نخر العظام (الرّسيس) ، لحم الحيات القصار .

● (الحرّذون) : وهو الخرباء . ويتشمس ، في الأماكن المشمسة ، ويهز رأسه للمارة .

● (ابا الطّحّيح) : وهو أصغر من الحرّذون ، ولا يستوطن إلا النفود حيث يجتبي في الرمل مبرزاً رأسه دون سائر جسده .

● (المّلس) : زاحف شبيه بالحرّذون . يوجد أيضاً بالنفود . وعليه بقع سوداء وحمراء . والشيخ الذين يعانون من العنة يأكلون لحمه بعد تجفيفه في الشمس وسحقه .

● (السّليمانّي) أو (الجليمانّي) ، و (الحبّسنّيّه) : ضروب من السحالي غير مؤذية .

(البعرّضي) أو (البيرّصي) : سحلية سامّة من سحالي النفود . وإذا عضّ إنساناً بات الإنسان ضجيراً ، فلا يستطيع اللبث في مكان واحد ، فإن كان مضطجعا في الظل حنّ إلى الشمس ، فإذا حمل إلى الشمس أراد الظل . ومن هنا

يقواون فيمن يعدو من مكان لآخر : (هُو قِيرِيصُ البِرِيصِي ؟) أي : أَلَدَغَهُ
بِرِيصِي (سامٌ أبرص) ؟ .

● العقرب (٢٥) .

الحشرات :

تزور الحشرات التالية بلاد الرولة :

● العنكبوت : وهي سامة .

● النحل : وتكون في الأقاليم الصخرية بخاصة . وهي مخلوقات ضئيلة الحجم ،
ولدغتها ضعيفة . ولِعَسَلُها طعم حامض .

وإن وجدَ شخصٌ خَشَرَمًا من النحل (٢٦) حاول الوصول إلى العسل .

وهناك لغزٌ شائع : (قافِرُ الأرضِ مرعاها ، وما ذاق الناسُ لَحْمَها ،
الا وَلَدَها يا كِلَهْ كِلَ مِنْ جَاهْ) أي : قَفَرُ الأرضِ مرعاها ، ولم يذق الناسُ
لحمها ، لكنْ وَلَدَها يأكله مِنْ جِئاءِ الجِوابِ : النحلة .

● (القَعِيسِي) : صنف من كبار النمل . ويعرف أيضاً بـ (شيخ النمل) .
وهو موضوع اللغز التالي : (ياكِلُ الشَّعِيرُ ، ولا هو بَعِيرُ ، ياكِلُ التَّيْنُ
ولا هو حُمَارُ ، يَخْرُقُ الدَّارُ ولا هو فارُ ، أسود اللَّيْلُ ولا هو لَيْلُ) .

● النمل : وهو الـ Ant العادي . وهناك منه ثلاثة أصناف : (طَيَّارُ) ،
و (فَرَسِي) . و (ذَرَّ) .

● الارَضَه : قارضة الخشب . حشرة صغيرة أكبر من النملة قليلاً . وتأكل
كل ما تصل إليه .

التعليقات

- (٥) هذا فصل من القسم الأول من كتاب (أخلاق عرب الرولة وعاداتهم) للمستشرق التشيكوسلوفاكي ألويس موزل (١٨٦٦ - ١٩٤٤م) الذي يقوم الكاتب بتعريبه ، كما يقوم بتعريب القسم الثاني الدكتور عبدالله بن علي الزيدان . وهو الفصل الثاني في الكتاب وعنوانه هناك : (الحيوانات) . وقد أضفنا هنا (في بلاد الرولة) ، والمقصود ببلاد الرولة الأراضي التي يقطنونها في شمالي بلاد العرب ، ويقع بعضها في الوقت الحاضر في المملكة الأردنية الهاشمية ، ومنها منطقة (الريشه) .
- (١) فراغل جمع فربل ، وهو ولد الضبع .
- (٥) مخاطبة الضبع بمثل هذا الكلام معروف عند العرب قديماً ففي كلام للإمام علي : أتريد أن أكون كالضبع التي يحاط بها ويقال : دباب ، دباب ، ليست هاهنا ! حتى يخل عرقوبها ثم تخرج « تاريخ ابن جرير » : ٤٥٦/٤ طبعة دار المعارف بمصر (العرب) .
- (٢) إن الاعتقاد الخرافي بنفع بعض الأشياء إذا علقت على عضو ، أو ربطت به سائد للأسف في كثير من المجتمعات الإسلامية . ونشاهد في الوقت الحاضر ، بعض المسلمين يربطون بأصابعهم مثلاً أو حول سيقانهم خيطاً معتقدين فيه درء ضرر ما . ولا ريب أن شيوع الوعي والاطلاع على مصادر الشريعة كفيل بمحو أمثال هذه الخزعبلات .
- (٣) الفيول Viol نوع من آلة الكمان الموسيقية .
- (٤) في الأصل : (والقعود من هذا النوع) . فقد سقطت كلمة Skin أي جلد قبل «The Young Camel» .
- (٥) الوحيد : ضرب من سير الإبل .
- (٥) : هذا بيت من الشعر ، صدره مختل الوزن . وكلمة (ياوي) فيما يظهر للتعجب والاستحسان (العرب) .
- (٥) لحم الثعلب حرام أكله ولا يأكله من البادية سوى الصلب ، وكذا النيص والقنفذ والحردني ، أما الخنزير فلا يأكل لحمه المسلم . والصقير من جوارح الطير فلهذا لا يؤكل لحمه .
- (٦) كذا ترجم المؤلف العبارة إلى الإنجليزية ، والاختلاف واضح بين النصين ، ومعنى آخرها : لم تنكر وتنسى الجميل ؟
- (٧) أي لخوفها منها فإنها تترامى لها حتى في الأحلام .
- (٨) ترجم المؤلف كلمة (الشرما) بـ (البيضاء) ، وهو وهم .
- (٩) هذا تعريب ترجمة المؤلف لمعنى (ضفيه) ، مع أن المتبادر إلى الذهن أن المقصود (ضافية) أي (سابغة) . فلعل الكلمة (دفيه) لا (ضفيد) كما وردت في الأصل .
- (١٠) ترجم المؤلف (داعي البلية) بـ (داعي الإبل) ، وهو وهم ظاهر .
- (١١) إن من يعرف البادية لن يصدق مثل هذا الزعم البتة ، فمهما فشا الجهل بين القوم فلن يصل بهم إلى جهل أن هذا اللحم محرم بنص الكتاب !
- (٥) (وهذا من الخرافات المحرمة شرعاً - العرب) .
- (١٢) الحردني : الحرد . وهو ضرب من الجرذان ، متوسط الحجم عادة .
- (١٣) ما بين المعقوفين إضافة ضرورية ، إذ سقطت من الأصل ترجمة (مع عشرة) سهواً كما يبدو .

- ومعنى العبارة : إنني أكفي لإطعام أربعين شخصاً ، دون أن تكون قوائمى ضمن لحمي المقدم لهم .
(وكلمة قصائمي عند عامة أهل نجد : قصاميلى : أرجل الجراد وأجنحته - العرب) .
- (١٤) هذا البيت أصله بيت من الشعر العربي الفصيح معروف سائر على الألسن ونصه :
إذا حلّ الثقل بأرض قوم فما للساكنين سوى الرحيل
(وكذا الأربعة الأبيات التي قبله . وفيها تحريف أهل بوزنها) .
- (١٥) من عادة المسلمين على اختلاف أعمارهم ذكر الله عند الثعثر أو السقوط ، ولا معنى لأن يخص الأطفال في هذه الحكاية الخرافية بذلك .
- (١٦) الرقيمي : طائر بحجم العصفور . وسيرد ذكره في آخر هذا الفصل حيث قال عنه المؤلف بأنه (الخطاف) أو (السنونو) .
- (١٧) البيزة والبزده : تربية الصقور والصيد بها .
- (٥) مختل الوزن ويستقيم صدره (حتى نجي بين السلف) - العرب .
- (٥) وهذا مختل الوزن أيضاً .
- (٥) اسمه كما سمعته في البادية : مسح الریشان ولكنهم يدغمون الميم الأولى بالثانية ويشددونها ، لأنه وقت طيرانه حين يشاهد ما يصيد يقرب من الأرض فيميل جناحه حتى يكاد يمسحها . والريشان عندهم جمع روضة عند العامة - العرب) .
- (١٨) هذا بطبيعة الحال ، حسب ماهو شائع لدى الرولة .
- (٥) المعروف عند عامة أهل نجد أن الحلم كيار القردان ، لا صفارها ، وإن ورد في كتب اللغة القول الأول ، والصواب ما ورد عن الأصمعي وهو من أعلم العلماء بأحوال البادية ، انظر مادة (حلم) في « تاج العروس » - العرب) .
- (١٩) شرح المؤلف العبارة بما ترجمته : احذر الخيريز - تصغير الخراز - ! إنه سيخز هاتك ! . وقد ابتعد عن مدلولها . فهي دعاء عليه لا تحذير له .
- (٥) التشاؤم بالغراب - أو التفاؤل برؤيته - من عادات أهل الجاهلية التي أبطلها الإسلام - العرب) .
- (٢٠) جنه : جنبها : أي جنبها . يحذف الرولة ، كثيرهم من أهل شمال الجزيرة ، بل وحتى حائل والقصيم ، ألألف من هاء التثنية ، ويقفون على الهاء .
- (٢١) تستعمل (حبارى) في اللغة العربية للمفرد والجمع والمذكر والمؤنث . انظر لسان العرب (حبر) .
- (٢٢) هذا تعريب ترجمة المؤلف الحرفية للعبارة ، وكلمة (حر) لا تعني (أمر) بل : (أصيل) أو (نبيل) .
- (٢٣) كانت ترجمة المؤلف للعبارة بما تعريبه : أنا ساحر حيات ! ابن ساحر حيات . أسحر الحية فلا تؤذيني ! (!!) .
- (٢٤) وردت (سحله) في الأصل هكذا (Shala) أي (سحله) . لكن أنى للسحلة بفرع النخلة ؟ . ثم أن المؤلف ترجمها بـ (التمرة) والتمررة يقال لها (السحله) وهي قريبة لفظاً من (السحله) لكن (السحله) هي الإناء لا التمرة ، كما ترجمها المؤلف . و (السحله) لا تؤلف بحجة مع (النخلة) .
- (٢٥) هكذا أورد المؤلف المقرب ضمن الزواحف ، والأولى أن ترد مع الحشرات .
- (٢٦) الخشرم : جماعة النحل ونحوه .

رحلة الوزير الشرقي الإسحاقي المغربي إلى الحج سنة ١١٤٣ هـ

- ٣ -

ومكة شرفها الله بلدة قد وضعها الله بين جبال مُحَدِّقَةٍ بها ، وهي في بطنِ وادٍ مقدس ، كبيرة مستطيلة ، تسع من الخلائق عدداً لا يحصيه إلا الله عز وجل ، قال ابن جبير الغرناطي^(١) بعد ما ذكر كثرة ما يجتمع بها من الركاب الوافدة إليها من سائر الآفاق في أيام الموسم كلها ما نصه : فمن الآيات البينات أن يَسَعَ هذا الجمع العظيم هذا البلد الأَمِينُ ، الذي هو بطنُ وادٍ سَعَتُهُ غَلَوَةٌ أَوْ دُونُهَا ، ولو أنَّ المدن العظيمة حَمَلَتْ عليها هذا الجَمْعُ لَصَاقَتْ عنه ، وما هذه البلدةُ المكرمة فيما تختص به من الآيات البينات في اتساعها لهذا البشر المعجز إحصاؤه ، إلا كما شَبَّهَتْهَا العلماء حقيقة في أنها تتسع لوفودها اتساع الرَّحِمِ لمولودها ، وكذلك عرفات وسائر المشاهد العظيمة بهذا البلد الحرام ، عظم الله حرمة ، ورزقنا الرحمة فيه بكرمه وفضله .

ومن عجيب أمرها شرفها الله ، ما جعل الله لها في قلوب عباده من المحبة الصادقة التي تحمِلُهُمْ على الوفاة عليها ، واعتقاد العودة إليها ، ولو كان لهم في ذلك ضَرْبُ الرِّقَابِ ، وذهابُ الأموال ، وتقطعُ الأسباب ، تسرق القلوب ، وتسبي عقول ذَوِي النُّهَى ، حتى يقولوا : ما مَسَّنَا من لُغُوبٍ ، فالفأب عنها متشوقٌ إلى رؤية مغناها ، والقاطن بها لا يملُ سَكْنَاهَا ، ولا يتبرم من عيشها ، ولو كان يَمُصُ فيه النَّوَى ، ويراه العيشة الراضية أعلاها لا أدناها ، متاعاً إلى حين ، ولو دام على هذا الضنك سنين ، على أنها كما قال الله عز وجل ﴿ غَيْرَ ذِي زَرْعٍ ﴾ فالمؤمن لا يضيق له بها ذرع ، يَسْتَسْهِلُ في ذلك القرب وتلك القرية مَضْضُ الغربة ، وما يلقاه فيها من عَرَقِ القرية ، وفي أهلها بعض جفاء ، والتواء عن الأحكام المشروعة ، وإذابة للحججاج ، وإن كانت

ممنوعة ، وشكاسة أخلاق ، تُخلِّقُ ثوبَ المروءة ، أيَّ إخلاق ، وأهل المدينة المشرفة خيرٌ منهم ، فيما يؤثر عنهم ، لو كانوا يعلمون ، والمدينة أفضلُ ثم مكة مما قاله العالمون ، وقد شاهدنا من صعاليك الحجاج ، الذين لا يملكون بَغْلَةً ولا بَلْغَةً ، ولا يجدون من العيش بُدْغَةً ، من يقول : له حجتان وثلاثة حجج ، وأكثر ، وهو على تلك الحال في الحلِّ والترحال ، سوى ما ترشَّحُ له بَعْضُ أَكْفُ المتصدقين ، وقليل ما هم ، وهو مع ذلك لا يملُ من الثواء ، ولا يكوِّده حر الصيف ، ولا يبرِّد الشتاء ، ولا يخلُّو الرُّجُل من المداس ، والبدن بما بقي من اللباس ، ما آبَ مِنْ سفرٍ إِلَّا وأزْمَعَهُ ، موكَّلٌ بِفِضَاءِ الأَرْضِ يَنْدَرَعُهُ ، فما يُسَلِّم على أهله حتى يُودَّع ، على بعد المرجع ، وما ذاك إِلَّا حكمة من الله وتصديق لدعوة نبيه إبراهيم عليه السلام ، هذا مع قيام أسباب آخر نُسيحٍ أو توجب التأخرَ عن الحج في هذه الأزمنة من عادية الأعراب ، وامتهان الترك للحجاج ، وإذْلالِهِمْ لهم في المصادر والموارد ، ومصادرتهم في الأموال والأمتعة ، وقبض الخراج منهم عَنْ يَدٍ وهم صاغرون ، وقد شاهدناهم - قبح الله سعيهم - وَكَلُّوا على مُمَّاكَسَةِ الحجاج على أحمالهم يهودياً من اليهود ، وقبض ذلك مَرَّتَيْنِ ، وربما احتاج - لعنه الله ولعن من وجهه - إلى كشف بعض الخيام ، بل إلى الحُرْم ، لاستخراج ما عسى أن يكون قد غُيِّبَ من الأحمالِ ، التي يُشْبِثُ نَهَايَتَهَا في ديوان المكوس ، التي لا ترضيها أطايبُ النفوس ، ويكفيهم مهانةٌ وقلَّةُ ديانةٍ ، اتَّخَذُوهُمْ بَيْتَ الله الحرام سبيّاً للمعيشة الحرام ، بما يتساقطون عليه ، ويتهافون عليه عند وُلايَتِهِمْ وأكابر مجرميهم ، من طلب التولية على الأعمال المكسية ، التي يزعمون أَنَّهَا قوام كسوة الكعبة المرضية .

وإذا كانتِ النفوسُ كِبَاراً تَعَبَتْ في مُرَادِهَا الأَجْسَامُ هذه قريش في جاهليتها ، عندما أرادوا أن يبنوا البيت الحرام ، تعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يُدْخِلُوا في بنائه مالا حراماً ، فبالله من هذه الأوباش ، أراذل الغُرِّ الذين اتخذوا مال الله دُولاً وعباد الله خَوَلَاءَ ، قطع الله دابرهم ، والحق بأولهم إلى العذاب آخريهم ، وقطع بدعهم بسيف الأشراف ، أهل البيت الذين تولى الله تطهيرهم تطهيراً .

لطيفة - نزل الركب بعض المعاطن المسماه عندهم بالبندار ، فقام إليه الغزُّ واحتجزوه وحجروه عن المغاربة ، حتى لا يصل واحدٌ منهم إلى شربة ماء ، حتى يَرَوُوا وتَرَوَى إبلُهم ودوابهم ، فتقدم جماعة من أعيان الركب إلى شيطانهم المسمى بسطانهم ، فرغبوا إليه أن يخصصهم ببئر واحدة ، أو بناحية منها يدلون فيها دلاءهم مع الغز ، فأنعم لهم بذلك ، وعين لهم بئراً ، فما تلبث المغاربة بها يستقون إلا يسيراً ، حتى أقبلت إليهم الغزُّ ببالعصي والدبائيز والسيوف ، فأزاحوهم عنها ، واحتازوها لأنفسهم ، وصعاليك الحجاج المغاربة رجالاً ونساءً ، يستقون فما يُسْقَوْنَ ، وكنت أنا عبدالله لما تأخرت عن السقاء بهذا المنع ، ورأيت صبيّاً لنا صغيراً يتلوى من العطش ، أخذت ديناراً من الذهب ، أريد أن أشتري به شربة ماء من البندر ، فما وجدتها ، فلما أعياني الطلاب ، جئت أمير الحاج المصري وقمه الله (٢) - اعني الأمير - وهو يعرفني ، ووجدته قاعداً على حوض ، والأولى (؟) تختلف بين يديه على حوض يسقي إبله ، فقلت له : يا أمير احتجنا شيئاً من الماء ، والله ما وجدناه حتى بالشراء ، وأريتُهُ الدينار ، فضرب بدقنه إلى الأرض ، وأولاني أذنّاً صمّاً ثم عاودته ، وقلت له : أنت أمير وتعرفني ، أنا طالب علم ، وأيضاً أوجب وأسبق ؟ حرمةُ الآدميِّ أو الحمل ؟ فاستنكر مقالتي ، وأخذته العزة بالإثم فانصرف عنه ، وبنفس ما وكّيتُ عنه أمرَ الغزِّ وأغراهم بالمغاربة وذادوهم ، كما تزداد غرائب الإبل عن الماء . فهذا بعض ما رأيتُ من قساوة قلوب هاؤلاء الأعاجم ، وقلة مبالاتهم بالمسلمين ، وما أراهم إلا يقولون في أنفسهم مقالة ملاعين اليهود ، وأهل الجحود والتغيير والتبديل ﴿ ليس علينا في الأميين سبيل ﴾ قلت : فمن قال من علماء المغرب والأندلس بسقوط الحج عن أهل بلده واعتقده ، فاعتقاده صحيح لهذه الأسباب ، وإيماً يُصنَعُ بالحجاج ، ممّا لا يرضيه الله عز وجل قد أوجدَ الرخصة فيه على غير هذه الحال ، فكيف بارتكاب المخاوف والأوجال . قلت : وفي « مناسك الحج » للشيخ خليل ما نصه : وتُشترط في الاستطاعة الأمنُ على النفس والمال من لصٍّ أو مكّاسٍ ، إذا كان يأخذ ما يُجْنَحُفُ به . وفي سقوطه يأخذ المكّاس ما لم يُجْنَحَفْ قولان ، ورجح

بعضهم عَدَمَ السقوط ، وقال أيضا : وبعضهم يعي المسافرين للحج يرى أن نفس السفر مُبِيحٌ للتيَمُّمِ ولو كان على الماء ، وهو جَهْلٌ عظيم ، بل بعضهم يتساهل في الصلاة بالكلية ، وليت شعري كيف يترك خمس فرائض كُلَّ يوم مِثْلَ يوم لفريضة واحدة ، بل بعضهم إنما هو في غير الفريضة ، حتى تجد بعض الناس إنما يفعل ذلك عادةً أو فرجةً أو صناعةً أو ليقول : لي كذا وقفة ، وكان سنة كذا وكذا وسنة كذا وكذا انتهى . قلت : وقول الشيخ رحمه الله مئة يوم يعني - والله أعلم - فيمن حَجَّ من مِصرَ لأن ذلك حسابهم في أيام سفرهم للحج ذهاباً وإياباً ، لا يزيدون عليها ولا ينقصون ، وهم على ذلك إلى الآن ، وإنما إذا اعتبرت من يحج من المغرب أو من غيره فحسابه غير يسير ، وحسابه على ذلك التساهل في شأن الصلاة ، ولو تأخيرها عن وقتها عَسِير ، وقوله : أو صناعة من الناس من يحترف بالسفر إلى الحج ، فيسافر خدماً أو قِسْماً أو عكَّاماً أو ضَوَّيَّاً ، أو غير ذلك بأجرة معروفة ذهاباً وإياباً ، ورأينا بعض مَنْ هذه حرفته من المغاربة ، يخدم من مصر إلى مكة ، ومن مصر إلى طرابلس ، ثم يرجع إلى مِصر ، ويقعد بها أو يبتديء سفره آخر إلى الحجاز ، وهذه عادتهم ، ودَيْدَنُهُمْ ، منهم من يحصل في ذلك مع متابعة الأسفار على شيء من الدنيا ، ويعمل منها رأس مال يستجير به ، ومنهم وهم الأكثر من لا يبارك له في شيء من ذلك ، وما حصل بيده في شهر أو أكثر يتلفه في ساعة أو أنزر ، وما رأيتُ متلفةً للمال مثل مصر ، فإنَّ شهواتها كثيرة ، ومفاسدَها والمعصوم من عصم الله .

قلتُ : ولتحقق المتحقق ، ويعتقد الصحيح الاعتقاد ، أنه لا إسلام إلا ببلاد المغرب ، لأنهم على جادة واضحة ، لا بُنَيَّاتَ لها ، وما سوى ذلك مما بهذه الجهات الشرقية فأهواء متشعبة وبدع ، وفرق ضالة وشيع ، إلا من عصمه الله من أهلها^(٣) ، أما أهل المغرب فعلى مذهب الإمام مالك ، في الفروع ، وعلى مذهب أبي الحسن الأشعري في الاعتقادات ، سالمين من الشبهات والنزعات ، والتشيعات والنزوات ، وعِلْمُ علمائه سالمٌ من التخليط ، والتدليس رواية

صريحة ، ودراية صحيحة ، كل عالم منهم فيهما رئيس ، يشاركون في العلوم كلها ، فقهاً وحديثاً وأصولاً وتفسيراً وإعراباً ، وغير ذلك ﴿ جزاء من ربك عطاءً حساباً ﴾ على أن المشرق اليوم فيما رأينا وخبرتنا ما بقي به من تشد إليه الرحال في طلب العلم ﴿ الله الأمر من قبل ومن بعد ﴾ .

رجع : ولمكة شرفها الله ثلاثة أبواب حسبما ذكره غير واحد : (٤)

أولها : باب المِعْلَى ، ومنه يُخْرَجُ إلى الجبَّانةِ المباركة ، وهي الموضع الذي يعرف بالحُجُون ، وعن يسار الماشي إليها جبلٌ في أعلاه ثنيةٌ عليها علم شبه البرج ، يخرج منها إلى طريق العُمرة ، وتُعرف تلك الثنية بِكَدَاء ، وهي التي عني حَسَّانُ بقوله في شعره :

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تَشِيرُ النَّفْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاء

فقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح للمهاجرين والأنصار : « ادخلوا من حيثُ قال حسان » فدخلوا من تلك الثنية ، وهذا الموضع أيضاً الذي يعرف بالحُجُون هذا الذي عناه الحارثُ بن مُضَاضٍ الجُرْهُمِيُّ بقوله :

كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُونِ إِلَى الصَّقَا

أَنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ

قلت : يَضْرِبُ المثلُ بغيرته وغربةِ قيس بن زهير ، قال الشاعر :
غُرْبَةٌ لَمْ تَكُنْ كَغُرْبَةِ قَيْسٍ بَنِي زُهَيْرٍ وَالْحَارِثِ بْنِ مُضَاضٍ
وقال المَعَرِّيُّ :

فَلَا يَبْكُ مَكِّيٌّ لِفَقْدِ حُجُونِهِ لِكُلِّ بِلَادٍ مَصْرَعٌ وَحُجُونُ

وبالجبَّانةِ المباركة مَدْفَنُ جماعةٍ من الصحابة والتابعين ، والأولياء والصالحين ، قد دثرت مشاهدُهم المباركة ، وذهبت عن أهل البلدة أسماؤهم ، وفيه الموضع الذي صلب فيه الحجاجُ بن يوسف - لعنه الله - عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قالوا : وكان عليه بناء مرتفع ، فهدمه أهل الطائف ، غيرةً منهم على ما كان يُجَدِّدُ من لعنة صاحبهم الحجاج المذكور ، وعن يمينك إذا

استقبلت الجبَّانةَ مسجدًا في مسيل بين جبلين ، يقال : إنه المسجد الذي بايَعَتْ فيه الحنُّ للنبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى الباب المذكور طريق الطائف ، وطريق العراق ، والصعود إلى عرفات ، جعلنا الله ممن يفوز بالموقف فيها ، وهذا الباب المذكور بين الشرق والشمال ، وهو إلى الشرق أَمِيلٌ .

ثم باب الْمَسْفَلِ وهو إلى جهة الجنوب ، وعليه طريق اليمن ، ومنه كان دخولُ خالد بن الوليد رضي الله عنه يوم الفتح .

ثم باب الزَّاهِر ، ويُعرف أيضا بباب العُمرة ، وهو غربي ، وعليه طريق مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطريق الشام وطريق جدَّة ، ومنه يُتَوَجَّهُ إلى التَّنْعِيمِ ، وهو أقرب ميقات المعتمر ، يخرج من الحرم إليه على باب العمرة ، ولذلك أيضا سُمِّيَ هو بهذا الاسم ، والتَّنْعِيمُ من البلدة على فرسخ ، وهو طريق حسن فسيح ، فيه الآبار العذبة التي تسمى بالشَّيْبِيكَةِ ، وعندما تخرج من البلدة بنحو ميل تلقى مسجداً بإزائه حجرٌ موضوع على الطريق كالمصطبة ، يعلوه حجرٌ آخر مُسَنَّدٌ فيه نَقْشٌ دائِرُ الرَّسْمِ ، يقال : إنه الموضع الذي قعد فيه النبي صلى الله عليه وسلم مستريحاً عند مجيئه من العمرة ، فيتبرك الناس بتقبيله ومسح الخدود ، وحقٌّ ذاك^(٥) ويشدُّون إليه لِيَتَنَالَ أجسامهم بركةً لِمَسِّهِ .

ثم بعد هذا الموضع بمقدار غلوة تلقى على قارعة الطريق من جهة اليسار للمتوجه إلى العمرة قَبْرَيْنِ قد علتَهما أكوام من الصخر عظام يقال : إنهما قبرا أبي لب وامراته ، فما زال الناس في القديم إلى هَلُمَّ جَرًّا يتخذون سنة رجمهما بالحجارة ، حتى علاهما من ذلك جبلان عظيمان ، وكنت حين توجهت للعمرة ، استصحبت معنا صبيّاً من أهل مكة ، بل هو تعلق بنا بِرَيْنَا أفعال العمرة على عادة صبيان مكة في تعلقهم بالحجاج ، رغبةً فيما ينالون منهم من الفضة ، فحين مررنا بالقبرين قال : تَعَالَ تَرَجُمُ ، وأنا رأيت أن الاشتغال برجمهما لا يُفيد شيئاً ، ولا ورد فيه شيءٌ من كتاب أو سنة ، والصبي عدَّ

ذلك الامتناع مني نقصاً إذ خالفْتُ المألوف ، ولو كان ذلك بمحضر جماعة من أهل البلد ، وخشيت الإنكار عليّ لفعلتُ ، إذ لا ينبغي للإنسان أن يرتكب ما يوجب طعنًا عليه ، لا سيما في أمر ليس في فعله محذور .

لطيفة - والشّيء يُذكرُ بالشّيء - ذكر بعض الأعلام من الأئمة المالكية أنه دخل بلدة السّدل (*) ، فيها من شعار الرافضة : قال : فكنت أقبضُ في صلاتي لئلاّ أرمي بالرّفص .

قلتُ : ويزعمون أن أحدَ هذين القبرين أبو رُغال .

قال العبدري^(٦) : ولا أتحقّقُ شيئاً من هذا ، فإنّ أبا رُغالٍ من ثقيف ، بعثه أهلُ الطائف دليلاً على الكعبة ، لإبرهنة ملك الحبشة ، حين أراد هدْمَها فلما نزل المغمّس مات أبو رُغالٍ ، فترجّم قبره هنالك إلى اليوم قلت : وقد قال جرير في مناقضاته للفرزدق :

إذا مات الفرزدقُ فارجمُوهُ كَرَجْمِكُمُ لِقَبْرِ أَبِي رُغَالٍ

قال العبدري^٧ : والمغمّسُ على يمين المصلّي بعرفة ، وليس منها بعيداً ، وقد سألتُ عنه شيخاً من أهل البلد ، فأشار إلى ناحية اليمن ، وأنت مُستقبِلُ القبلة ، وقد وهم فيه الأستاذ أبو القاسم السهيليُّ - رحمه الله - فذكر أنه من مكة ، على ثلثي فرسخ ، وذلك ما لا يصح . وليس المغمس من الحرم ، ولا وصل أصحابُ القيل إلى الحرم ، بل المرويّ خلافُ ذلك ، وهو أنهم لما نزلوا بالمغمّس برك القيل ، فكانوا إذا وجهوه إلى ناحية الشام ولى يهُرّول ، وإذا رُدّوا إلى اليمن فعل كذلك ، وإذا وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح ، وإن صحَّ الحديث الذي ذكره السهيليُّ وأنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أرادَ قضاء الحاجة وهو بمكة خرج إلى المغمّس على ثلثي فرسخ ، فمعناه أنه يخرج إلى ناحية المغمّس ، لا أنه يصل إليه ، ولعل التقييد بثلثي فرسخ إنما كان لمسافة المذهب ، لا لمسافة المغمس ، ولا يصح غير هذا والله أعلم . اللهم إلا أن يكون في الحرم موضع آخر يقال المغمّس ، غير الذي انتهى إليه أبرهة ، ومات به أبو رغال ، وما أظن ذلك كائناً والله الموفق .

وبعد ما تسير عن القبرين المذكورين مقدارَ مِيلٍ تَلْقَى الزَّاهِرَ (٧) وهو مبنى على جانبي الطريق ، وقد أُحْدِثَ فيه مطَاهِرٌ ، وسقاية للمعتمرين ، وعلى جانب الطريق دَكَّانٌ مستطيل يصف عليه كيزانٌ ومراكن مملوءةٌ للوضوء ، وهي القصارَى الصغار ، وفي الموضع بئر عَذْبَةٌ تُمَلَأُ منها المطاهر المذكورة ، فيجد المعتمرون فيها مرفقا ، وعن جانبي الطريق في هذا الموضع ، جبال أربعة ، جبلان من هنا وجبلان من هنا ، يُذَكَّرُ أَنَّهَا الجبال المباركة التي جعل إبراهيم عليه السلام عليها أَجْزَاءَ الطير ثم دَعَاهُنَّ ، حسبما حكى الله عز وجل عنه ، عند سؤاله إياه ، وحول تلك الجبال الأربعة جبال غيرها . وقيل : إِنَّ التي جعل إبراهيم عليها الطير سبعة منها والله أعلم .

وبعد مجاوزة الزاهر المذكور ، تمرّ بالوادي المعروف بذي طَوَى ، والذي حُكِيَ أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ، نزل فيه عند دخوله مكة ، وكان ابنُ عمر رضي الله عنه يغتسل فيه ، وحينئذ يدخلها ، وحوله آبَارٌ تعرف بالشبيكة ، وفيه مسجد يقال : إنه مسجد إبراهيم عليه السلام ، فتأمل بركة هذا الطريق ومجموع الآيات التي فيه ، والآثار المقدسة التي اكتنفته .

ثم تجيز الوادي إلى مضيق تخرج منه إلى الأعلام التي قد وُضِعَتْ حَجَرًا بين الحل والحرم ، فما داخلها إلى مكة حَرَمٌ ، وما خارجها حِلٌّ ، وهي كالأبراج مصفوفة كبار وصغار ، واحد بإزاء آخر ، وعلى مقربة منه تأخذ من أعلى جبل يعترض عن يمين الطريق في التوجه إلى العمرة ، وتشق الطريق إلى أعلى جبل عن يساره ، ومنه ميقات المعتمرين ، وفيها مساجدُ مبنية بالحجارة ، يصلّي المعتمرون فيها ، ويحرمون منها ، ومسجد عائشة - رضي الله عنها - خارج هذه الأعلام بمقدار غَلَوَتَيْنِ ، وإليه يصل المالكيون ، ومنه يحرمون ، وأما الشافعيون فيحرمون من المساجد التي حول الأعلام المذكورة ، وإنما مسجد عائشة - رضي الله عنها - مسجدٌ ينسب لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه -

(للحدِيث صلة) ←

المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية

- ٧ -

قَنَوْرُ

— بفتح القاف والنون والواو ، شدة وآخره راء — كذا ورد هذا الاسم مضبوطاً ضَبَطَ قَلَمٍ في مخطوطات كتاب « بلاد العرب » وهو غير الموضع المتقدم ذكره قال (١) — بعد ذكر الرمادة وتقدم تحديد موقعها — : (ثم بَيَّن طَوِيلُع والرمادة مائة يقال لها قَنَوْر ، وهي لبني مناف بن دارم) . انتهى .

وطَوِيلُع يعرف الآن باسم الضَّبْعِيَّات كما سبق إيضاح هذا ، والرمادة تقع غربه في أسافل الصَّمَّان .

→ الحواشي :

- (١) رحلة ابن جبير — ص ١٣٢ — طبعة دار الهلال في بيروت ١٩٨١ م .
- (٢) فوق كلمة (وقه الله) : كذا . وكان الكاتب استشكل الكلمة ومعناها : أذله الله وقهره .
- (٣) القول لابن جبير في رحلته — ص ٤٩ — إلى كلمة (من أهلها) .
- (٤) ملخص من رحلة ابن جبير — ص ٧٨ — إلى جملة : (وكنت حين توجهت للعمرة قد استصحبت معنا صبياً) .
- (٥) لا يجوز شرعاً تقبيل شيء من الأحجار — حاشا الحجر الأسود من أحجار الكعبة المطهرة — ولا دليل يثبت ما تتناقله العامة عن هذا الحجر وعن غيره من الأحجار التي تنسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولو صح ذلك لكان السلف الصالح أول من اعتنى بها .
- (٥) السدل إرخاء اليدين في القيام للصلاة ، والسنة وضعهما فوق الصدر والكف اليمنى فوق الكف اليسرى ، ولكن المالكية لا يرون هذا بل يرون سدلها على الجنبين .
- (٦) صاحب الرحلة وكلامه هذا فيها .
- (٧) رحلة ابن جبير — ص ٧٩ — إلى (لعل بن أبي طالب رضي الله عنه) .

المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية

- ٧ -

قَنَوْرُ

— بفتح القاف والنون والواو ، شدة وآخره راء — كذا ورد هذا الاسم مضبوطاً ضَبَطَ قَلَمٍ في مخطوطات كتاب « بلاد العرب » وهو غير الموضع المتقدم ذكره قال (١) — بعد ذكر الرمادة وتقدم تحديد موقعها — : (ثم بَيَّن طَوِيلِيعَ والرمادة مائة يقال لها قَنَوْرُ ، وهي لبني مناف بن دارم) . انتهى .

وطَوِيلِيع يعرف الآن باسم الضَّبْعِيَّات كما سبق إيضاح هذا ، والرمادة تقع غربه في أسافل الصَّمَّان .

→ الحواشي :

- (١) رحلة ابن جبير — ص ١٣٢ — طبعة دار الهلال في بيروت ١٩٨١ م .
- (٢) فوق كلمة (وقه الله) : كذا . وكان الكاتب استشكل الكلمة ومعناها : أذله الله وقهره .
- (٣) القول لابن جبير في رحلته — ص ٤٩ — إلى كلمة (من أهلها) .
- (٤) ملخص من رحلة ابن جبير — ص ٧٨ — إلى جملة : (وكنت حين توجهت للعمرة قد استصحبت معنا صبياً) .
- (٥) لا يجوز شرعاً تقبيل شيء من الأحجار — حاشا الحجر الأسود من أحجار الكعبة المطهرة — ولا دليل يثبت ما تتناقله العامة عن هذا الحجر وعن غيره من الأحجار التي تنسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولو صح ذلك لكان السلف الصالح أول من اعتنى بها .
- (٥) السدل إرخاء اليدين في القيام للصلاة ، والسنة وضعهما فوق الصدر والكف اليمنى فوق الكف اليسرى ، ولكن المالكية لا يرون هذا بل يرون سدلها على الجنبين .
- (٦) صاحب الرحلة وكلامه هذا فيها .
- (٧) رحلة ابن جبير — ص ٧٩ — إلى (لعل بن أبي طالب رضي الله عنه) .

قَوّ

بفتح القاف بعدها واو مشددة - : في «معجم البلدان» : وقال أبو زياد الكلابي :
 قَوّ واد بين اليمامة وهجر ، نزل به الخطيئة على الزبرقان بن بدر ، فلم يُجهّزه فقال :
 أَلَمْ أَكُ نَائِباً فِدَعَوْتُمُونِي فَخَانَتْنِي الْمَوَاعِيدُ وَالِدُعَاءُ
 أَلَمْ أَكُ جَارِكُمْ فَرَكْتُمُونِي لِكَلْبِي فِي دِيَارِكُمْ عُوَاءُ
 أُحِيلَ عَلَى الْخَبَاءِ بِيْطَن قَوّ بنات الليل فاحتُمِلَ الْخَبَاءُ

وعد الهمداني^(٢) في ديار تميم : قَوّين ، وقرار قَوّ . وقال في وصف طريق
 البحرين إلى اليمامة ، بعد أن ذكر الصمان^(٣) : ثم ترجع إلى طريق زَرْيٍ قاصداً إلى
 اليمامة ، عن يسارك الدُّبَيْبُ ماءً ، وأنت جائر الصَّحْصَحَانِ ، وعن يمينك ماء
 يقال له الدُّحْرُضُ ، ثم تقطع بطن قَوّ ، ثم السمراء وهي أرض سَهْبٌ ، ثم تأخذ
 في الدهناء .

وفي «معجم البلدان» الصُّلْبَانِ : واديان في بلاد بني عامر . قال ليبد - وأورد
 شاهداً تقدم في الصُّلْبَيْنِ ، وقول نصرٍ أَنَّ الْمَقْصُودَ الصُّلْبَ وَمَوْضِعاً آخَرَ فَغَلَبَ
 الصُّلْبَ لِأَنَّهُ أَعْرَفَ . وفي الشاهد :

نَفَى جَحْشَانَا بِجِمَادِ قَوّ خَلِيطٌ لَا يَنَامُ إِلَى الزَّيْتَالِ
 وَأَمَكْنَهُ مِنَ الصُّلْبَيْنِ حَتَّى تَبَيَّنَتِ الْمُخَاضُ مِنَ التَّوَالِي

فمفهوم قول ليبد قُرْبَ جِمَادِ قَوّ قُرْبُهُ مِنَ الصُّلْبِ . أما قول ياقوت عن
 الصليين وأنهما من بلاد بني عامر فلعله مبني على كون ليبد منهم ، ولكن الشاعر
 كثيراً ما يذكر من المواضع ما هو خارج عن بلاد قومه .

وأورد صاحب كتاب «الأغاني»^(٤) من قول المرقش الأصغر من قصيدة طويلة
 يصف ظُعناً :

تَحْمَلْنَ مِنْ جَوِّ النُّورِيعَةِ بَعْدَ مَا
 تَعَالَى النَّهَارُ وَانْتَجَعْنَ الصَّرَائِمَا

سَلَكْنَ الْقُرَى وَالْجِزْعَ تُحْدَى جِمَاهَا
وَوَزَّكْنَ قَوًّا وَاجْتَزَعْنَ الْمَخَارِمَا

وقد ورد اسم قو كثيراً في شعر جرير فمنه (٥) :

كَأَنَّكَ لَمْ تَسِرْ بِجَنُوبِ قَوٍّ وَلَمْ تَعْرِفْ بِنَاطِرَةِ الْخِيَامَا
عَرَفْتَ مَنَازِلًا بِجِمَادِ قَوٍّ فَاسْبَلْتَ الدُّمُوعَ بِهَا سِجَامَا

وقال (٦) :

عَفَا قَوٌّ وَكَانَ لَنَا مَحَالًا إِلَى جَوِّي صُلَاصِيلَ مِنْ لُبَيْنِي

وقال (٧) :

تَبَاعَدَ هَذَا الْوَصْلُ إِذْ حَلَّ أَهْلُهَا بِقَوٍّ وَحَلَّتْ بَطْنُ عِرْقٍ فَعَرَعَرَا

وقال جرير أيضاً (٨) :

أَمِنْ دِمَنِ بَلَيْنٍ بِبَطْنِ قَوٍّ بَكَيْتَ لَهَا وَشَجَوُ مَا شَجَاكَمَا ؟

وقال (٩) :

ذَكَرْنَا مَا نَسِيتَ غَدَاةَ قَوٍّ وَقَدْ يَهْتَاجُ ذُو الطَّرَبِ الْوَصُولُ

وقال (١٠) :

قِفَا عُوجًا عَلَى دِمَنِ بَرَهَبَا فَحَبِّوْا رَسْمَهُنَّ ، وَإِنْ أَحَالَا
وَشَبَّهْتُ الْحُدُوجَ غَدَاةَ قَوٍّ سَفِينِ الْهِنْدِ رَوْحَ مِنْ أَوَالَا

قَوٌّ : ما بين النَّبَاجِ وَالْعَوَسَجَةِ . وَأَوَالُ بِالْبَحْرَيْنِ .

جَعَلْنَ الْقَصْدَ عَنْ شَطْبِ يَمِينَا وَعَنْ أَجْمَادِ ذِي بَقَرٍ شَمَالَا

— إِلَى أَنْ قَالَ — :

أَحِبُّ الظَّاعِنِينَ غَدَاةَ قَوٍّ وَلَا أَهْوَى الْمُقِيمَ بِهِ الْحِلَالَا

وقال جرير أيضاً (١١) :

أَلَا حَيَّ الدِّيَارَ بِسُغْدِ إِنِّي أَحِبُّ لِحُبِّ فَاطِمَةَ الدِّيَارَا

لَقَدْ فَاضَتْ دَمْعُكَ يَوْمَ قَوْ لِبَيْنِ كَانَ حَاجَتُهُ ادَّكَارًا
إلى أن قال - :

إِذَا مَا حَلَّ أَهْلُكَ يَا سُلَيْمَى بِدَارَةِ صَلُصْلٍ شَحَطُوا الْمَزَارَا
وقال (١٢) :

فَلَوْ كُنْتُ عِنْدِي يَوْمَ قَوْ عَذَرْتَنِي بِيَوْمِ زَهْتَنِي جِنُّهُ وَأَخَابِلُهُ
وقال (١٣) :

أَلَا حَيَّ بِالْبَرْدَيْنِ دَارًا وَلَا أَرَى كَدَارٍ بِقَوْ لَا تُحْيَا رُسُومَهَا
وورد اسم قَوْ في رَجَزِ الْعَجَّاجِ (١٤) :

فَصَادَقْتُ مِنْ خَشْرَمٍ أَلْصَاصَا
فَأَصْبَحُوا غَاصُوا بِهَا مَغَاصَا
لِبَطْنِ قَوْ أَوْ نَسُوا فَيَاصَا

وقال أوس بن حَجَر (١٥) :
فَبَطْنُ السُّلَيْمِيِّ فَالَسَّخَالُ تَعَذَّرْتُ فَمَعْقَلَةٌ إِلَى مَطَارٍ فَوَاحِفُ
فَقَوْ ، فَرَهْبًا فَالَسَّلِيلُ فَعَاذِبُ مَطَافِيلُ عُوذِ الْوَحْشِ فِيهَا عَوَاطِفُ

قَوْ - مع أنه علم مرتجل كما حسب ياقوت ، وليس وصفًا - فإنه يطلق على
أودية متعددة ففي شمال الجزيرة ، غرب تيماء وادي قَوْ وهو مشهور ومعروف
الآن ، حددت موقعه في قسم شمال المملكة - ص ١١٢٤ - .

وفي شرق القصيم وادٍ ذكره صاحب كتاب « المناسك » وحاول تحديد موقعه
صاحب كتاب « معجم القصيم » فذكر أنه المعروف الآن باسم (قُصَيْبَا) .

وفي المنطقة الشرقية موضع يعرف باسم قَوْ ، كما يتضح من النصوص المتقدمة
ومما جاء في كتاب « النقااض » (١٦) : يقال فيه فَرُوقُ قَوْ ، وهو الموضع الذي وقع
فيه يوم الفَرُوقِ بين بني عبس وبين بني سعد بن زيد مناة .

ولعل الواقعة حدثت في الفروق الموضع الذي لا يزال معروفاً ، ثم امتدَّت إلى قَوَّ ، كما يفهم من تحديد الهمداني المتقدم لِقَوَّ ، فهو بعيد عن الفروق وذلك التحديد واضح في أنَّ قَوَّ يقع شرق الدهناء بقربها ، يسار منهل حرَض الذي أصبح الآن بلدةً ، وقد تكون أعالي وادي قَوَّ بقرب الدهناء ، وأن أسفله يمتد إلى الفروق . ومهما يكن فالموضع ليس معروفاً الآن بهذا الاسم – على ما بلغني .

أما النصوص الشعرية التي أوردت فقد يكون من بينها ما لا ينطبق على قَوَّ موضع الحديث ، إلاَّ أن كونه في بلاد بني تميم ومن بين أصحاب النصوص من هو منهم ، فقد أوردت شعره للاستئناس به .

وقول الخطيئة الذي أورده ياقوت لا أراه ينطبق على الموضع المقصود ، لأنَّ الزبرقان حين قصده الخطيئة كان على (بنان) في اليمامة ، وإنما أراد الخطيئة قَوَّ الذي في بلاد عبس ، وهو الذي في بلاد القصيم .

وقد ورد اسم قَوَّ بصيغة التثنية في قول ذي الرُّمَّة :
جَادَ الرَّيِّعُ لَهُ رَوْضَ الْقَذَافِ إِلَى قَوَّيْنِ ، وَانْعَدَلَتْ عَنْهُ الْأَصَارِيْمُ
وتقدم القول بأنَّ رَوْضَ الْقَذَافِ وَقَوَّيْنِ من بلاد بني سعد ، وأنَّ القذاف في شِقِّ حَزْوَا – أي شرق الدهناء ، حيث حدد الهمداني موضع قَوَّ .

القَوْتُ

جاء في شرح قول ابن مُقَرَّبٍ :
كَمْ بِالْعَشِيرَةِ مَذَّ تَوَلَّى مَاجِدُ من سابقٍ بَعَثُومٍ وَمِنْ بُسْتَانِ
أن أهل الأحساء أثناء فساد حكم ماجد بن محمد بن علي بعثوا إلى الأمير علي ابن الحسين بن عبدالله بن علي فأدخلوه البلد ، وحاصروا ماجد بن محمد في القوت حتى أخرجوه منها ، وملكها علي .

فهل كلمة (القوت) صحيحة ؟

أخشى أن تكون من وضع شارح الديوان ، وأنه كان متأخراً إلى الزمن الذي انتشرت فيه كلمة (الكوت) بمعنى الحصن في القرن العاشر ، متأخراً عن زمن ابن المقرب وهو أول القرن السابع ، فاستعمل الكلمة بالقاف (القوت) .

القُوسُ

قال في « نخبة الدهر » : بلاد البحرين ، ويسمى القوس ، وهجر اسم واقع على مجموعته ، وليس باسم مدينة ، ومن أمصاره الأحساء ، وهي القصبة ، وتعرف بأحساء بني سعد ، يحيط بها غوطة نخل . انتهى .

وقال الهجري^(١٧) : مَوْتِيبُ أحد جِزْعَيْ يبرين ، والجزع الآخر المَخِين والقوس وهما أعظم من مَوْتِيبٍ ، والمَوْتِيبُ جِزْعٌ من يَبْرَيْنَ الذي يَلِي الفلج ، والجزع الآخر الذي يلي البحرين ، وبين الجزعين مبدأة للإبل ، العشرة أميال . انتهى .

وكلام الهجري أوضح من كلام صاحب « نخبة الدهر » فقد أوضح أن القوس هو جزع يَبْرَيْنَ الموالي للبحرين ، أي الجانب الشرقي . ويبرين واحة معروفة طغت الرمال على كثير من جوانبها .

مركز تحقيق وتطوير علوم رملية
القُوسُ

رأيت في أحد البيانات^(١٨) الموضوع باللغتين العربية والانجليزية - القوع : من قُرى القطيف ، ولست على يقين من صحة الاسم فقد يكون محرفاً .

قَهْدِيَّةُ

— بفتح القاف وإسكان الهاء وكسر الدال المهمله وفتح المثناة التحتية مشددة وآخره هاء — : موضع يقع غَرْبَ العقير ، وفيه رمالٌ تدعى نقا قَهْدِيَّةُ ، ينحرف عنه طريق العُقَيْرِ إلى الأحساء نحو الجنوب ، فيه أغار آل مُرَّةَ والعُجْمَانُ على قافلة قادمة من ميناء العُقَيْرِ إلى الأحساء ، ومعها جند من الأتراك لحمايتها ، فقتلوا منهم نحو الخمسين ، ونهبوا القافلة ، وذلك في سنة ١٣٢٠ ، — وذكر الشيخ عبد العزيز

ابن صالح العلجي هذه الوقعة في قصيدة مدح بها السيد طالباً النقيب حين ولاه الأتراك الأحساء في تلك السنة قال فيها :

وَمِنْ عَسْكَرِ السَّاطِطَانِ خَمْسِينَ غَدَارُوا
عَلَى وَهْدَاتِ الرَّمْلِ يَجْرِي صَدِيدُهُـا^(١٩)

وفي كتاب «دليل الخليج»^(٢٠) أمُّ الذَّرَّ على بعد ميل في الشمال الشرقي من البُسَيْتَيْنِ ، بقربها مجموعة من الروابي حيث كان في سنة ١٩٠٢ رجال من آلِ مُرَّةَ تنتظر فرقةً تركية حربية ، ففاجأتها بعد ذلك عند قَهْدِيَّة . وفي سنة ١٩٠٦ تكرر الحادث .

قَهْدِيَّة

بالفتح وإسكان الهاء وفتح الواو وآخره هاء - : مُشَاشٌ يقع غرب دوحة مُنِيْفَةٍ . وشرق الطَّرِيْفَةِ ، الواقعة شرق بلدة النُّعَيْرِيَّة ، وهو من موارد قبيلة العوازم .

قِيَّاص

قياص موضع ورد ذكره في رجز للعجاج ، تقدم في الكلام على قَوْ ، وتقدم ذكر الاسم في حرف الفاء (قِيَّاص) . ويفهم من ذكره مع قَوْ وقوعه في نواحي الصَّمَّان ، ولم أجد من المراجع ما أتمكن به من ضبط الاسم ، فضلاً عن تحديد موقعه .

الْقَيْصُومَةُ

- على لفظ واحدة الْقَيْصُوم ، وهو نبات قريب الشبه بالشَّيْح ، شجيرته ذات أغصان دقيقة ، ترتفع عن الأرض قدر الذراع ، ولونها أشهب ، وورقها صغير ، ورائحتها طيبة - : واسم القيصومة يطاق على مواضع ، ولعله من صفات الأمكنة التي تُنسَبُ القيصوم ، ثم أصبح عاملاً لتلك المواضع .

منها قيصومة قَيْصَحَان - وقد حددتها في قسم شمال المملكة من « المعجم الجغرافي »

ص ١١٢٩ (٢١) - وقد ورد ذكرها في كتاب « المناسك » في وصف طريقي البصرة إلى المدينة بما نصه (٢٢) - : بعد ذكر الوقاء - : (ثم يُؤخَذُ في الحَزَن على مياه يقال لها القيصومة ، وقنة ، وحومانة الدراج ، حتى يخرجون على أبرق العَرَاف ، ثم يمضون إلى بطن نخل) .

والقيصومة هذه لاتزال معروفة .

ومنها قيصومة ورد ذكرها في « بلاد العرب » (٢٣) . وكتاب نصير ، و « معجم البلدان » بما ملخصه : ثم أعظم ماء لُصْبَة بالبادية الدَّجْنِيَّتَانِ ، وهما ماءتان عظيمتان ، ليس بينهما ميل يقال لهما الدَّجْنِيَّة والقيصومة - إلى أن قال - : وتَعَشَّارُ فوقهما ، وهذا كله في ناحية الوشم ، وقال : والدَّجْنِيَّتَانِ وراء الدهناء ، قريب منها ، ولما أورد ياقوت كلام نصر - ويظهر أن مصدره كتاب « بلاد العرب » أضاف إليه قائلاً : هذا لفظه إلا أنَّ الوَشمَ موضع باليمامة في وسطها ، والدهناء في وسط نجد ، فكيف يتفق ؟ والواقع أنَّ استشكال ياقوت لذكر الوشم هنا في مَحَلِّهِ ، فمفهوم قريبهما من الدهناء يستلزم كونهما شرق جبل عارض اليمامة ، والوشم غرب هذا الجبل بمسافة بعيدة . وأقرب ما ينطبق عليه تحديد المائتين المذكورتين أنهما الدَّجَانِيَّة والقاعية ، من مياه العَرَمَة في شمالها ، ووصف موقع تَعَشَّار بأنه فوقهما يدل على أنه خارج الدهناء غرباً ، على مقربة من العرمة .

وقَيْصُومَة تقع شرق الدهناء ، أصبحت الآن قرية تابعة لإمارة الحَفَرِ ،

وهذه لم أر لها ذكرًا قديماً ، وهي أشهر ما يعرف الآن لوقوعها على خط ضَخَّ النفط من شرق البلاد إلى الشام - الأردن ولبنان - وتقع في الجنوب الغربي من بلدة الحَفَرِ وسيلها يفيض في واديه المعروف باسم (الباطن) وهي في الضفة الشرقية من وادي فُلَيْج الجنوبي . (بقرب خط الطول : ٤٦/٥ ° وخط العرض : ٢٣/٢٨ °) . وكانت روضةً ، فلما مُدَّ خطُّ الأنابيب في عشر السنين من القرن الماضي أنبِطَ فيها ماء غزير ، واتَّخِذَتْ مركزاً من المراكز التي استقرَّ بها المشرفون على ذلك الخط ، وهناك مواضع أخرى تسمى القيصومة غير ما تقدم ذكره .

- انتهى حرف القاف ويليه حرف الكاف (كاظمة) .

ما اتفق لفظه واختلف سَماءه من أَسْمَاءِ المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٥٨٤هـ)

- ٣٣ -

٢٠٤ - بابُ جَلَّالٍ ، وحِلَّالٍ ، وحَلَّالٍ وخِلَّالٍ^(١)

أَمَّا الأوَّلُ -بِفَتْحِ الْعَجِينِ- وَتَشْدِيدِ اللَّامِ - : اسْمٌ لِطَرِيقٍ نَجْدٍ إِلَى مَكَّةَ ، وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا : مِثْقَبٌ وَانْقِعْقَاعٌ ، وَفِي حَدِيثِ الْهَرَمَاسِ ابن حَبِيبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : التَّقَطُّ شَبَكَةٌ عَلَى ظَهْرِ الْجَلَّالِ بِقُلَّةِ الْحَزْنِ ، فَأَتَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقُلْتُ : أَسْقِنِي شَبَكَةً عَلَى ظَهْرِ جَلَّالٍ . - الْحَدِيثُ - ذَكَرَهُ النَّصْرُ ابنُ شُمَيْلٍ^(٢) .

مركز تحقيقات كاميونير علوم اسلامی

الحواشي :

- | | |
|---|-------------------------------------|
| (١) : ٣٥٤ . | (٢) : « صفة جزيرة العرب » : ٣٣٣ . |
| (٣) : ٢٨١ . | (٤) : ١٣٨/٦ طبع دار الكتب . |
| (٥) ديوانه : ٢٢٢ . | (٦) : ٣٥٣ . |
| (٧) : ٤٦٨ . | (٨) ديوانه : ٥٩٩ . |
| (٩) : ٧١٧ . | (١٠) : ٧٤٨ . |
| (١١) ديوانه : ٨٨٦ . | (١٢) : ٩٦٥ . |
| (١٣) : ٩٨٥ . | (١٤) ديوانه : ٣٤٤ . |
| (١٥) « معجم ما استعجم » رسم (برك) . | (١٦) : ص : ١٠٧١ . |
| (١٧) أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع : ٣٨٩ . | |
| (١٨) (أسماء أمكنة عربية) من وضع شركة (أرامكو) ذكرته في المقدمة ص ١٢ . | |
| (١٩) : « تاريخ الأحساء » : ١٨٧/١ . | (٢٠) في الكلام على منطقة العقير . |
| (٢١) أنظر « العرب » ص ٦ ص ٨٥٧ . | (٢٢) : ٦٠٤ . |
| | (٢٣) : ٢٩٠ . |

ما اتفق لفظه واختلف سَمَاهُ من أَسْمَاءِ المواضع

للإمام محمد بن موسى الخازمي (٥٤٨/٥٥٨هـ)

- ٣٣ -

٢٠٤ - بَابُ جَلَّالٍ ، وَحِلَالٍ ، وَحِلَالٍ (١)

أَمَّا الْأَوَّلُ - بِفَتْحِ الْأَجِينِمْ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ - : اسْمٌ لِطَرِيقٍ تَجْدُ
إِلَى مَكَّةَ ، وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا : مِثْقَبٌ وَانْقِعْقَاعٌ ، وَفِي حَدِيثِ الْهَرَمَاسِ
ابْنُ حَبِيبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : التَّقَطُّ شَبَكَةٌ عَلَى ظَهْرِ
الْجَلَّالِ بِقُلَّةِ الْحَزْنِ ، فَأَنْبَتَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
فَقُلْتُ : أَسْقِنِي شَبَكَةً عَلَى ظَهْرِ جَلَّالٍ . - الْحَدِيثُ - ذَكَرَهُ النَّصْرُ
ابْنُ شُمَيْلٍ (٢) .

مركز تحقيق التراث - مكتبة المخطوطات - القاهرة

الحواشي :

- | | |
|---|--------------------------------------|
| (١) : ٣٥٤ . | (٢) : « صفة جزيرة العرب » : ٣٣٣ . |
| (٣) : ٢٨١ . | (٤) : ١٣٨/٦ طبع دار الكتب . |
| (٥) ديوانه : ٢٢٢ . | (٦) : ٣٥٣ . |
| (٧) : ٤٦٨ . | (٨) ديوانه : ٥٩٩ . |
| (٩) : ٧١٧ . | (١٠) : ٧٤٨ . |
| (١١) ديوانه : ٨٨٦ . | (١٢) : ٩٦٥ . |
| (١٣) : ٩٨٥ . | (١٤) ديوانه : ٣٤٤ . |
| (١٥) « معجم ما استعجم » رسم (برك) . | (١٦) : ص : ١٠٧١ . |
| (١٧) أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع : ٣٨٩ . | |
| (١٨) (أسماء أمكنة عربية) من وضع شركة (أرامكو) ذكرته في المقدمة ص ١٢ . | |
| (١٩) : « تاريخ الأحساء » : ١٨٧/١ . | (٢٠) في الكلام على منطقة المقيبر . |
| (٢١) أنظر « العرب » ص ٦ ص ٨٥٧ . | (٢٢) : ٦٠٤ . |
| | (٢٣) : ٢٩٠ . |

وَأَمَّا الثَّانِي : - أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَكْسُورَةٌ وَاللَّامُ مُخَفَّفَةٌ : -
بَعْضُ نَوَاحِي الْيَمَنِ ، لَهُ ذِكْرٌ^(٣) .

وَأَمَّا الثَّالِثُ - بَفَتْحِ الْحَاءِ وَاللَّامِ وَالْبَاقِي نَحْوُ مَا قَبْلَهُ : - صَنَمٌ
لِبَنِي فَزَارَةَ^(٤) .

وَأَمَّا الرَّابِعُ : - أَوَّلُهُ خَاءٌ مَكْسُورَةٌ وَالْبَاقِي نَحْوُ مَا قَبْلَهُ : -
مَوْضِعٌ بِحِمَى ضَرْبَةٍ فِي دِيَارِ بَنِي نَفَاثَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كِلَابٍ^(٥) .

٢٠٥ - بَابُ جَمَلٍ : وَحَمَلٍ^(٦)

أَمَّا الْأَوَّلُ : - بَفَتْحِ الْحِيمِ وَالْمِيمِ : - بِشَرِّ جَمَلٍ بِالْمَدِينَةِ ،
لَهَا ذِكْرٌ فِي الْحَدِيثِ^(٧) ،

وَلَحْيُ جَمَلٍ : مَوْضِعٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، وَهُوَ إِلَى الْمَدِينَةِ
أَقْرَبُ ، وَهُنَاكَ احْتَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ حَجَّةِ
الْوَدَاعِ^(٨) .

وَلَحْيُ جَمَلٍ أَيْضًا : - مَوْضِعٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَقَيْدَ ، عَلَى
طَرِيقِ الْجَادَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَيْدَ ثَلَاثُونَ مِيلًا^(٩) .

وَلَحْيُ جَمَلٍ : جَبَلَانِ بِالْيَمَامَةِ فِي دِيَارِ قُشَيْرٍ^(١٠) .

وَعَيْنُ جَمَلٍ : قُرْبُ الْكُوفَةِ^(١١) .

وَأَمَّا بَدَلُ الْحِيمِ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ : - قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : هُوَ اسْمُ جَبَلٍ
فِيهِ جَبَلَانِ يُقَالُ لَهُمَا طِمِرَّانُ ، وَقَالَ :

كَأَنَّهَا وَقَدْ نَدَلَّتِ النَّسْرَانُ
وَضَمَّتْهَا مِنْ حَمَلِ طِمِرَّانِ
صَغَبَانِ عَنْ شَمَائِلِ وَأَيْمَانِ

وَقَالَ غَيْرُهُ : حَمَلٌ فِي أَرْضِ بَالْتَقَيْنَ^(١٢) .

وأيضاً : جَبَلٌ قُرْبَ مَكَّةَ (١٣)

واسمُ نَقَاً مِنْ رَمَلٍ عَالِجٍ (١٤)

الحواشي :

- (١) في كتاب نصير في باب الحاء : (باب الحِلَالِ والحِلَالِ وجَلَال) .
(٢) هذا نصٌ كلام نصير . ولم يزد الحازمي في تعريف المواضع الأخرى على ما في كتاب نصير . وأورد ياقوت كلام نصير وأضاف : ولا أعرف معناه ، وخبرنا رجل من ساكني الجبَلَيْنِ أَنَّ جَلَالاً رَمَلٌ في غربي سَلَمَى ، وحدّه من جهة القبلة غُوطة بني كَامٍ ، ومن الشمال اللُّوى ، ومن الغرب عَرَفَجَاء ، وشرقيّه بَقْعَاء . قال الراعي :

بَيْتٌ بِأَخْرَاهَا بُرَيْمَةٌ بَعْدَمَا بَدَأَ رَمَلٌ جَلَالٌ لَهَا وَعَوَافُهُ

— أي نواحيه — ثم أورد ياقوت حديث المهرماس بنصه ولم يزد سوى قوله : والشبكة والشباك الآبارُ المجتمعة . انتهى . وأورد البكري في « معجم ما استعجم » في رسم (جلال) ورسم (قُلَّةُ الحَزْنِ) الحديث بهذا النص : رَوَى النَّصِيرُ بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ الْمَهْرَمَاسِ بْنِ حَبِيبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ التَّقَطُ شَبَكَةٌ عَلَى ظَهْرِ جَلَالٍ بِقُلَّةِ الْحَزْنِ ، فِي خِلَافَةِ عُمَرَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْقِنِي شَبَكَةً عَلَى ظَهْرِ جَلَالٍ بِقُلَّةِ الْحَزْنِ . فَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ الْعَوَّامِ : إِنَّكَ يَا أَخَا تَمِيمٍ تَسْأَلُ خَبيراً قَلِيلاً . فَقَالَ عُمَرُ : مَا هُوَ خَيْرٌ قَلِيلٍ قَرِيبَتَانِ مِنْ مَاءٍ وَقَرِيبَةٌ مِنْ لَبَنٍ تَعَادِيَانِ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ مُضَرٍ بِقُلَّةِ الْحَزْنِ ، لَا ، بَلْ خَيْرٌ كَثِيرٌ قَدْ أَسْقَاكَهُ اللَّهُ ، الشَّبَكَةُ وَاحِدَةُ الشَّبَاكِ ، وَهِيَ آبَارٌ مُتَجَاوِرَةٌ قَرِيبَةٌ الْقَعْرِ يَفْضِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَجَلَالُ جَبَلٍ مَعْرُوفٌ ، وَقَوْلُهُ : قَرِيبَةٌ مِنْ مَاءٍ وَقَرِيبَةٌ مِنْ لَبَنٍ : يُرِيدُ أَنْ الْإِبِلَ تَرِدُ الْمَاءَ وَتَرْعَى بِقُرْبِهِ فَيَأْتِيهِمُ الْمَاءُ وَاللَبَنُ . انتهى . وقد أَرَجَمَ الْحَافِظُ بْنُ حَجَرٍ الْمَهْرَمَاسَ فِي « تَهذِيبِ التَّهْذِيبِ » فَذَكَرَ أَنَّهُ رَوَى عَنْهُ النَّصِيرُ بْنُ شُعَيْبٍ ، وَأَنَّهُ نَحْوِيٌّ عَسْكَرِيٌّ ، خَرَجَ لَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ وَنَقَلَ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ قَوْلُهُ : شَيْخٌ أَعْرَابِيٌّ ، لَمْ يَرَوْهُ عَنْهُ غَيْرُ النَّصِيرِ ، وَلَا يُعْرَفُ أَبُوهُ وَلَا جَدُّهُ .

مما تقدم يتضح أَنَّ اسمَ جَلَالٍ يُطْلَقُ عَلَى مَوْضِعَيْنِ : أَحَدُهُمَا الرَّمَلُ الَّذِي حَدَّدَهُ يَاقُوتُ وَهَذَا غَرْبُ جَبَلِ سَلَمَى ، وَيَمْتَدُّ شَرْقاً حَتَّى بَقْعَاء ، وَسَلَمَى وَبَقْعَاء لَا تَزَالَانِ مَعْرُوفَتَيْنِ بِمَنْطَقَةِ حَائِلٍ ، سَلَمَى أَحَدُ جَبَلِي طَيٍّ ، وَبَقْعَاء قَرْيَةٌ مَعْرُوفَةٌ . وَلَا صَلاَةَ لِجَلَالٍ هَذَا بِمَا وَرَدَ فِي كِتَابَتِي نَصِيرٍ وَالْحَازِمِيِّ . الثَّانِي : جَلَالُ الطَّرِيقِ الَّذِي وَرَدَ فِيهِ خَبَرُ الْمَهْرَمَاسِ ، وَهُوَ — كَمَا يَفْهَمُ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ — يَمْتَدُّ مِنَ الْعِرَاقِ مَاراً بِالْحَزْنِ ، مَخْرُجاً بِلَادَ بَنِي الْعَبْرِ الْوَاقِعَةَ بِامْتِدَادِ وَادِي فَلْجٍ (الْبَاطِنُ ، بَاطِنُ الْحَقْرِ) حَتَّى الدَّهْنَاءِ ، الَّتِي يَجْتَازُهَا الطَّرِيقُ إِلَى نَجْدٍ ، وَلِهَذَا فَإِنَّ عِبَارَةَ (طَرِيقُ نَجْدٍ إِلَى مَكَّةَ) فِيهَا إِسْهَامٌ ، إِذِ الْحَزْنُ ، بَلْ بِلَادُ بَنِي الْعَشِيرِ كُلِّهَا يَفْصَلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ نَجْدِ الدَّهْنَاءِ وَهِيَ تَقَعُ شَرْقَ نَجْدٍ ، وَشَرْقَهَا يَقَعُ الْحَزْنُ ، وَمَكَّةُ تَقَعُ غَرْبَ نَجْدٍ . وَمِثْقَبُ الْقَعْفَاعِ طَرِيقَانِ يَمْتَدُّانِ مِنْ شَرْقِ الْجَزِيرَةِ — الْعِرَاقِ وَالْبَحْرَيْنِ — إِلَى غَرْبِهَا .

- وللمستشرق (الويس موسل) كلامٌ حول تحديد طريق جلالٍ أوردته في قسم (شمال المملكة) من كتاب « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » بِنَاسِهِ عَلَى وَهْمٍ وَخَلْطٍ بَيْنَ جَلَالٍ وَجَلَالٍ .
(٣) نصٌ كلام نصير : الْحِلَالُ .. بِكسر الحاء — : صَفْحٌ يَسْمَانِ . انتهى . وقال ياقوت في « معجم البلدان » :

حلالٌ - بالكسر وتخفيف اللام - : من نواحي اليمن . ثم فسّر الكلمة تفسيراً لغوياً ولم يزد . ومع
تقصّي المسدّاتي في « صفة جزيرة العرب » فلم أره ذكر هذا الموضع . ولا أدري من أين أتى الحازمي
بقوله عنه (له ذكر) .

(٤) حلالٌ - صنّمُ بني فزارة ذكره ياقوت ، ويظهر أن مصدره كتاب الحازمي ، ومصدر الحازمي ما جاء
في كتاب نصير : الحلالٌ - بالفتح صنّمٌ لبني فزارة . ولم يذكر ابن الكابي في كتاب « الأصنام » في
طبعته التي وصلت إلينا هذا الصنم ، ولم أر له ذكراً فيما اطلعت عليه من الكتب .

(٥) حلالٌ : أورده نصرٌ معرّفاً : الحلال - بخاء مكسورة - : يحيمى ضريبةً ، من ديار نِفْثانة بن عبدالله
ابن كلاب . وفي « معجم البلدان » : حلالٌ - بكسر أوله بافظ الحلال الذي يستخرج به قذى الأسنان - :
موضع يحيمى ضريبةً ، في ديار بني نِفْثانة بن عدي بن كِنانة . انتهى . وهذا يصحح خطأ وقع في كلام
نصير والحازمي ، إذ بنو نِفْثانة ليسوا من بني عبدالله بن كلاب ، بل من بني عدي بن الدّيل بن كنانة ،
ولكن خطأ آخر لم يصحح ، وهو أن بني نِفْثانة ديارهم في تهامة بعيدة عن حيمى ضريبة الواقع في
نجد ، وبنو كلاب من سكانه قال الهجري : وقد دخل في حيمى ضريبة حقوق لسبعة أبطن من
بني كلاب ، وهم أكثر الناس أملاكاً في الحيمى ، ثم حقوق غني - ٣٥٨ - أبو علي الهجري ، وأبحاثه
في تحديد المواضع « فهل اسم نِفْثانة يطلق على بطن من بطون بني عبدالله بن كلاب أو أن الاسم معرّف ١٩
على أن اسم الحلال قد ورد في شعر للبيد ، أورده البكري في « معجم ما استعجم » ولكن يفهم منه أنه يقع
في جنوب نجد ، بقرب قضيب وتخم ، إن لم يكن الاسم مُصحّفاً ، وما أكثر التصحيف في كتاب البكري
- رحمه الله - .

(٦) في كتاب نصر في حرف الحاء : (باب حَمَلٍ وَجَمَلٍ) .

(٧) عند نصير : بشر جَمَلٍ في المدينة ، في حديث جهنم . انتهى . وفي « معجم البلدان » : بشر جَمَلٍ في
حديث أبي جهنم في المدينة . أمّا البكري في « معجم ما استعجم » فقال في رسم لحي جَمَلٍ : وهذا
الموضع احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط رأسه وهو مُحْرِمٌ - رواه مالك - وهي بشر
جَمَلٍ التي ورد ذكرها في حديث أبي جهنم بن الحارث ابن الصّمة قال : أقبل النبي صلى الله عليه
وسلم من بشر جَمَلٍ ، فلقبه رجلٌ فسلم عليه فلم يردّ التّبي عليه حتى أقبل على الجدار فمسح
بوجهه ويدّيه ، ثم ردّ عليه السّلام . رواه البخاري . وقد قيل : بشر جمل ماء آخر بالمدينة .
انتهى . فقول البكري عن لحي جمل أنه بشر جَمَلٍ خلط بين موضعين ، ولكنه استدرك بحملة : وقد
قيل إلى آخرها .

ورأوي الحديث هو - كما في « الإصابة » - ٢٠٨ الكُنّي و « تهذيب التهذيب » - أبو جهنم بن
الحارث بن الصّمة النجّاري الأنصاري ، اختلف في اسمه فقيل : عبدالله وقيل : الحارث ، ويقال :
أبو جهنم ، وهو صحابي ، روى عنه الجماعة .

وبشر جمل أطلال السهودي في كتاب « وفاء الوفاء » الكلام عليها ، وأورد بعض طرق الحديث
المتقدم ومنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب نحو بشر جمل ليقضي حاجته ، فلقبه رجلٌ
مقبل ، فسلم عليه ، وفي رواية النّسائي : أقبل من نحو بشر الجمل ، وهو من العقيق ، قاله المجد ، قال :
وهي بشر معروفة بناحية الحُرُف بإخير العقيق ، وعليها مال من أموال أهل المدينة . قال : ويحتمل أنها
سمّيت بجمل مات فيها ، أو برجل اسمه جمل حضرها . قلت : وهي غير معروفة اليوم ، ولم أر من سبق
المجد بكونها بالحُرُف غير ياقوت . هذا من كلام السهودي ، وهو من أهل القرن التاسع مما يدل على أنها
جهلت منذ ذلك العهد .

(٨) لَحْيُ جَمَلٍ ويجوز كسر اللام - : يطلق هذا اسماً على كثير من الجبال والآكام التي تشبه في منظرها لَحْيَ الْجَمَلِ ، ومنها الموضع الذي احتجم الرسول صلى الله عليه وسلم فيه بين مكة والمدينة ، وهو إلى المدينة أقرب في قول الحازمي ، وقال نَصْرٌ : بين السقيّا والمدينة . وفي « معجم البلدان » : لَحْيُ جَمَلٍ هي عقبة الجُحْفَةِ على سبعة أميال من السقيّا . وقد فُسِّرَ في حديث الحكم بن بشَّار في كتاب مُسْلِمٍ أنه ماء . وحدَّد صاحب كتاب « المناسك » المسافة بين العُرج وبين لَحْيِ جَمَلٍ على هذا النحو : من العرج إلى الطُّلُوب أحد عشر ميلاً ، ومن الطُّلُوب إلى السقيّا ستة أميال ، فمن العرج إلى السقيّا سبعة عشر ميلاً - ثم ذكر بعض المواضع التي بين العرج والسقيّا وبعد أن ذكر الطُّلُوب قال - : وعلى ميل من الطُّلُوب مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بين لحي جمل - ثم أورد حديث الاحتجام ، وأورد له رواية : أنه صلى الله عليه وسلم بالقاحه ، وذكر أن القاحه قبل السقيّا بميل . وذكر السهودي في « وفاء الوفاء » من المساجد النبوية مسجد لَحْيِ جَمَلٍ ، ونقل عن الأُسدي قوله : وعلى ميل من الطُّلُوب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بموضع يقال له لَحْيُ جَمَلٍ ، والطُّلُوب بئرٌ بعد العرج بأحد عشر ميلاً ، والسقيّا بعد الطُّلُوب بستة أميال .

وعلى ما تقدم يتضح أن مكان الاحتجام يقع في الطريق القديم إلى مكة من المدينة ، بعد العُرج الوادي الذي لا يزال معروفاً بنحو اثني عشر ميلاً وقبل السقيّا بخمسة أميال ، والسقيّا هذه تعرف الآن باسم (أم البرك) جَمْعُ بَرَكَةٍ ، باسكان الراء . وعلى مقربة من أم البرك هذه تلعة كبيرة تدعى الآن اللّحْيِ ، سيلها يفيض في وادي تَعيَهَن ، أحد روافد وادي القاحه الوادي الذي تقع أم البرك في أعلاه . وأرى أن أعلى تلك التلعة هو الموضع المعروف بلحي جمل .

(٩) لَحْيُ جَمَلٍ - أو لَحْيًا جَمَلٍ - الذي بين المدينة وقبَد كَلام الحازمي في تحديده هو نصٌ كَلام نَصْرٍ ، ومثله في « معجم البلدان » إلا أن تحديد المسافة بينه وبين قبَد عشرة فراسخ ، ومعروف أن الفرسخ ثلاثة أميال ، فهي ثلاثون ميلاً . ولعل أصل الكلام عن هذا الموضع ما جاء في كتاب « المناسك » - ٥١٥ - قال : تسمية المنازل التي كان الناس يترلوها بين قبَد والمدينة قديماً تعرف بطريق الأخرجة ، وأمياها بالميل الأول : من قبَد إلى الأخرجة سبعة وعشرون ميلاً ونصف ، وعلى أربعة عشر ميلاً من قبَد منازل للأعراب فيها نخل وآبار ، ماؤها غليظ ، يقال للموضع أُنْبُضَة ، وخلف أُنْبُضَة بثلاثة أميال ونصف عن يسار الطريق هضباتٌ يقال لها هَضَبَاتُ أُنْبُضَة . على بعضهن صخرتان منفردتان ليس يمسكهما شيء ، ثم يترالاً على ذلك ، تسمى أحدهما جمل ، والأخرى جميلة ، ثم لَحْيُ جَمَلٍ على ستة أميال من الأخرجة ، وبينهما بئران وأبيات للأعراب ، ومن لَحْيِ جَمَلٍ إلى بريد إرمام خمسة أميال ونصف . انتهى . وفي كتاب « وفاء الوفاء » : لَحْيًا جَمَلٍ جبل بطريق قبَد على ستة أميال من الأخرجة . قال الأُسدي : سُمِّيَ بذلك لأنهما نَشَرَا وامْتَدَّا واقترب ملتقاهُما فَشَبَّهَا بِاللَّحْيَيْنِ . انتهى . ويفهم مما تقدم أن هذا الموضع يقع بَعْدَ قرية أُنْبُضَة - التي لا تزال معروفة - للمتجه إلى المدينة بإحدى وعشرين ميلاً ، وأن المسافة بينه وبين قيد الواقع شرق أُنْبُضَة ثلاثة وثلاثون ميلاً ونصف ميل . وأنه غرب بلدة سَمِيرَاء غير بعيد عنها . إذ الطريق الذي يقع عليه هذا الموضع يدعى سَمِيرَاء الواقعة على طريق الحج الكوفي جنوباً .

(١٠) هذا نصٌ كَلام نَصْرٍ : ومثله في « معجم البلدان » وأنتم أَرَّ تحديداً لموقعهما ، ولكن بلاد بني قُشَيْر تقع في جنوب اليمامة غربي الطرف الجنوبي من جبل العارض (طُويق) وفي بلاد الأفلاج وما حولها .

(١١) قال نَصْرٌ : عين جملٍ : من طُفُوف الفرات ، قرب الكوفة ، سُمِّيَ من أجل جَمَلٍ مات هناك ، أو لأن الماء الذي به نُسِبَ إلى رجل اسمه جمل . وكقول نَصْرٍ ورد في « معجم البلدان » في رسم (جمل) وجاء في رسم (عين) : عينُ جَمَلٍ بنواحي الكوفة من النجف قُرب القُطُفُطَانَة ، وهي مع عدة عيون يقال لها العيون ، في كتاب العزيزي : من البصرة إلى عين جملٍ أن أراد الكوفة ثلاثون ميلاً ، ثم إلى عين

صَبَدُ ثَلَاثُونَ مِيلًا .

(١٢) حَمَلٌ : قال نَصْرٌ : بفتح الحاء والميم - جبل يُذَكَّرُ مع أَعْفَرٍ ، وهما في أرض بَلْقَيْنَ من أعمال الشام ، وأورد ياقوت قول الحازمي ونَصْرٍ غير منسوبين ، وزاد : وقال العمراني : جبل بالشام في شعر امري القيس ، ورواه السُّكَّرِيُّ عن الكلبي بالجيم فقال :

تَذَكَّرْتُ أَهْلِي الصَّالِحِينَ وَقَدْ أَتَتْ عَلَى جَمَلٍ مِنَّا الرُّكَّابُ وَأَعْفَرَا
بَلْقَيْنَ : بنو القين بن جَسْر بن أسد بن وبرة من قضاعة ، وبلادهم قديماً كانت تمتد من شمال الحجاز إلى أطراف الشام (بلاد شرق الاردن) فيما بين تَيْمَاءَ جنوباً حتى بلاد كلب إخوانهم في النسب جنوب وادي السرحان (قراقر و وادي السَّرَّ قديماً) ومن بلادهم ثَجْرٌ ، الوادي المعروف الآن باسم (فَجْر) والعلمان ، سلسلة الجبال المعروفة باسم (الطَّبِيق) ومن هذه الجبال جوش والعلم وحمل وأعفر ، وقد يطلق على الأخيرين اسم العلمين ، ففي «معجم البلدان» : ثَجْرٌ ماء لبني القين بإقبال العلمين حَمَلٍ وَأَعْفَرٌ ، بين وادي القرى وتيماء . انتهى . والرَّجَزُ الذي أوله :
كأنها وقد تَدَكَّى النَّسْرَانُ .

نسبه ياقوت في رسم (جمل) من «معجم البلدان» للشماخ ، ونسبه البكري في «معجم ما استعجم» - رسم أعفر - للأجلح بن قاسط الضبائي ، وزاد : ماء خليج مدَّةُ خَلِيجَانُ . وهو من ارجوزة في تسعة وعشرين بيتاً في «ديوان الشماخ» - ٤١٠ - منسوب للجعيل ، بدون تعريف بهذا ، وفي آخره (يا ابن جليح كن دليل الركبان) .

(١٣) قال نصر : - عن جَمَلٍ - : جبل قرب مكة عند نخلة اليمانية . انتهى . ولم يذكره ياقوت . ونخلة اليمانية الوادي المعروف الذي يسمى الآن اليمانية من أشهر الأودية القريبة من مكة ، من روافد مَرِّ الظهران (وادي فاطمة) .

(١٤) هذا نصُّ كلام نَصْرٍ ، وقال ياقوت في «معجم البلدان» : جمل موضع في رمل عالي ، قال الشماخ : كأنها لما استقلَّ النَّسْرَانُ وَضَعَهَا مِنْ جَمَلٍ طِمْرَانٍ
مع أنه أورد في رسم (حَمَلٍ) بالحاء المهملة ما نصه : حَمَلٌ - بلفظ الحَمَل من الشاء - : قال أبو منصور : هو اسم جبل فيه جبالان ، وأنشد للراجز : كأنها - إلى آخر ما تقدّم .

وزاد نَصْرٌ في هذا الباب : جَمَلٌ قائلًا : وأما بالجيم وسكون الميم موضع في كتاب بني نَصْرٍ بن معاوية ، لا أدري هو اسمه ، أو سُكِّنَ لضرورة الشعر ، قال : أهل عمق والجمل .

هذا نصُّ ما في كتاب نَصْرٍ بحروفه . ولم يذكره ياقوت في محله من «المعجم» . وفي «تاج العروس» : والجَمَل - بفتح فسكون - : موضع في ديار بني نَصْرٍ بن معاوية ، عن نَصْرٍ . انتهى .

□ « مواد لتاريخ الوهابيين » :

يعتبر بوركهارت من أشهر الرحالة الأوربيين الذين زاروا البلاد العربية في أول القرن التاسع عشر ، وقد زار بلادنا فكان مما دخله من مدنها مكة والمدينة وينبع فوصفها وصفاً مفصلاً في كتاب ألفه عن رحلته نشر سنة ١٨٢٩ باللغة الإنجليزية ، وألف كتاباً ثانياً دعاه « ملاحظات على البدو والوهابيين » نشر باللغة الإنجليزية أيضاً سنة ١٨٣١ .

ووصف الدكتور عبدالله الصالح العثيمين - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - بوركهارت بأنه كان مُحَايِداً فيما أورده في كتابه الثاني بدرجة كبيرة ، وأعلّ هذا مما دفع الدكتور عبدالله إلى تعريب ذلك الكتاب باسم « مواد لتاريخ الوهابيين » والدكتور عبدالله في ذلك لم يقف عند حدّ التعريب بل أضاف ملاحظات وتعليقات قيمة ، صحح بها ما وقع فيه الرحالة الغربي من أخطاء ، ولهذا يعتبر عمل الدكتور عبدالله تعريباً وتصحيحاً - إضافة مفيدة إلى مصادر تاريخ بلادنا في القرن الثالث عشر الهجري .

وقد وقع هذا المؤلف في ٢١٢ صفحة ، مطبوعاً طباعة حسنة طبع (شركة العبيكان للطباعة والنشر) في الرياض سنة ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) .

□ « شقراء » :

هو عنوان مؤلف حديث عن هذه المدينة الكريمة التي تحمل هذا الاسم وهي قاعدة الوشم في نجد ، ألفه الأستاذ الكريم الدكتور محمد بن سعد الشويعر من أهل تلك المدينة .

ويظهر أن الدكتور قد أعدَّ العُدَّة لإصدار كُتُبٍ عن مدن المملكة حيث جاء هذا الكتاب بحمل رقم (٢) من (فصول من تاريخ مدن المملكة العربية السعودية) .

والكتاب يتحدث عن كل ما له صلة قديماً وحديثاً بمدينة شقراء مما اطلع عليه المؤلف الذي رجع إلى نحو ٨٥ مرجعاً جمع منها معلومات قد لا يتيسر لغيره جمعها فجاء هذا الكتاب في أكثر من أربع مئة صفحة بطباعة حسنة - وصدر عن (دار الناصر للنشر والتوزيع في الرياض) سنة ١٤٠٥ هـ (١٩٨٤ م) وطبع في المطابع الأهلية للأوفست .

□ - « عيار الشعر » :

وحقق الأستاذ الكريم الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - كتاب « عيار الشعر » تأليف محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (المتوفي سنة ٣٢٢ هـ - ٩٣٤ م) مستدركاً ما وقع في مطبوعة الدكتور محمد زغلول سلام من أخطاء ، معتمداً على المخطوطة التي اتخذها الدكتور سلام أصلاً له ولكن سلاماً لم يحسن قراءة بعض نصوصها ، وقد أشار الأستاذ عبد العزيز إلى ذلك في هوامش الكتاب ، كما أشار إلى أن مطبوعة (دار الكتب العلمية في بيروت) ما هي سوى مَسْنُخٌ لمطبوعة الدكتور زغلول .

من هنا يطمئن الباحث إلى أن مطبوعة الدكتور عبد العزيز المانع هي خير مطبوعة يمكن الاعتماد عليها تحقيقاً وجودة طبع ، وكما لـ فهارس ، مع ترجمة مفصلة للمؤلف ، جاء ذلك كله في ٢٦٨ صفحة . وقامت بنشر الكتاب (دار العلوم للطباعة والنشر في الرياض) سنة ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) .

□ - « لباب الإعراب » :

هو كتاب كما وصفه محققه الأستاذ بهاء الدين عبد الوهاب عبد الرحمن : من المختصرات المشهورة في علم النحو ، حاول صاحبه أن يجمع فيه خلاصة مما في «المفصل»

للزغشري « والكافية » لابن الحاجب مضيفاً إليه آراء ومسائل نادرة من أصول ابن السراج ونُكِّتاً من أمالي ابن الشجري .

أما المؤلف فهو محمد بن محمد بن أحمد الاسفراييني المتوفي سنة ٦٨٤ .

والمحقق الفاضل قد أفرغ في عمله من الجهد ما برز أثره واضحاً في كل صفحة من صفحات الكتاب ، بحيث يعتبر عمله شرحاً له ، وقد جاء في خمس مئة وثمانية وستين صفحة ، وقامت (دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع) بنشره فصلرت طبعته الأولى سنة ١٤٠٥ هـ (١٩٨٤ م) طباعة حسنة في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض .

□ — « ديوان تأبط شرّاً وأخباره » :

تَأَبَّطَ شَرّاً لقبٌ شاعر جاهلي مشهور هو ثابت بن جابر من قبيلة فُهْم بن عمرو بن قيس عَيْلَان بن مُضَر ، القبيلة التي لا تزال معروفة باسمها ، ومقيمة في منازلها فيما قبل الإسلام أو فيما حول تلك المنازل في عصرنا الحاضر .

وقد تصدّى الأستاذ علي ذو الفقار شاكراً لجمع شعر هذا الشاعر وأخباره فكان له من ذلك حصيلة طيبة ، جاءت في مجلد بلغت صفحاته (٤٢٤) — صدر عن (دار الغرب الإسلامي) سنة ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) عن (مطبعة المتوسط) في بيروت طباعة جيدة ورقاً وحروفاً .

وحبّذا لو أن الأستاذ الفاضل أكمل عمله بوضع فهرس للكتاب ، ولعله يتدارك ذلك في طبعته الثانية .

وكنت قبل بضع سنوات اقترحتُ علي أحد الطلاب في جامعة الرياض — حين استشارني في موضوع يقوم بدراسته لنيل درجة جامعية — أن يقوم بدراسة شعر شاعر احدي القبائل المعروفة في بلادنا ، وسميتُ له قبيلة (فُهْم) وقدمتُ له نسخة مصورة مما جمعه ابنُ جِنِّي من شعر تأَبَّطَ شَرّاً ، عن مجموع في مكتبة (دير الاسكوريال) ولا أدري ماذا فعل .